

# هَذِهِ الْأُنْزَالُ مِنْ فِي هَمَنَا

كتبه

صالح بن عبد العزىز بن محمد آل الشيخ

رد على كتاب  
مفاهيم يجب أن تصحح

محمد بن علوي المالي

هذه النسخة من توزيع الرئاسة العامة لادارات  
البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ رَبِّنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِي اللَّهَ فَلَا مُضَلٌّ لَهُ وَمَنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيرًا، أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ أَصْدِقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَىٰ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مَحْدُثَاتُهَا، وَكُلُّ مَحْدُثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالٌ .

وَبَعْدَ : فَإِنَّ الْفَتَنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ تَتَابَعُتْ، وَتَنَوَّعَتْ وَتَكَاثَرَتْ، فَمِنْهَا الْفَاتَنُ لِلْجُوَارِحِ، وَمِنْهَا الْفَاتَنُ لِلْقُلُوبِ، وَمِنْهَا الْفَاتَنُ لِلْعُقُولِ وَالْفَهْوَمِ، وَقَدْ خَاطَرَ أَنَاسٌ فِي الْفَتَنِ غَيْرَ مُبَالِيْنَ، وَخَاطَرَ أَنَاسٌ غَيْرَ عَالِمِينَ، وَخَاطَرَ فَئَامَ عَالَمِينَ، وَخَاطَرَ جَمَاعَاتٍ مَقْلُدِينَ .

حَتَّىٰ أَصْبَحَ ذُو الْقَلْبِ الْحَيِّ يُنْكَرُ مِنْ يَرَاهُ وَمَا يَرَاهُ، فَلَا الْوَجْهُ بِالْوَجْهِ الَّتِي يَعْرِفُ، وَلَا الْأَعْمَالُ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي يَعْهُدُ، وَلَا الْعُقُولُ بِالْعُقُولِ الْمُسْتَنِيرَةِ، وَلَا الْفَهْوُ بِالْفَهْوِ الْمُنْزِرَةِ .

فَهُوَ مُخَالِطُ النَّاسِ بِجَسْمِهِ، مُزَايِلُهُمْ بِعَمَلِهِ، يَعِيشُ فِي غُرْبَتِهِ بَيْنَ بَنِي جَلْدَتِهِ، حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللَّهُ بِحَلْوِ الْأَجْلِ فَيُلْحَقَ - إِنْ عَفَا اللَّهُ وَغَفَرَ - بِمَنْ يَفْكُّ غَرْبَتَهُ وَيَؤْنِسُ وَحْشَتَهُ .

وإن من أعظم تلك الفتنة وأشدّها صرفاً عن الصراط المستقيم الفتنة عن تحقيق معنى الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، فكم من فاتن عنها بعلم، وكم من مفتونٍ عنها بتقليد. وهذه الفتنة، عن تحقيق معنى الشهادتين صور كثيرة، جمع صورها هذا الزمانُ وأهله، وما اجتمعت في وقتٍ اجتماعها وتواردها في هذا الزمن، فما أقلَّ الفقيه بها، المجاهد لها، على تنوعها وتشعبها، وظهورها وجلاتها.

فظوائفُ من الناس إذا سئلوا عن معنى كلمة التوحيد ظنوا معناها لا خالق موجود إلا الله، وكأنَّ أهلَ الجاهلية والعمى من بعثت إليهم الرسُل يقولون ببعض المبدعين الخالقين المدبرين، حتى تبعث لهم الرسُل بلا إله إلا الله.

والشأنُ أنَّ أولئك الجاهلين كانوا يُعددون معبوديهم لا خالقهم، فأتت الرسل بلا إله إلا الله ومعناها ما قال نوح لقومه «أن لا تعبدوا إلا الله» بالطابقة.

والعبادة : هي الذلُّ والخضوع والاستكانة في لغة العرب، وسميت العاداتُ بذلك لأنها تُفعَل مع الذلُّ والخضوع والاستكانة، وتورث الخضوع لربِّ العالمين في المال، لأمرِه ونهيه، والأنسَ به والذلُّ بين يديه والانكسار.

هذا ما تعلمه العربُ من كلامها، فلفهمهم المعنى أبوا أن يخضعوا لـ «لا إله إلا الله» ولو بنطق الكلمة.

وإذا تدبرت أحوال بعض الناس اليوم وجدت ذُلهم وخضوعهم عند القبور وأبنيتها، وتحت قبابها وفي المسير إليها أعظم من خصاعنهم وانكسارهم اذا كانوا في مسجدِ الله ليس فيه قبر، ولا قبة.

وعند القبور تلك من نواقص معنى إفراد الله بالعبادة شيء لا تحصر صوره فمن طائف بالقبر سبعاً، ومن قائل : يا ولی الله اشف

مريضي، وأزل الدين عنِّي، ومن قائل : أنا في حُسْبِك ووقيتك ادفع الآفاتِ عنِّي . يعتقدون في المقبول أن له تصرفاً في الكون بتفويض الله له التصرف ، فمنهم من أُعطيَ بلداً يرْزَقُ من يشاء ويُدْفعُ عنِّي يشاء ، ومنهم من أُعطيَ قُطراً ، ومنهم من فُوضَ له ربعُ العالم ، ومنهم من فُوضَ له أمرُ الأرض كلها ، وهو المسمى بالغوث ، هكذا يزعمُ عبادُ القبور.

وهؤلاء في ذلك كمن اعتقاد تفويض الله أمرَ العالم للكواكبِ السبعة .

ومنهم من أبى عقله أن يشرك في التصرف ، كما فعله أولئك ، ولكنه سار مع طائفةٍ أخرى في ماسِه أبو البقاء الكفويُّ في «الكليات» شرك تقرِيبٍ ، وهو سائقُ لشرك التصرف .

فادعى مع المدعين ، وخاض مع الخائضين ، وطلب من الأمواتِ المقبولين أن يشفعوا له في غُفران ذنبه ، أو سَعَة رزقه ، أو رفع كربته ، أو شفاء مريضه ، يدعون الوسائلَ أن تتوسطَ لهم عند الله فتشفع بحاجاتهم .

وكأنَ الله جَلَّ وعلا قد أغلقَ أبوابَه دون حاجاتهم ودعواتِهم ، وكأنَه في ملزومٍ فعلِهم لا يعطي ولا يُمْتَعُ إلا بتوسطٍ وسيطٍ . وفي هذا من التنصص مافيه .

وتجدهم يتحببون لهذا المقبول بأنواعِ القرب : فمن مهريقِ الدم باسمِه ، ومن نادرٍ له ، ومن طائفٍ حول قبره يتقرب بالسعى والطوافِ لنيل شفاعته .

فيهذان النوعان من الشرك الأكبر قد فشيا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وقد أشرتُ أثناء هذه الورقات إلى أن أولَ من أحدث الشرك الأكبر في المسلمين من هذه الأمة هم الباطنيون وعلى رأسهم «إخوان الصفا» وتولى كبر ذلك الدولة العبيدية .

وكثُر انخداعُ الناس خاصَّةً الجهالُ بها، ووُجِد أُناسٌ آخرون في ذلك نعم المصدُر لاكتساب معايشهم، وراج ذلك أكثرَ ما راج في الصوفية لكثرَة المتعبدين بجهلٍ فيهم، فصاروا لُعبةً وسُلْوى لأولئك، يتحكمون فيهم، لأجل الدنيا.

ثم شاع بعد القرن الخامس ذاك في الناس وكثير، فعَمَّ وطَمَّ وقلَّ أن سَلَمَ منه بلدٌ، وفي كل قرن يعيش أولياء وكل من مات قُبَّبَ على قبره، وأخْتَذَ مزاراً، يستشفعُ به، ويُسأَل ويُدعى.

فكثُرت القبور، وكثُرت العطايا للقبور، فكثُر السدنةُ والمنتفعون، والمآل فِتْنَةُ، والجاه فِتْنَةُ، والسيادة فِتْنَةُ.

وأحَبَّ من لم يتبع التوحيدَ أن يعظِّمَ النَّاسُ في حياته، فمن مقبلٍ للأيدي والأرجل، ومن متمسِّحٍ بالثياب خاضعٍ بالقول، والقلب والجوارح.

وقد رأيت مرة رجلاً يُظَنُ عالماً في المطاف حول البيت العتيق وهو يدورُ مقهقاً مع رفيقٍ له، ومن الناس من تمسَّح به وقبَّل يده! أي حالٍ تلك، وأي قلوب هاتيك القلوبُ التي تقهقه حول الكعبة المشرفة، ثم هم أولياء في زعمهم.

ووصفُ أحوال المتسبِّين للإسلامِ اليوم يطولُ، ولكن الإيماء كافٍ، فالإطالةُ تضني، وقد جادلت يوماً ببلدٍ إفريقيًّا أحدَ المفتونين من كبار العلماء المحبِّذين لعبادة القبور والسدنةِ حوها في حالمهم، ومعنى العبادة، ومفهوم الشهادتين، فقال : أنا أعلم أنكم على الحق ولكن (سيب) الناس تعيش!

إن هذا هو الواقعُ فالمسألة ليست نصرةً للحق بدلائله ، ولكنها سيادة وجاه وسمعة وأموال ثم يبحث لتشبيت هذا المقرر سلفاً في الدلائل الشرعية وإن كانت أحاديث مكذوبة، وفي الدلائل العقلية وإن كانت أو هي من خيوط العناكب.

وإن المحافظة على المجد والسيادة مما يحرص عليها ناصروا المذاهب البدعية، يورثونها أولادهم لحبهم أن يدعوا الورثة أغنياء! وإذا هلك صُرِّيَ مدفنه ضريحاً إن استطاع وتووجه قلوب الناس إليه، فيزداد الخليفة جاهًا وطاعةً وما لا.

وفي كل صقْعٍ من الأرض وُجِدَ فيه عباد القبور تجد فيه غالباً طائفَةً على هدي النبي محمدٌ ﷺ سائرة لا يخذُّلُهم تسيُّدُ، ولا تؤثِّرُ فيهم شبهةً، وأولئك غرباء في كثير من البلاد يدللون الناس على السنَّة، ويهدونهم إلى التوحيد، وصرَّفُ القلوب إلى الله، وتعظيمه وإجلاله، والهيبة والخوف منه، ورجاء ما عنده، يعلقون القلوب بحالاتهم وحده، لا بأحدٍ من الخلق، فلا يحبون إلا الله، ولا يبغضون إلا الله، ولا يبعدون إلا إيمانهم دعوة الناس إلى توحيد ربِّهم في الأفعال : أعمال القلوب وأعمال الجوارح.

يسمون أنفسهم أتباع السلف الصالح، وأكْرَمُ به من أتباع مقابله باتباعِ غيرهم للخلف الطالع، وأسْفَلُ به من أتباع.

ويسميهم أعداؤهم : الوهابية أو المتطرفة، ويُسعى أعداؤهم في نشر الكتب الناقضة دعوة الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، ردًا عليهم، وعلى أتباع الدعوة السلفية الحالصة. وتتخذ هذه الردود أشكالاً تناسب البلد المنشور فيه الرد، فبينما يُصرَّحُ بذلك في بلده، يُسرَّ به في بلدٍ ويأتي تلوينًا لا تصريحًا.

والحملة واحدة، والطريق قديمة سابلةً، ولها ورَادٌ، ودعاة على جنباتها، اذا صرَّخَ داعٌ تجاوبَ الجميع بالصرارخ.

والطريق ليست علميةً كما قد يُظن، ولكنها سبيلٌ غايتها التمكين لدعاة الباطل في أرضِهم، وأرضِ غيرهم.

ومن تلك الردود على الدعوة الإصلاحية كتاب سهاب كاتبه : «مفاهيم يجب أن تصحح» طبع بمصر سنة ١٤٠٥ هـ، ثم طبع

بالتصوير «الأفست» في المملكة العربية السعودية بأعداد كبيرة، ووزع سراً وعلناً في كثير من أرجاء البلاد، وفي الحرمين وما جوارها أكثر. وفي هذا الكتاب «مفاهيم يجب أن تصح» تجويز كاتبه - وتجويزه حيناً - سؤال النبي ﷺ الشفاعة في قبره، وسؤاله التوسط، وتجويزه دعوته لطلب الغوث منه ﷺ، فالاستغاثة به منجاة عنده، وطلب شفاعته مشروعٌ عنده بعد موته، وسؤاله الاعانة ونحو ذلك، وطرد هذا في الصالحين ونحوهم.

بل زاد بأنَّ قول القائل : يا رسول الله أريُّك أن ترْد عيني ، أو يزول عنا البلاء ، أو أن يذهب مرضي : من الجائزات ، التي لا عتب على قائلها ، كما ذكره في ص ٩٨ من كتابه .

وفي كتابه من التدليل لشعبه المتهافة بالأحاديث الموضوعة ، والواهية ، والمنكرة ، والباطلة والضعيفة جداً ، والضعيفة شيءٌ كثيرة وكثير منها يستدلُّ به بتعسِّفٍ مع وفاء الدليل وضعفه .

وال القوم لهم ولع بالمكذوبات الواهيات ، وإعراض عن الصَّحاح العاليات الغاليات .

وليس هذا جديداً ، بل شأن كلَّ من نهج غير سبيل السلف وأتباعهم حبُّ البدع ، وإغلاوها ، حتى صار وضعُ الحديث عند طائفةٍ من أولئك والكذبُ على رسول الله ﷺ سهلاً خفيفاً .

ومنهم من يضع الحديث ويفتري على رسول الله ﷺ عالماً ، ومنهم من يكون جاهلاً ، وهاك مثلاً لهؤلاء وأولئك تبصِّر به ما وراء ذلك .

جاء في كتاب : «الدرر السننية في الرد على الوهابية» لأحمد بن

زيني دحلان ص ٥٥<sup>(١)</sup> :

(١) ومن كذب على النبي ﷺ فكذبه على غيره من سار على نهجه واقضى ستة أولى ، فقد افتري هذا الرجل على الشيخ محمد بن عبد الوهاب افتراءاتٍ : منها قوله : «والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعى النبي» ١ هـ ص ٥٠ ، ومنها قوله ص ٥٤ : «وكان ابن عبد الوهاب يأمر أيضاً بحلق رؤوس النساء اللاتي يتبعنه» ١ هـ ، والافتراطات كثيرة .

«ذكر العلامة السيد علوى بن أحمد بن حسن بن القطب السيد عبد الله الحداد باعلوى في كتابه الذي ألفه في الرد على ابن عبدالوهاب المسمى «جلاء الظلام في الرد على النجدى الذى أصل العوام» وهو كتاب جليل ذكر فيه جملة من الأحاديث.

منها حديث مروي عن العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه عم النبي ﷺ أسنده إلى النبي ﷺ قال فيه «سيخرج في ثانى عشر قرناً في وادى بني حنيفة رجل كهيئة الثور، لا يزال يلعن براطمه، يكثر في زمانه المهرج والمرج، يستحلون أموال المسلمين ويستخدمونها بينهم متجرأً، ويستحلون دماء المسلمين ويستخدمونها بينهم مفخراً، وهي فتنة يعتز فيها الأرذلون والسفل تتجارى بينهم الأهواء كما يتجارى الكلب ب أصحابه».

قال : وهذا الحديث شواهد تقوى معناه، وإن لم يعرف من خرجه» انتهى .

فهذا من وضع الرجل المذكور أو شبيهه ، يكذب على الرسول ﷺ عياناً أمام الخلق ، فيا لها من قلوبٌ تلك التي تتجرؤ على ذلك ، وبماها من قلوبٌ تلك التي تحبُّ أولئك .

يكتذبون على النبي ﷺ ، ويدعون محبة النبي ﷺ .

فهل يجتمعان في قلبٍ كلا والله ، إلا في قلبٍ مبتدعٍ مأفونٍ كاذبٍ . ومن العجب أنه قال «لم يعرف من خرجه» ولو أسنده إلى كتاب معذوم مفقودٍ لراجٍ كذبه أكثر على الجهال ، لا على العلماء الذين يعرفون نورَ كلامِ النبوة .

ومن الصنف الثاني الذين كذبوا على جهل ما جاء في «الرد المحكم المنبع» (ص ١٧) قال : «المعلوم لطلبة العلم ، والعمامة ، فكيف للعلماء قوله صلى الله عليه وآله وسلم : الناس مؤمنون على أنسابهم» ١ــ المعروف عند العلماء بل طلاب العلم بل صغار طلبة العلم أن

جملة «الناس مؤمنون على أنسابهم» من قول الإمام مالك بن أنس رحمة الله تعالى.

وكلّ من أحبَّ البدعَ هَجَرَ السنَّ، وكلّ من زَيَّنَ البدعةَ فسينقضُ من معرفته بسنة رسول الله ﷺ بقدر ذلك، ومن تأمل ذلك في الخلق عَلِمَهُ.

وكتاب «مفاهيم يجب أن تصحّ» مجلبٌ لما تفرق من شُبهَ الذين عارضوا دعوةَ الشّيخِ محمدِ بن عبد الوهاب، فهو يتابعُهم حتى في أوهامهم، وفي عَزْوهُمْ، وفي فِكْرِهِمْ، حتى إنَّه لم يتتكلفْ عناءً توثيقاً أقوالهم، أو تعنَّى فوجداً خلافاً ما كتبوا، فأثبتَهُ كما أرادوا.

ولما كان هذا الكتابُ يعبر فيه كاتبُه عن رأيهِ، وفيه من الشطاطِ عن فهم التوحيد ما فيهِ، ومن عدم الفهم لدعوةِ الشّيخِ ما فيهِ، ومن الخوضِ في الدفاعِ عن الداعينِ أصحابِ القبورِ من الأنبياء والصالحينِ، وفي تحويزِ ما قالَ الفقهاءُ في بابِ «الردة» إنَّه كفرٌ بالإجماعِ، ولما لكاتبِه من تَبعٍ ومریدين استعنَتُ اللهُ في كشفِ ذلك، وببيانِ الحقِّ فيهِ، وبيانِ أنَّ ماجوزَةَ الكاتبِ في «مفاهيمه» من الشركِ الذي بَعَثَ الرسُّلُ جميـعاً وآخـرُهـمْ مـحمدـُ بـنـ عـبـدـ اللهـ ﷺ لـقـمـعـهـ.

والشركُ في الإلهيـةـ له صورـ يـزيـنـها الشـيـطـانـ للـوـاقـعـيـنـ فـيـهـ، وـهـوـ شـغـفـ لـهـفـ علىـ أـنـ يـخـوضـواـ فـيـهاـ نـهـاـمـ اللهـ عـنـهـ، وـيـقـنـعـهـمـ بـأـنـهـمـ لـمـ يـخـوضـواـ فـيـهاـ نـهـيـ اللهـ عـنـهـ.

فله طرقٌ وسبلٌ، وعلى كل سبيلٍ زينةٌ ويهجهةٌ يخدعُ بها الناسَ. والمنكرُ واجبُ الإزالـةـ بـحـسـبـ المـرـاتـبـ الـقـيـ جـاءـتـ فـيـ حـدـيـثـ أـبـيـ سـعـيـدـ الـخـدـريـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ.

فتعسى أن يأذنَ اللهُ لهذه الورقاتِ بالقبولِ عندهِ، وأن يُنتفعَ بها، فإنَّ المُنْيَةَ الانتفاعُ بها، وليس وراءَ القبولِ مُبتَغىً، ولا سواهُ مُرْتَجِيًّا. وسميتُ هذا الردًّا «الورقات الكاسرة للمفاهيم الخاسرة».

ولما أطلعتُ على هذا الكتاب سماحةً والدي ومن له بعد اللهِ الفضلُ  
عليَّ نصر المولى به الحقُّ، وجراه اللهُ أحسنَ الجزاء، ورفع درجته،  
وأمْتَعَ به، أشار بتسميته «هذه مفاهيمنا»، وإشارته أمرٌ، وطاعته  
غُنمٌ، فسميتُ بها سماه به طرحاً لما أرى عند ما يرى، ورفعاً لرأيه،  
واتهاماً لقولي عند مقاله.

وكتبته مقطعاً،<sup>(١)</sup> والقلبُ مشتَّتُ الشواغل ، في كلِّ وادٍ منه مُزْعَة ،  
والهمومُ لتدني الأحوالِ متراوفة ، والفتنةُ الطاغيةُ صادةً عن صفاءِ  
المقالِ، وإحكامِ الأقوالِ، والأنيسُ قليلٌ، بل عزيزٌ، فاللهُمَّ إِنَّ  
مفزوعَنا إِلَيْكَ لَا إِلَى غِيرِكَ، فثبتْ أقدامَنا عَلَى الْحَقِّ، وَبَصَرُّنَا بِأَنفُسِنَا،  
وَلَا تجعلْ مِنْ عَمَلِنَا لَأْحِدٍ سواكَ شَيْئاً، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشَرِّكَ بِكَ عَلَى  
عِلْمٍ، وَنَسْتَغْفِرُكَ مَا لَا نَعْلَمْ، فَإِنَّ صَفَّتَنَا التَّقْصِيرُ، وَصَفَّةُ الرَّبِّ الْعَفْوُ  
وَالغَفْرَانُ، فاغفر اللهم جماً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

يوم الخميس ١٣ : ٥ : ١٤٠٦ هـ.

(١) وردت به على الباب الأول من كتابه، وفصلًا من الثاني، لأن رأيت أن أصول أقواله في هذين، وفي الكتاب أغلاط كثيرة سليما في الحديث، وأغلاط في الاستدلال، فتركت الكلام على ذلك، واقتصرت على رد الشركيات ووسائلها، وما بينه من بحث المؤلف في مفاهيمه، وال بصير ينظر بعين ما ذكر إلى ما طوى.

## الباب الأول وفيه مباحث

- ١- معنى الوسيلة
- ٢- تحریج الآثار والأنبیارات التي استدل بها كاتب "المفاهيم"
- ٣- رد استدلالات الكاتب بما ساقه من آثار

قال ص ٤٥ :

«الوسيلة : كل ما جعله الله سبباً في الزلفى عنده، ووصلة إلى قضاء الحوائج منه. والمدار فيها على أن يكون للوسيلة قدرٌ وحرمة عند المتول إلية» ١ هـ.

أقول : كلامه حوى جملتين الأولى من الحق ، والثانية فيها إجمال به يتوصل إلى ما نهى الله عنه ، ولم يجعله وسيلة .

فقول : «ومدار فيها .. الخ» بجمل يمكن تفسيره على أحد وجهين :

الأول : أن يدخل في ذلك ذوات الأنبياء والصالحين باعتبار أن لهم من المنزلة والزلفى عند الله ما يجعل عن الوصف .

فإن كان هذا معنِّياً، فالله سبحانه وتعالى لم يجعل ذوات الأنبياء والصالحين أو جاههم أو حرمتهم وسيلة إليه ولا سبباً للزلفى لديه .

وإنما جعل الوسيلة إليه هو اتباعهم وتصديق ما أخبروا به ، واتباع النور الذي جاءوا به ، والجهاد من أجل تقريره وتبنيته بين الخلق ، فهذا من الوسائل المشروعة التي يشرع للداعي بمسئلةٍ أن يقدمها بين يدي مسأله ، ولا يصح للداعي دعاء عبادة دعاؤه إلا باتباعهم وتصديقهم .

فهذا من الوسائل المشروعة التي أمر الله بها ، وشرعها .

وأما الأنبياء والصالحون فليس من المشرع التوصل بذواتهم ولا جاههم ولا حرمتهم كما سيأتي بيانه .

وإنما يشرع التوصل بدعائهم في حياتهم كما كان يفعله المسلمون زمانه عليه السلام وبعده من طلب الدعاء في الاستسقاء وغيره .

وأما بعد مماتهم فليس التوصل بدعائهم ولا ذواتهم مشروعًا بإجماع القرون المفضلة .

الثاني : أن تكون الوسائل من الأعمال ونحوها مشروعة ، لم تتبع فيها سبل المبتدعة ، وإنما اتبع فيها السنة ، وهذا حق . والكاتب أجمل ليدخل الوسيلة المبتدعة في خلل كلمات الحق ، وقد بينا مافيها ، وما كان ينبغي له ذلك وهو يفسر آية من كتاب الله . وفي الوسيلة قولان ذكرهما أهل التفسير ، وقرهما ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣٤٨/٢) قال :

«أحدهما : أنه القربة ، قاله ابن عباس وعطاء ومجاهد والفراء . وقال قتادة : تقربوا إليه بما يرضيه . قال أبو عبيدة : يقال : توسلت إليه ، أي : تقربت إليه . وأنشد :

إذا غفل الواشون عدنًا لوصلنا

### وعاد التصافي بيننا والوسائل

الثاني : المحبة ، يقول : تحببوا إلى الله . هذا قولُ ابن زيد» ١ هـ . وفي أسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : «وابتغوا إليه الوسيلة» قال : الوسيلة الحاجة . قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم . أما سمعت عنترة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة  
أن يأخذنوك تكحلي وتخضبي

وفي المادة شواهد غير ما ذكر .

فالوسيلة : التقرب إلى الله بأنواع القرب والطاعات وأعلاها إخلاص الدين له ، والتقرب إليه بمحبته ومحبة رسوله ومحبة دينه ومحبة من شرع حبه ، بهذا يجمع ما قاله السلف ، وقولهم من اختلاف النوع .

وتتأمل قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة» ، ففي تقديم الجار والمجرور «إليه» إفادة اختصاص الوسائل بالله ، لا يشركه معه فيها أحد . كما في «إياك نعبد وإياك

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله في «تفسيره» (٩٨/٢) : «التحقيق في معنى الوسيلة هو ما ذهب إليه عامة العلماء من أنها التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة على وفق ما جاء به الرسول ﷺ . وتفسير ابن عباس داخل في هذا، لأن دعاء الله والابتهاج إليه في طلب الحاجات من أعظم أنواع عبادته التي هي الوسيلة إلى نيل رضاه ورحمته .

وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهل ، المدعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخُ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه أنه تخبط في الجهل والعمى ، وضلال مبين ، وتلاعب بكتاب الله تعالى .

وانخاذ الوسائل من دون الله من أصول كفر الكفار كما صرَّح به تعالى في قوله عنهم ﴿مَنْعَبِدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرُبُونَا إِلَى اللَّهِ زَلْفِي﴾ وقوله ﴿وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شَفَاعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَبْيَئُنَّ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سَبَّحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَشْرِكُونَ﴾ .

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الطريقة الموصولة إلى رضا الله وجلته ورحمته هي اتباع رسوله ﷺ ، ومن حاد عن ذلك فقد ضل سوءً السبيل . ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُحِبِّبُهُ﴾ الآية انتهى كلامه .

قال الكاتب ص ٤٣ :

«إن التوسل ليس أمراً لازماً أو ضرورياً، وليس الإجابة متوقفة عليه، بل الأصل دعاء الله تعالى مطلقاً، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا سأَلَكَ عَبْدِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ .. انتهى.

أقول : إذا كان الأصل هو دعاء الله تعالى بلا واسطة ، فلم العدول عن الأصل إلى غيره ، ولا يخفى أن غير الأصل لا يتمسك به إلا من عدم الأصل ، والله جل جلاله حي قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، يجب أن يدعوه عبدُه ، وأن يرجوه ، وأن يخافه ، وأن يتولّ إليه بأسئلته وصفاته .

إذا كان هذا لا ينقطع عن مسلم في أي بقعة كان وهو الأصل الأصيل ، فلم العدول عنه ، والتنكّب له ، أفتعدل إلى طريق هي أهدى .

تقول : إن التوسل الذي ننكره وهو التوسل بالذوات وعمل غير الداعي ونحوها ، ليس الأصل ، بل الأصل معكم وأنتم حقيقة بالأصل .

تقر لنا بالهدایة والاتباع ، وترغب في مخالفه الأصل دون دليلٍ صحيح .

أما في الأصل لك كفاية ، أما في دعاء الله وحده بلا واسطة لك مقنع ، إذا كان الحي القيوم الذي يحب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء يجب أن يدعوه عبدُه كل حين : دعاء عبادة أو دعاء مسألة ، وهو الذي يقول : ﴿وَإِذَا سأَلَكَ عَبْدِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ إذا كان كذلك فلم العدول إلى الأموات يتوسّلُ بذواتهم أو جاهتهم أو حرمتهم وغيرها من الألفاظ البدعية .

لم لا يعلم المسلمون دعاء الله وحده ، فتخلص قلوبهم من الالتفات إلى غيره في دفع كربة أو رفع بلاء ، أو جلب نفع ؟

علمونه هذا ولا تعلقوا قلوبهم بغير الله فيتخذوهم أنداداً، فيذهب ذكرهم لربهم وحده، وحبهم له وحده، إذ نفعهم معلق في أذهانهم بوسائل.

إن من افتح عليهم باب البدعة في التوسل ألقى بهم ولو بعد حين إلى دائرة الإشراك، إذ هو طريقه وسبيله ومنه يتدرج إلى دعاء الأموات أنفسهم أو سؤالهم الشفاعة، أو الإغاثة، أو الإعانة.

وكل هذه صرخة كاتب المفاهيم بتجويفها في مواضع من كتابه، كما سيأتي في مباحث الشفاعة.

وكل ذلك من سيئات ترك الأصول المتفق عليها، واتباع المشابهات المنهي عنها.

قال الكاتب ص ٤٤ :

«ونحن نرى أن الخلاف شكلي، وليس بجوهري، لأن التوسل بالذوات يرجع في الحقيقة إلى توسل الإنسان بعمله، وهو المتفق على جوازه...»

أقول : هذا خطل من القول، ومخادعة للنفس ظاهرة، إذ المتسلون بالذوات يعلمون بعْد هذا التبرير والتأنويل ، وأن الخلاف جوهري لا صوري ، وبرهان ذلك فساد الدليل الذي ادعياًتموه ، وهو راجع إلى المجاز العقلي ، والكلام فيه سيأتي مفصلاً ، ثم هل عمل الذات المتَوَسِّل بها عمل للمتوسل المتفق على جوازه . ولكنني أقول هنا على سبيل المجازة والمناظرة :

هب أن الخلاف شكلي . أفلأ يجب عليكم ترك الألفاظ الموهة لأمور غير شرعية؟ فإن القائل : أتوسل بفلان ، دال ظاهر لفظه على التوسل بالذات المجردة عن الجامع بين الذاتين ، ولا قرينة لفظية ولا غير لفظية متصلة ولا غير متصلة تصرفه عن هذا الظاهر .

والقرينة المدعاة قلبية خفية ، والحكم على ما في قلوب الناس فرع

الاطلاع عليها، ولا سبيل إلى ذلك.

ومن المقرر أن الشريعة المطهرة جاءت بترك الألفاظ الموهمة لما ينفي عنه شرعاً، كما قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظروا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم» .

فقد كانت يهود تستعمل «راعنا» للسب، والسلمون حين قالوها لا يشرون بهم في ما عقدت قلوبهم عليه من تفسير اللفظ، ومن اليقين أن الصحابة لم يقولوا اللفظ وهم يعنون المعنى الفاسد، فهذه من أقوى القرائن القلبية.

ومع هذا نهوا عن ذلك.

قال القرطبي في «تفسيره» (٧٥/٢) :

«في هذه الآية دليلان : أحدهما : على تحريم الألفاظ المحتملة التي فيها التعرض للتنقيص والغرض .

الدليل الثاني : التمسك بسد الذرائع وحمايتها» انتهى .

وقال الجصاص في «أحكام القرآن» (١/٥٨) : «وقوله «راعنا» وإن كان يتحمل المراعاة والانتظار، فإنه لما احتمل الهزء على النحو الذي كانت اليهود تطلقه نهوا عن إطلاقه، لما فيه من احتمال المعنى المحظور إطلاقه، ومثله موجود في اللغة ..» ثم قال :

«وهذا يدل على أن كل لفظ احتمل الخير والشر فغير جائز إطلاقه حتى يقيد بما يفيد الخير» انتهى كلام الجصاص .

فتتأمل كيف أن الصحابة استعملوا هذا اللفظ وهم أبعد الناس عن إرادة معنى الهزء والتنقص، فنهاهم الله تعالى عن ذلك اللفظ لما فيه من الاشتراك، ولم يكفي في تجويف استعماله ما قام بقلوبهم ونياتهم من المعنى الخير الصحيح . وهذا جلي لمن تجرد !

قال ص ٤٤ :

«و محل الخلاف في مسألة التوسل هو التوسل بغير عمل المتتوسل ، كالتوسل بالذوات والأشخاص . بأن يقول : اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ أو أتوسل إليك بأبي بكر الصديق أو بعمر بن الخطاب أو بعثمان أو بعلي رضي الله عنهم ». .

أقول : الواجب عند الاختلاف الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وفهم أصحابه الكرام رضي الله عنهم ، كما قال تعالى : «ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له المدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وسأله مصيرًا ». .

ومسألة التوسل بالذوات ، وكذا التوسل بأعمال من انقضى سعيهم ، لاختلاف عند السلف من الصحابة والتابعين أنها ليست من الدين ، ولا هي سائغة في الدعاء . .

وبرهان ذلك أنه لم ينقل عن واحدٍ منهم بنقل صحيح مصدق أنه توسل بأحد الخلفاء الأربعاء أو العشرة أو البدررين . .

والعمل على وفق ما فهموه هو المنجي كما فُصل في «السلف والسلفية» من هذا الكتاب ، ومن ابتغى نهجاً جديداً فهو الخلفي ، وليس له حظ منهم . .

إذا تقرر هذا ، فالتوسل بالذوات ونحو ذلك منوع لأوجهه :

**الأول** : أنه بدعة لم تكن معروفة عند الصحابة والتابعين ، وكل بدعة ضلاله ، وليس على الله أكرم من الدعاء ، وفي الحديث : «الدعاء هو العبادة» أخرجه أبو داود والترمذى وغيرهما بإسناد صحيح عن النعمان بن بشير . .

إذا كان عبادة بل هو العبادة فإن حداث أمر في العبادة مردود باتفاق العلماء .

الثاني : أن قول القائل : أتوسل بأبي بكر وعمر... خطأ مُحض ،  
جره إلى سقم فهمه ، وكثافة ذهنه ، واعتقاده أن كل شيء توصل به  
يكون وسيلة ، وهذا غلط .

فمن قال أتوسل بأبي بكر مثلاً فقد جمع بين ذاتين لا وسيلة ولا  
طريق توصل وتجمع أحدهما بالآخر ، فكأنما هذا القائل قد لفظ لفظاً  
لا معنى له ، بمنزلة من سرد الأحرف الهجائية ، إذ لا اتصال بين ذاتِ  
المتوسل والمتوسّل به حتى يجمع بينهما .

فلا بد من جامع يتوصل به ، وهو حب الصحابة مثلاً ، وهو من  
عمل المتسل ، فإذا قال : أتوسل إليك رب بحبي لأبي بكر ، أو بحبي  
لعم ، أو بحبي لصحابي نبيك كان هذا حسناً مشرعاً .

وكذا إن قال : أتوسل إليك بتوقيري وتعزيري وحبي واتباعي  
لنبيك نبي الرحمة كان هذا من الوسائل النافعة .

فلازم ذكر الإيمان أو العمل الصالح الذي يصل بين ذاتين لا يجمع  
بينها إلا بجامع .

كما حكى الله عن عباده المؤمنين قولهم : ﴿رَبُّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ  
وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ وقوله : ﴿رَبُّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مَنْادِيًّا  
يَنْادِي لِلْإِيمَانِ أَنَّ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنُوا رَبُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكُفْرَ عَنَا  
سَيِّئَاتِنَا وَتَوفِنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ والآيات في هذا الباب كثرة .

فإذا كان خيراً الخلق الأنبياء والرسل واتباعهم وحوارييهم لم يحيطوا  
على ما في قلوبهم بل قالوا بلسائهم ما حواه جنابهم ، وهم الذين لا  
يشك بما في قلوبهم أبداً يكون الخلف الذين جاؤوا من بعدهم أولى  
وأحرى أن يفصحوا وأن يظهروا ، وأن لا يتحيلوا للفاسد قولهم بالمجاز  
العقلي .

الثالث : أن الصحابة فهموا من التوسل التوسل بالدعاء لا  
بالذوات ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه توصل بدعاء العباس عم

النبي ﷺ، ومعاوية بن أبي سفيان توسّل بدعاء يزيد بن الأسود.  
ولو كان التوسل بالذوات جائزًا عندهم لأنّهم عن تكليف غيره،  
ولتوسلوا بذاتٍ أكرم الخلق وأفضل البشر وأعظمهم عند الله قدرًا  
ومنزلة، فعدلوا عن ذات رسول الله ﷺ الموجودة في القبر، إلى الأحياء  
من هم دونه منزلة ورتبة .  
فعلم أن المشروع مافعلوه، لا ما تركوه.

قال الشهاب الألوسي في «روح المعاني» (٦/١١٣) في الكلام  
على عدول الصحابة : «وحاشاهم أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس  
إلى التوسل بعمه العباس وهو يجدون أدنى مساغ لذلك .

فعدو لهم مع أنهم السابقون الأولون، وهم أعلم منا بالله تعالى  
ورسوله ﷺ، وبحقوق الله تعالى، ورسوله عليه الصلاة والسلام ، وما  
يشرع من الدعاء وما لا يشرع ، وهم في وقت ضرورة ومحضة ،  
يطلبون تفريح الكربات وتيسير العسير وإنزال الغيث بكل طريق :  
دليل، واضح على أن المشروع ما سلكوه دون غيره» انتهى .

الرابع : أن يقال تنزيلاً : لا يخلو التوسل بالذوات أن يكون أفضل  
من التوسل بأسماء الله وصفاته ، والأعمال الصالحة أولاً فإن قيل  
التوسل بالذوات أفضل فهو قول كفري باطل . وإن كان التوسل  
بأسماء الله وصفاته والأعمال الصالحة أفضل فلم سافح عن المفضول ،  
وتترك نصرة الفاضل وتأييده ونشره وتعليمه للناس .

قال كاتب المفاهيم ص ٤٦ :

«وقد جاء في الحديث أن آدم توسل بالنبي ﷺ . قال الحاكم في المستدرك : حدثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل حدثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الخنظلي حدثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري حدثنا إسماعيل بن مسلمة أئبنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم [عن أبيه] عن جده عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي . . . الحديث .

أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه [ج ٢ ص ٦٥١] ورواه الحافظ السيوطي في الخصائص النبوية وصححه .

ورواه البيهقي في دلائل النبوة، وهو لا يروي الموضوعات، كما صرخ بذلك في مقدمة كتابه .

وصححه أيضاً القسطلاني، والزرقاني في المawahب اللدنية [ج ٢ ص ٦٢] والسبكي في شفاء السقام .

قال الحافظ الهميسي : رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم . «مجمع الزوائد» (ج ٨ ص ٢٥٣) . ١ - كلام الكاتب .  
أقول : هذه الأسطر حوت أغلاطاً، واستغفالاً، وتحريفاً، مما سأبينه إن شاء الله . وما كنت أظن أن يتجاهل الجاني على نفسه، المعجب بعلمه، علماء زمانه، ومن انتسب للعلم من أتباعه حتى يكتب ما كتب على هذا الحديث وما بعده من الأحاديث .  
ولي مع الكاتب هنا وقفات ثلاثة :

الأولى : في مكتبه ، وفي عزوه الحديث لمن خرجه .

الثانية : في الكلام على رواية الحديث .

الثالثة : في النظر في متن الحديث ودرايته .

أما الأولى : فينتظم عقدها أموراً :

الأول : عزوه الحديث فيه قصور، فقد رواه جماعة من طبقة مشايخ الحاكم ومن نحو طبقته ومن بعدهم ، وكلهم رووه من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، فكثرتهم لا تفيد الخبر قوة ، ولذا لن ذكر أولئك حتى لا يستكثر بهم الجهول بالحديث واصطلاحات أهله .

الثاني : ساق إسناد الحاكم ولم يحسن النقل فقد سقط من الإسناد [عن أبيه] وألحقتها بالإسناد، ووهم أيضاً في توثيق النقل من المستدرك ، فذكره مرتين [جـ ٢ ص ٦٥١] ، وهذا قلب وخطأ ، وليس سبق قلم لأنه تكرر مرات . ثم طالعت رسالة «إعلام النبيل» لواعظ بالبحرين فوجدته عزاه كما هنا [جـ ٢ ص ٦٥١] ، وقد طبع قبل المفاهيم ، فتأمل تواردهم على التقليد في كل شيء !  
وصواب التوثيق (٦١٥ / ٢) ، والمستدرك لم يطبع إلى هذه السنة إلا طبعة هندية واحدة .

وقال : وصححه ، يعني الحاكم وهذا غلط ، فالحاكم كتب : صحيح الإسناد ، والمشغلون بالحديث يفرقون بين صحة الإسناد وصحة الحديث .

الثالث : قوله : «ورواه الحافظ السيوطي . . . وصححه». من عجائب مفاهيمه ، وما يدل على عدم تعاطيه علم الحديث - وإن أعطى شهادة الزور - لأن قوله «رواه» خطأ لا يستعمله المحدثون ، فمن يذكر الحديث ويسوقه في كتاب له مستدلا به على مراده لا يجوز أن يقال إنه رواه . فكلمة «رواه» لا تقال إلا لمن ساق حديثاً أسنده عن مشايخه ، إلى متنه .

وأما قوله : «وصححه» فأعجب ، إذ أن السيوطي لم يعقب الحديث بتصحيح في «الخصائص» الذي نقل منه تصحيحة ، وهذا

افتاء على السيوطي .

والكاتب - لضعفه العلمي - أخذ قول السيوطي في مقدمة *الخصائص* (٨/١) : «ونزهته عن الأخبار الموضوعة وما يرد» فعمّمه قوله السيوطي لا يفيد صحة كل ما يورده .

ولذا صرخ بضعف إسناد الحديث في كتابه الآخر «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفاء» ص ٣٠ (طبع بمصر طبعة حجرية سنة ١٢٧٦) .

والسيوطى في «الخصائص» تبع أبا نعيم في «الخصائص» له، وإن كان الإسناد مظلماً، أو كان المتن منكراً، صرخ بهذا في كتابه (٤٧/١) فقال بعد ذكره حديثين شديدي النكارة : «ولم تكن نفسي تطيب بإيرادهما، ولكني تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك» أهـ.

الرابع : قال عن البيهقي «وهو لا يروي الموضوعات» أهـ.

أقول : لم يُنقل ما قاله البيهقي نصاً بعد رواية الحديث، لم يجعل دينه التلبيس والإجمالات التي تلبس على البسطاء، فهو دائمًا طاوِ للذى يقوض دليله .

قال البيهقي في «دلائل النبوة» (٤٨٩/٥) بعد سياقه الحديث :

«تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف» ١ هـ.

وكلمة البيهقي هذه غالبة، يعرف قدرها المحدثون، أما المبتدةة فلا يعرفون إلا الإجمال، شأن الطلبة الذين لا يعرفون مصطلحات أهل العلم .

قال الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدا» (٣/١٤٠ - ١٤١) : «وإن تفرد الصدوق ومن دونه يعد منكراً» ١ هـ. فإذا كان هذا شأن الصدوق، وشأن من دونه من خف حفظهم وكثرة نسيانهم وضعاف أكثر ضبطهم، فما يالك بتفرد الضعيف الذي أجمع أهل العلم بالجرح والتعديل على عدم تعديله، فقال بعضهم كالحاكم أحاديثه موضوعة

ما ستفعل عليه إن شاء الله تعالى.

الخامس : قال الكاتب : «وصححه القسطلاني» .

أقول : هذا كتاب المواهب فهل صححه ، أم أنه ذكر كلام البيهقي الذي سلف . ونصه (٧٦/١ مع شرحه) : «وقال - أبي البيهقي - : تفرد به عبدالرحمن» هذا كلام القسطلاني ، وفهم مراده شارح المواهب الزرقاني فقال : «تفرد به عبدالرحمن ، أبي : لم يتبعه عليه غيره ، فهو غريب مع ضعف راويه» ١ هـ .

والقسطلاني في المواهب وبعض كتبه الأخرى ينقل عن السيوطي في مؤلفاته دون عزوٍ إليه ، وجرت في ذلك كائنة تحكي نقلها ابن العماد في «شذرات الذهب» ، وأسوقها ليعلم أن القسطلاني في المواهب يأخذ كلام غيره فلا يكتثر به في «التصحيح» ، وليس معدوداً في أهل التخريج والتعديل والتجريح وإنما هو ناقل ، قال ابن العماد (١٢٢/٨ - ١٢٣) : «ويحكى أن الحافظ السيوطي كان يغض منه ويزعم أنه يأخذ من كتبه ويستمد منها ، ولا ينسب النقل إليها ، وأنه ادعى عليه بذلك بين يدي شيخ الإسلام زكريا ، فألزمته ببيان مدعاه ، فعدد مواضع قال إنه نقل فيها عن البيهقي ، وقال : إن للبيهقي عدة مؤلفات فليذكر لنا ذكره في أي مؤلفاته لنعلم أنه نقل عن البيهقي فنقله برمه ، وكان الواجب أن يقول : نقل السيوطي عن البيهقي .

وحكم الشيخ جار الله بن فهد أن الشيخ رحمه الله قصد إزالة ما في خاطر الجلال السيوطي ، فمشى من القاهرة إلى الروضة إلى باب السيوطي ودق الباب . فقال له : من أنت؟ فقال : أنا القسطلاني ، جئت إليك حافياً مكشف الرأس ليطيب خاطرك علي ، فقال له : قد

---

(١) أعني للتخرير والتصحیح ، وکتبه نافعة مع الاحتراز عن الواهیات التي يسوقها .

طاب خاطري عليك، ولم يفتح له الباب، ولم يقابلها» انتهى النقل عن الشذرات.

وللسيوطي كتاب سماه : «الفارق بين المصنف والسارق» لعله - ولا أجزم - يعني القسطلاني حيث قال فيه : «وأغار على عدة كتب لنا أقمنا في جمعها سنين ، وتبعدنا فيها الأصول القديمة ، وعمد إلى كتابي «المعجزات والخصائص» الطويل والمختصر ، فسرق جميع ما فيها بعباراتي التي يعرفها أولو البصر»<sup>(١)</sup> انتهى .

السادس : قوله : وصححه الزرقاني في «المواهب اللدنية» (ج

٢ ص ٦٢).

أقول : ليس للزرقاني كتاب باسم المواهب ، وكأن الكاتب أراد شرح المواهب .

ثم إن الزرقاني ضعفه ولم يصححه ، فقال (٧٦/١) : «هو غريب مع ضعف راويه» ، فلم ينقل الكاتب ماليس صحيحًا ، ويحرف وكم هو يجيد التلبيس ، ولم يوثق نقله توثيقاً خطأ فيحيل إلى - ج ٢ - وهو في الجزء الأول .

السابع : قال في تعداد من صصح الحديث : «والسبكي في شفاء السقام» ، والسبكي قلد الحاكم في تصحيحه ، والمقلد لا يستكثر به ، قال السبكي ص ١٦٣ : «وقد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم» ١ هـ . والسبكي مقر بوجه ضعفه لكنه قال : «عبدالرحمن بن زيد بن أسلم لا يبلغ في الضعف إلى الحد الذي ادعاه» .

الثامن : أسقط من نقله عن الهيثمي عزو الحديث إلى «المعجم الصغير» للطبراني ، فلزم التنبيه .

(١) ص ٧٤٥ من مجلة عالم الكتب ، ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ ، فقد نشرت رسالة «الفارق» كاملة ، بتحقيق قاسم السامرائي .

## الكلام على الرواية، وإسناد الحديث

ما سبق سُطُرُه ورقمه تجلّى أن الحديث لم يقل بصحة إسناده إلا الحاكم، قال الحاكم في المستدرك (٦١٥/٢) «صحيح الإسناد»<sup>(١)</sup> وهو أول حديث ذكرته لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم» انتهى ، ومدار الحديث عند كل من أخرجه مرفوعاً على عبدالرحمن بن زيد بن أسلم . وما ينبغي التنبيه عليه في هذا الموضع أن الحاكم لا يقبل كلامه هنا عند التحقيق العلمي ، وذلك لأمور :

**الأول :** أنه قال في كتابه «المدخل إلى الصحيح» (١٥٤/١) : «عبدالرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه» ١ هـ وكان قال في أول «المدخل» (١١٤/١) :

«وأنا مبين بعون الله وتوفيقه أساسى قوم من المجرورين من ظهر لي جرهم اجتهاداً، ومعرفة بجرهم، لا تقليداً فيه لأحد من الأئمة، وأتوهم أن روایة أحاديث هؤلاء لا تحمل إلا بعد بيان حا لهم لقول المصطفى ﷺ في حديثه : «من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» انتهى .

وسردهم وذكر منهم عبدالرحمن بن زيد بن أسلم كما نقلناه لك . فهذا تعارض وتناقض من الحاكم ، فما السبب فيه ، وما الحامل له على تصحيح إسناد حديثٍ فيه عبدالرحمن .

**الجواب معلوم عند أهل الحديث والنظر السالم من الهوى ، وهو أنه**

(١) ومن اللطائف أن طبعة المستدرك الهندية ، وقع فيها خطأ مطبعي ، هكذا : «هذا حديث صحيح الإسناد» وصَحِّيَّ من قولك تصْحِيَّ الشيء ، إذا تكسر ، كما في «تاج العروس شرح القاموس» (١٨٦/٢) ، فمعنى : صحيح الإسناد : منكسر الإسناد ، وهذه عجيبة والله حكمة في وقوع هذا الخطأ فتصرروا .

ابتدأ كتابة كتابه المستدرك سنة ٣٩٣ هـ<sup>(١)</sup> أي بعد بلوغه ٧٢ سنة من عمره، قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» ٥/٢٣٣ : «ذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره، ويدل على ذلك : أنه ذكر جماعة في كتاب «الضعفاء» له، وقطع بترك الرواية عنهم، ومنع من الاحتجاج بهم، ثم أخرج أحاديث بعضهم في «مستدركه» وصححها، من ذلك : أنه أخرج حديثاً لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وكان قد ذكره في الضعفاء، فقال : إنه روى عن أبيه أحاديث موضوعه لا تخفي على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه» انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

وجرى على هذا علماء الحديث في شأن المستدرك، ومنه قول السخاوي في فتح المغيث (١/٣٦) : «يقال إن السبب في ذلك أنه صنفه في أواخر عمره وقد حصلت له غفلة وتغير، أو أنه لم يتيسر له تحريره وتنقيحه، ويدل له أن تساهله في قدر الخمس الأول منه قليل جداً بالنسبة لباقيه، فإنه وجد عنده إلى هنا انتهى إملاء الحاكم» انتهى .

وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم راوي الحديث الذي احتاج به مجيزوا التوسل بالذوات ضعيف جداً في الحديث، قاله علي بن المديني، وقال أبو حاتم الرازى : كان في نفسه صالحًا، وفي الحديث واهياً.

وضعفه أحمد وابن معين والبخاري والنسائي والدارقطني وغيرهم كثير، وقال الطحاوى : «حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف».

فهذه عبارة إمام الحنفية في وقته وشيخ المصريين في زمانه، أفيستحل الكاتب أن يتقرب إلى الله ويتبعد بحديث في النهاية من الضعف، كيف تقوى قدماك على التهاسك وأنت تسأل أمام ربك،

---

(١) كما هو مثبت في المساع ج ١ ص ٢ وغيرها.

وبم تتحقق ، وعلى من تتكئ ، أعد للمسألة جواباً ، فإن الأمر عظيم .  
الثاني : أن في إسناد الحاكم والبيهقي رجلاً اسمه عبدالله بن مسلم الفهري ترجمه الحافظ الذهبي في «الميزان» ٤/٥٠ وقال :  
«روى عن إسحاق بن مسلم بن قنب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبراً باطلًا فيه يا آدم لو لا محمد مخالفتك رواه البيهقي في دلائل النبوة انتهى .

قال الحافظ ابن حجر في «السان الميزان» ٣/٣٦٠ «قلت : لا  
أستبعد أن يكون هو الذي قبله فإنه من طبقته» ١ هـ .  
يعني بالذي قبله الترجمة السابقة لترجمة الفهري ، وهو عبدالله بن مسلم بن رشيد قال الذهبي : ذكره ابن حبان متهم بوضع الحديث . . .

الثالث : أن إسناد الحديث ضعفه جماعة كثيرون :  
فمنهم : البيهقي في «دلائل النبوة» ٥/٤٨٦ .  
ومنهم : الذهبي في «تلخيص المستدرك» ٢/٦١٥ ، قال :  
«موضوع» ، وفي الميزان : قال : «باطل» ، فهو موضوع الإسناد باطل  
المتن .

ومنهم : الشيخ تقى الدين بن تيمية حكم بوضعه في «الرد على  
البكري» ص ٦ من مختصره .

ومنهم : ابن عبدالهادي الحافظ نصر القول بوضعه في «الصارم  
المنكي» .

ومنهم : الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢/٣٢٣ قال عن  
راويه وهو متكلم فيه ونقل كلام البيهقي بضعف راويه .  
ومنهم : الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/٢٥٣ .

ومنهم : السيوطي في «تخریج أحادیث الشفاء» (ص ٣٠)  
ومنهم : الزرقاني في «شرح المواهب» ١/٧٦ .

ومنهم : الشهاب الخفاجي في «شرح الشفاء» (٢٤٢/٢).

ومنهم : ملا علي القاري في «شرح الشفاء» (٢١٥/١).

ومنهم : ابن عراق في «تنزية الشريعة» (٧٦/١) ذكر القول  
بيطلانه.

## الوقفة الثالثة في النظر في متن الحديث ودرايته

إن الثابت أن الدعاء الذي به قبل الله توبة آدم هو ما قاله الله في سورة الأعراف ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين﴾.

فهذه هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه. كما قال تعالى : ﴿فتقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه إنَّهُ هو التواب الرحيم﴾.

قال ابن كثير الحافظ في تفسيره (١١٦/١) :

«رُوِيَ هَذَا عَنْ مُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جَبِيرٍ، وَأَبِي الْعَالِيَّةِ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنْسٍ، وَالْخَلِيلِ، وَقَتَادَةَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقَرْظَى، وَخَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، وَعَطَاءِ الْخَرَاسَانِيِّ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ» ١ هـ.

عشرة من أهل العلم فسرها بآية الأعراف، ومنهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم راوي الحديث المنكر في توسل آدم.

وهذا مما يزيد في توهين روایته الحديث المنكر الواهي وهنأ على وهن، ولم يذكر أن أحداً من الصحابة أو التابعين أو تابعيهم فسر الكلمات بتوسل آدم بالنبي محمد ﷺ، بطريق صحيحة ولا ضعيفة، إلا أن تكون واهية موضوعة ولعل قصة مغفرة ذنب آدم بتوليه بمحمد ﷺ تلقاها جهله المسلمين من أهل الكتاب في عيسى عليه السلام، فأرادوا إثبات فضيلة لنبينا محمد ﷺ فقالوا ما قالوا.

نقل الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» (٥٢٤/١) عن عقائد النصارى قوله : «ومسيح عليه السلام درجة فوق ذلك، لأنَّهُ الابن الوحيد، فلا نظير له، ولا قياس له إلى غيره من الأنبياء. وهو الذي

بـ «غفرت زلة آدم عليه السلام» ١ هـ.

فهذا من اعتقاد النصارى، فنافسهم جهلة المسلمين في ذلك.  
قال ص ٤٧ :

بعد سياق حديث لما اقترف... واستشهاد ابن تيمية به.

قال : «فهذا يدل على أن الحديث عند ابن تيمية صالح للاستشهاد والاعتبار لأن الموضوع أو الباطل لا يستشهد به عند المحدثين» الخ..

أقول : بل إن شيخ الإسلام ذكر الحديث في «الرد على البكري» في أوله وحكم عليه بالوضع وأنه أشبه بحكايات بني إسرائيل قال ص ٦ : «هذا الحديث وأمثاله لا يحتاج به في إثبات حكم شرعى لم يسبقه أحد من الأئمة إليه وإثبات عبادة لم يقلها أحد من الصحابة ولا التابعين وتابعיהם إلا من هو أجهل الناس بطرق الأحكام الشرعية، وأضلهم في المسالك الدينية، فإن هذا الحديث لم ينقله أحد عن النبي ﷺ لا بإسناد حسن ولا صحيح، بل ولا ضعيف يستأنس به ويعتضد به» .

وشيخ الإسلام ذكر في غير موضع أن الحديث موضوع، ولكنه لما كان فيما نقل الكاتب طرفاً منه في كلامٍ مع أهل وحدة الوجود ذكر هذين الحديدين بأسانيدهما على خلاف عادته فهو لا يذكر إسناداً إلا نادراً وإنما ساق الأسانيد ليعلم حالهما من طالعهما، وعادة العلماء أن من ساق إسناداً فقد أدى عهده، والحكم عليه بعد ذلك بوضع أو غيره إنما يكون إذا أراد الرد على من يعتمد في لفظٍ من ألفاظه.

ولهذا تجد حفاظ الحديث كأبي نعيم والخطيب ونحوهما، والبيهقي أحياناً يذكرون من الأحاديث الموضعية أو شديدة الضعف ما يعرفه أهل النظر واعتذر عنهم بأنهم يسوقون الأسانيد ومن ساق الإسناد فقد ذكر عواره أو ظلامه إن كان فيه عوار أو ظلمة.

قال ص ٥٠ :

«وفي الحديث التوسل برسول الله ﷺ قبل أن يتشرف العالم بوجوده فيه، وأن المدار في صحة التوسل على أن يكون للمتوسل به القدر الرفيع عند ربه عز وجل وأنه لا يشترط كونه حيًّا في دار الدنيا» . ١ هـ.

أقول : لم يكتف الكاتب بتصحيح حديثٍ موضوع بل استخرج للحكم الوارد فيه عِلْمًا ثم عدى العلة بالقياس إلى غير محل الحكم وإلى غير زمان الحكم .  
وتوضيح هذا :

أن في الحديث توصل آدم بالنبي ﷺ قبل وجوده ، أي قبل حياته ، أي : وهو فاقد الحياة ، ولا معنى للتسلُّه بمن كان كذلك إلا جوازه في الحياة ، وقبلها وبعدها . كذا استنتاج الهوى وقياس الردى .  
ثم إن تخصيص النبي ﷺ عند هذا الكاتب بالتوكُّل لا معنى له حيث قاس كل من كان له عند الله القدر الرفيع على النبي ، بجامع النبوة ، أو الولاية ، أو الكرامة .

وهذا هو عين احتجاج أصحاب القبور المفتونين بعبادتها من دون الله ، عدوا بالقياس دعاء الميت والطلب منه على طلب الدعاء من الحي ، وجادلوا في ذلك ، فلما ظنوا أنه ثبت لهم ما زعموه في حق النبي ﷺ قالوا : لا معنى لاختصاص النبي محمد ﷺ بالدعاء أو الاستشفاع أو نحوه من العبادات ، بل يعود جواز هذا الفعل إلى غيره ﷺ بجامع النبوة إن كان نبيًّا أو الكرامة .  
أو كما قال هذا الفائل هنا :

«المدار في صحة التوسل على أن يكون للمتوسل به القدر الرفيع عند ربه عز وجل» وهذا تمهيد وتقعيد لمسائل لم يفصح عنها في هذا الموضوع .

فانظر هذا التجربة على أحكام الشرع تصحيح الموضوعات، وقياس فاسد لم يقل به عالم قط منذ بعث محمد ﷺ إلى انتهاء القرون الثلاثة الأولى حتى ظهرت القرامطة الباطنية، وأتباعهم «إخوان الصفا» وهم جماعة مشهورة ظهروا في أول القرن الرابع، وهم الذين جلبوا هذا الذي تبناه الكاتب قبله أخذه أهل الضلاله، فانظر ما قاله إخوان الصفا وكيف شرعوا هذا الدين الذي لم يعرفه المسلمون في المئات الثلاث ، فسبحان من صير القلوب إلى قلبيين .

جاء في الرسالة ٤٢ من رسائل إخوان الصفا (٤/٢١) قوله : «اعلم يا أخي أن من الناس من يتقرب إلى الله بأنبائه ورسله وبأنائهم وأوصيائهم أو بأولياء الله وعباده الصالحين، أو بملائكة الله المقربين والتعظيم لهم ومساجدهم والاقتداء بهم وبأفعالهم والعمل بوصاياتهم وستنهم على ذلك بحسب ما يمكنهم ويتقوى لهم ويتحقق في نفوسهم ويؤدي إليه اجتهادهم . فأما من يعرف الله حق معرفته فهو لا يتosل إليه بأحد غيره ، وهذه مرتبة أهل المعرفة الذين هم أولياء الله .

وأما من قصر فهمه ومعرفته وحقيقة فليس له طريق إلى الله تعالى إلا بأنبائه . ومن قصر فهمه ومعرفته فليس له طريق إلى الله تعالى إلا بالأئمة من خلفائهم وأوصيائهم وعباده الصالحين .

فإن قصر فهمه ومعرفته بهم فليس له طريق إلا اتباع آثارهم والعمل بوصاياتهم والتعلق بستنهم والذهب إلى مساجدهم ومشاهدهم والدعاء والصلوة والصيام والاستغفار، وطلب الغفران والرحمة عند قبورهم وعند تماثيلهم المchorة على أشكالهم ، لذكر آياتهم وتعرف أحوالهم من الأصنام والأوثان وما يشكل ذلك طليباً للقربة إلى الله والزلفى لديه .

ثم اعلم أنه على كل حال من يعبد شيئاً من الأشياء ويتقرب إلى

الله تعالى بأحد فهو أصلح حالاً من لا يدين شيئاً ولا يتقرب إلى الله  
البنة» ١٠ هـ.

هكذا أدخل إخوان الصفا الباطنيون الشرك في المسلمين، فانتشر في الجهل انتشاراً، واشتعل فيهم اشتعال اللهب في يابس الشجر، فقام جماعات من العلماء ينكرون هذا، وكان أول أمره غير متضحة غايته، ولا مستعين سبيله، لأن المسلمين لم يكن دين الأصنام فيهم، ثم استبان الشأن، وانكشف الغطاء فأنكره العلماء في القرن الرابع والخامس، ومنهم ابن عقيل الحنبلي، فقال :

«لما صعبت التكاليف على الجهل والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلو بها تحت أمر غيرهم. وهم عندي كفار لهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور، وخطاب الموق بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولاي افعل بي كذا وكذا، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزى» .

فهذا الشرك الأكبر أصله وسببه هذا القياس الفاسد الباطل الذي قاله صاحب المفاهيم، باب التوسل بالذوات الذي لا نقول بأنه شرك بل هو بدعة من الطرق والوسائل لهذا الشرك الأكبر وكل ما كان وسيلة إلى الكفر والشرك فهو منوع يجب سد بابه وإغلاقه ووصده وتربيه حتى لا يفتح مرة أخرى.

ومن في قلبه حب الله وللإسلام الذي جاء به رسوله محمد ﷺ ليغار ويشتد غضباً أن يعود شرك الجاهليه، الذي أزالتهبعثة حبيتنا محمد

عليه السلام .

بتتوسل اليهود به ﷺ وساق فيه أن ابن عباس قال : «كانت يهود خير تقاتل غطfan فلما التقوا هزمت يهود، فدعت يهود بهذا الدعاء، وقالوا إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان أن تنصرنا عليهم . . .» تفسير القرطبي (٢٦ - ٢٧ / ٢) ١ هـ.

وأقول : إن المؤلف أغرب كثيراً في الاستدلال بفعل اليهود الذي نقله ، فمن حيث الرواية : فإن قول ابن عباس ذكره الكاتب غير مخرج ولم يذكر من صحيح إسناده لأنه لم يوجد من صحيحه وقد أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢٦٣ / ٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧٦ / ٢)

من طريق عبد الملك بن هارون بن عنته عن أبيه عن جده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس من كلامه.

وقال الحاكم بعد ذكره الحديث : «أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير وهو غريب» ١ هـ، قال الذهبي في «تلخيصه» : قلت : «لا ضرورة في ذلك ، فعبد الملك متزوك هالك» ١ هـ.

وذكر السيوطي في « الدر المنشور » أن إسناده ضعيف ، وهو لا يقول ضعيف إلا إذا لم يكن في الإسناد حيلة يصحح بها.

والحاكم قد ذكر عبد الملك في المدخل (١ / ١٧٠) وقال «روى عن أبيه أحاديث موضوعة» وعبد الملك هذا كذبه ابن معين وابن حبان والجوزجاني وغيرهم ، وهو الذي وضع حدثاً لفظه : «أربعة أبواب من أبواب الجنة مفتوحة : الاسكندرية وعسقلان وقزوين وعبادان ، وفضل جُدة على هؤلاء كفضل بيت الله على سائر البيوت».

كذب صريح ، ويروح ما يرويه جهله المسلمين ، من لا يغارون على كلام رسول الله ﷺ ، والقوم لهم ولع بالكذوبات ، وإعراض عن الصلاح .

قال شيخ الإسلام في «التوسل والوسيلة» (١/٢٩٩ - ٣٠٠ مجموع الفتاوى) : «قوله تعالى ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إنما نزلت باتفاق أهل التفسير والسير في اليهود المجاورين للمدينة أولاً، كبني قينقاع وقريطة والنظير، وهم الذي كانوا يحالون الأوس والخزرج، وهم الذين عاهدهم النبي ﷺ لما قدم المدينة ثم لما نقضوا العهد حاربهم . . . فكيف يقال : نزلت في يهود خير وغطفان؟

إإن هذا من كذاب جاهل، لم يحسن كيف يكذب .

وما يبين ذلك أنه ذكر فيه انتصار اليهود على غطfan لما دعوا بهذا الدعاء، وهذا مما لم ينقله أحد غير هذا الكذاب» انتهى .

إذا ظهر هذا وإنجل فـالرواية الثابتة الصحيحة ما أخرجه ابن جرير (٢/٣٣٣ ط. شاكر)، وأبو نعيم في الدلائل (١/ من الأصل) والبيهقي في الدلائل (٧٥/٢) كلهم من طريق ابن اسحاق في «سيرته» (ص ٦٣ رواية يونس بن بكير) قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : حدثني أشياخ منا قالوا : لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله ﷺ منا : كان معنا يهود، وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وثن وكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا : إن نبياً مبعوثاً الآن قد أظل زمانه نتبه فنقتلكم قتل عاد وإرم، فلما بعث الله عز وجل رسوله ﷺ اتبعناه وكفروا به، ففينا وفيهم أنزل الله عز وجل ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية .

وهذا إسناد جليل، فإن الأشياخ هؤلاء صحابة أدرکوا الأمر وعلموه فـما أجل هذا وأحسنه .

وقد جاءت أخبار كثيرة في هذا المعنى عن ابن عباس وغيره، تركتها اجتزاءً بما صح، وحذر الملال بسرد الطوال . فالله أعلم وعلم .

حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه في توسل الضرير بدعاء النبي ﷺ في حياته .

أقول : هذا الحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٣٨/٤)، والترمذى في «جامعه» (٥٦٩/٥)، والنسائى في «عمل اليوم والليلة» (٤١٧ - ٤١٨)، وابن ماجه في «سننه» (١٣٨٥)، والطبرانى في «المعجم الكبير» (١٩/٩) والحاكم في «المستدرك» (٣١٣/١) و (٥١٩) وغيرهم .

قال أ Ahmad : ثنا عثمان بن عمر ثنا شعبة عن أبي جعفر قال سمعت عمارة بن خزيمة يحدث عن عثمان بن حنيف به .

ثم رواه أ Ahmad قال : ثنا روح قال : حدثنا شعبة عن أبي جعفر المدينى به .

ثم رواه أ Ahmad قال : ثنا مؤمل قال : حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - قال : حدثنا أبو جعفر الخطمي به .

قال النسائى في «عمل اليوم والليلة» : خالفهما هشام الدستوائى وروح بن القاسم فقلالا : عن أبي جعفر عمر بن يزيد بن خراشة عن أبي أمامة بن سهل عن عثمان بن حنيف .

وهذا الاختلاف علة ، قد يرد بها بعض المحدثين الحديث ، وهى موضع تأمل . وإن ساد رواية شعبة وحماد حسن لا بأس به ، فإن أبا جعفر هو الخطمي المدى كما ثبت في روایات أ Ahmad وغيره ، وهو عمر بن يزيد الأنصاري الخطمي المدى ، قال الحافظ في «القریب» : «صدق» .

ورأى طائفة من أهل العلم ضعف الحديث ، لأن أبا جعفر فيه كلام ، وبعضهم ضعف الإسناد لأجل عدم التثبت أن أبا جعفر هو الخطمي ، معتمدين على نفي الترمذى أن يكون هو الخطمي .

هذا، ولا حجة في الحديث على ما ادعاه مجيزوا التوسل بالذوات والجاه ونحوها، لأنه جارٍ على أصول الشريعة في باب التوسل، وهو التوسل بدعاء النبي ﷺ في حياته، وهو معنى الشفاعة، فمدلول الحديث التوسل بدعاء النبي ﷺ والتوجه بدعائه في حياته، وهذا مما ثبتت به السنة في أمور غير هذا الحديث، فأثبتته أهل السنة والحديث، ولا مراء في هذا، ولا استشكال في معنى الحديث.

ومن ظن أن الحديث فيه توسل بالذات فيلزمه تساؤل، وهو أن يقال كيف يخفى هذا الدعاء الذي فيه توسل بالذات على عميان ومكفوبي الصحابة فلم يستعملوه في حياته ولا بعد مماته، ولا من بعدهم، والناس حريصون على جوارحهم وحواسهم، نعلم من هذا الإلزام أن الحديث إنما فيه التوسل بدعاء النبي ﷺ، لا بذاته، وهذا مقطوع به جزماً، فيبقى الحديث خاصاً بهذا الأعمى وحده ومعجزة لنبينا محمدٍ ﷺ، والحمد لله الموفق للصالحات.

ثم قال الكاتب :

«وليس هذا خاصاً بحياة النبي ﷺ بل قد استعمل بعض الصحابة هذه الصيغة من التوسل بعد وفاته ﷺ».

واستدل له بتعليم عثمان بن حنيف رجلاً له حاجه عند عثمان أن يدعو فيقول : «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمدٍ ﷺنبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيقضي حاجتي، وتذكر حاجتك ..» ففعله فقضى عثمان حاجته.  
هذا مختصر ما رواه الطبراني.

قال : «هذه القصة صاحبها الحافظ الطبراني والحافظ أبو عبد الله المقدسي».

أقول : هنا بدأ صاحب المفاهيم وشرع في تعميته الحقائق، وكفره النقول الصادقة، وأخذه في التمويه على غير المتبعين لمقالاته.

فقال : هذه القصة صاحبها الحافظ الطبراني . . .

وما صاحبها الطبراني وحاشاه ، ولو نقلت ما قاله صدقأً وأمانة لما لبست على المطالع لكلامك ، إذ الثقة فيمن ينسب إلى العلم تعني كثرين عن تتبع نقوله وهل يصدق فيها ولا يحرف أم الشأن استغلال الثقة في نشر وترويج غير الحق .

قال الطبراني في «الصغير» (١/١٨٤) : «لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي - وهو ثقة - وهو الذي يحدث عنه ابنه<sup>(١)</sup> أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلى .

وقد روی هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمر بن يزيد - وهو ثقة - تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة والحديث صحيح» ١ هـ .

فيهذا النقل اتضح أن تصحيح الطبراني للحديث السابق وهو قول الرسول ﷺ ، ولكن القصة لم يعرض لها الطبراني بتصحيح ولا غيره ، بل قال «لم يروه . . . الخ» وهو يشعر بضعف القصة عنده ، وهو الحق .

وبيان هذا أن القصة رواها الطبراني في الصغير والكبير (٩/١٧ - ١٨) . من طريق شيخه طاهر بن عيسى بن قيرس المصري التميمي حدثنا أصبغ بن الفرج حدثنا عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني به .

وهذا الإسناد آفته روایة عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد وهي منكرة عند أهل الحديث لم أر بينهم اختلافاً في ذلك . قال ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٤/١٣٤٧) : «حدث عنه ابن

---

(١) تعرف مطبوعة المعجم الصغير في هذه الجملة ، والتصويب من «جمع البحرين» للهيثمي (١/١٠١) نسخة أحد الثالث بتركيا .

وَهُبْ بِأَحَادِيثِ مَنَاكِيرٍ»، ثُمَّ قَالَ «وَلَعَلَّ شَبِيبَ بِمَصْرَ فِي تِجَارَتِهِ إِلَيْهَا كَتَبَ عَنْهُ أَبْنَ وَهُبَّ مِنْ حَفْظِهِ فَيَغْلُطُ وَهُمْ، وَأَرْجُو أَنَّهُ لَا يَتَعَمَّدُ شَبِيبُ هَذَا الْكَذْبِ» ۱ ھـ.

وَالْقَصَّةُ مَدَارُهَا عَلَى هَذَا الإِسْنَادِ، فَالْمُتَنَّ مُنْكَرٌ، وَلَا خَيْرٌ فِي مُنْكَرٍ. - ثُمَّ مَا يَدْلِلُ عَلَى هَذِهِ النَّكَارَةِ أَنَّ الْحَدِيثَ رَوَاهُ الْحَاكمُ (۵۲۶/۱) ۵۲۷ وَابْنُ السِّنِيِّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» ص ۱۷۰ طـ. الْهَنْدُ مِنْ طَرِيقِ أَحْمَدَ بْنِ شَبِيبٍ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ ثَنَا أَبِي عَنْ رُوحِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْمَدْنِيِّ وَهُوَ الْخَطْمَيِّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حَنْيَفَ عَنْ عَمِّهِ عُثْمَانَ بْنَ حَنْيَفَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ دُونَ الْقَصَّةِ.

وَهَذَا الرَّوَايَةُ أَصَحُّ، لِأَنَّهَا مِنْ رَوَايَاتِ أَحْمَدَ بْنِ شَبِيبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ الْحَافِظُ فِي التَّقْرِيبِ فِي تَرْجِمَةِ شَبِيبٍ : «لَا بَأْسَ بِحَدِيثِهِ مِنْ رَوَايَاتِ أَبِنِهِ أَحْمَدَ عَنْهُ لَا مِنْ رَوَايَةِ أَبِنِ وَهُبِّ» ۱ ھـ.

فَأَحْمَدُ بْنُ شَبِيبٍ وَهُوَ الرَّاوِيُّ الْمُخْتَصُ بِأَبِيهِ لَمْ يَذْكُرْ الْقَصَّةَ عَنْ أَبِيهِ وَهِيَ مِنْ نَفْسِ الطَّرِيقِ الَّتِي رَوَاهَا أَبْنَ وَهُبَّ عَنْ شَبِيبٍ فَدَلَّ تَفَرِّدُ أَبِنِ وَهُبَّ عَنْ شَبِيبٍ عَلَى نَكَارَتِهَا وَدَلَلتُ مُخَالَفَةُ رَوَايَةِ أَبِنِ وَهُبَّ عَنْ شَبِيبٍ - وَهِيَ مُنْكَرَةٌ - لِرَوَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ شَبِيبٍ عَنْ أَبِيهِ شَبِيبٍ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى شَدَّةِ نَكَارَتِهَا وَبِطْلَانِهَا، وَأَنَّهَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مُكَذَّبَةً.

إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا فَالْقَصَّةُ إِمَامَكَذَبَةٍ أَوْ مُنْكَرَةً لِلْأَمْرَوْنِيِّ ذَكَرْنَا، وَهِيَ حَجَّةٌ كَافِيَّةٌ نَاصِعَةٌ بِيَضْاءِ مَنْ أَرَادَ اللَّهَ تَبَصُّرَتْهُ، وَمَنْ يَضْلُّ اللَّهُ فِيمَالَهُ مِنْ هَادِ.

وَالْعَجَبُ مِنْ صَاحِبِ الْمَفَاهِيمِ كَيْفَ يَكُونُ حَبَّهُ لِلْمُنْكَرَاتِ وَالْوَاهِيَّاتِ أَشَدُ مِنْ حَبَّهُ لِمَا صَحَّ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ حَقَّهُ نَفِيُ الْكَذْبِ عَنْهُ وَتَرْكُ الْوَاهِيَّاتِ الْمُنْسُوبَةِ لِهِ، لَا نَشْرِهَا وَتَرْوِيجُهَا. وَفِي الإِسْنَادِ شِيخُ الطَّبرَانِيُّ طَاهِرُ بْنُ عَيْسَىٰ، وَهُوَ مُجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ

بالعدالة، ذكره الذهبي ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً فهو مجهول الحال، لا يجوز الاحتجاج بخبره لا سيما فيما يخالف نصوص الكتاب والسنّة. قاله الشيخ سليمان بن عبد الله في «تيسير العزيز الحميد» ص ٢١٢ ط - الأولى.

قال - ص ٥٤ :

إن عثمان بن حنيف «علم من شكا إليه إبطاء الخليفة عن قضاء حاجته هذا الدعاء الذي فيه : التوسل بالنبي ﷺ والنداء له ، مستغثياً به بعد وفاته ﷺ ». ١ هـ.

أقول : هذه ثلاثة الأثافي ، وقاصمة الظهر ، أنسنتنا ما قبلها من التوسل البدعي فإذا الشأن في النداء للموتى والاستغاثة بهم ، فما كنت أظن أن يبلغ صاحب المفاهيم هذا المبلغ من الهوى حتى رأيت رقمه بيانه ، قوله بلسانه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ويا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك .

وهذا القول فاسد مناهض لدين الإسلام ، موافق لما عليه أهل الجاهلية من الاستغاثة بالأنباء والصالحين وندائهم لكشف المهمات ورفع المدهمات ، ألم يقرؤ هؤلاء القرآن ، ويسمعون قول سلف الأمة من الصالحين .

أما قرئا قوله تعالى : ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَبَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيْمَنًا أَقْرَبًا وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ .

ففي هذه الآية إنكار عام على كل من دعا من دون الله شيئاً ، جنباً أو نباً فكلمة (الذين) في الآية اسم موصول ، والأسماء الموصولة من صيغ العموم عند الأصوليين وال نحوين كما هو مقرر في هذين العلمين . قوله (الذين) يعم كل من دعى من دونه تعالى في كشف

الضر أو تحويله، فعمت الأنبياء والصالحين وغيرهم من الملائكة والجن فالدعاء لهؤلاء لا يجوز، فإنه دين الجاهلية والشركين وصور هذا الدعاء كثيرة فمنها النداء للموتى أنبياء أو غيرهم كما هو ظاهر من الآية، ومنها الاستغاثة فالأنبياء والصالحون بعد مماتهم لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، فكيف يملكون لغيرهم. فهذه الآية تظهر دين الشركين وتبيّنه فيما لهؤلاء يعودون إلى دين الشركين. ما لهم يدعون دين الرسل المتيقن، ويرضون بدين الجاهلية الباطل.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٢٤ من رده على ابن جرجيس : « وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ أَمْوَاتَ غَيْرِ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾ وليست هذه الآية في الأصنام كما يزعمه من لم يتدارك، لأن (الذين) لا يخبر به إلا عن العقلاء، ولأن الأصنام من الأخشاب والأحجار لا يخلوها الموت، فإنها لم تخلوها الحياة حتى يخلوها الموت، ولأنها لا تبعث يوم القيمة بعث الإنسان ليجزى بما كسبت يداه، ولا يعقل منها شعور بهذا البعث حتى ينفيه الله عنها، وقد قال تعالى : ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾ فهذه الآية فيمن يموت ويبعث، كما لا يخفى على من تدبرها، وتأمل قوله تعالى ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾ وهذا إنما يستعمل فيمن يعقل كما لا يخفى على من له معرفة باللغة العربية، فالحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة . »

عَوْدًا إلى استدلاله الفاسد بقول المكروب بعد موت النبي ﷺ « يا محمد إني أتوجه بك إلى ربِّي » وأي دليل في هذا بعد معرفة بطلان الحديث ونكارةه، أفيحتاج بالمنكريات والأباطيل ، إنه لعجب عجيب وأمر غريب واستدلال مريب ، فتنزل معهم في المناظرة بالكلام على معنى هذا اللفظ فأقول :

أولاً : أيكون قولك وقول المسلمين في «التشهد» : السلام عليك

أيها النبي . . . نداءً للنبي بعد مماته، أينادي المسلمين النبي في كل صلاة، أم أن لفظ النداء هنا لاستحضار منزلة الرسول ﷺ ليكون أمكن في القلب لما يجب في حقه من تعزيره وتوقيره ونصرته فما استدل واحد من العلماء المحتدين بالتشهد على دعوى جواز مناداة النبي بعد موته، وهذا إجماع لا خلاف فيه.

وهذا الأثر - مع نكاراته الشديدة - من هذا الباب إنما يكون لاستحضار ما قلنا في لفظ المصلي في التشهد، وهو التفات، والالتفاتات له مقتضيات معلومة في فنون المعاني والبيان وأقول هذا تنزلاً في المجادلة وإلا فما ينبعي ابتداءً، والمناسب هنا ما ذكرنا آنفاً.

ثانياً : غاية ما في هذا الأثر المنكر الضعيف أنه توجه بالنبي ﷺ في الدعاء، فأين هذا من دعاء الميت. فإن التوجه بالملحوقات سؤال به لسؤال منه، وكل أحد يفرق بين سؤال الشخص وبين السؤال به، فإنه في السؤال به قد أخلص الدعاء للله، ولكن توجه إلى الله بذاته، وأما في سؤاله نفسه ما لا يقدر عليه إلا الله فيكون قد جعله شريك الله في عبادة الدعاء فليس في حديث الأعمى وحديث ابن حنيف هذا إلا إخلاص الدعاء الله كما هو صريح فيه، إلا قوله يا محمد إنيأتوجه بك، وهذا ليس فيه المخاطبة للميت فيها لا يقدر عليه إنما فيه مخاطبته مستحضرأ له في ذهنه كما يقول المصلي. السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته<sup>(١)</sup> كما أوضحته في الوجه الأول.

ثالثاً : أيكون هذا الدعاء الذي تفرج به الكروب، وتزول به الشدائـد المـهـلكـاتـ، وتحصلـ بهـ المنـجـياتـ خـفـياًـ عـلـىـ الـأـمـةـ فـلـمـ يـسـتـعـمـلـوهـ حينـ أـصـابـتـهـمـ الشـدـةـ وـالـضـيقـ، قـحـطـ الـمـسـلـمـوـنـ فـيـ زـمـنـ عـمـرـ فـتـوجـهـوـ بالـعـيـاسـ أـيـ بـدـعـائـهـ وـالـرـسـوـلـ ﷺ مـيـتـ عـنـهـمـ، وـأـصـابـ الـمـسـلـمـيـنـ

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢١٢.

فتن في زمن عثمان وعلي وبعده محن وأمور لا يعلم شدتها إلا الله فلم يُستعملوه، أين زعمكم يا أرباب الحجا! وأصحاب الفهوم .  
قوله ص ٥٤ :

ولما ظن الرجل أن حاجته قضيت بسبب كلام عثمان مع الخليفة بادر ابن حنيف بنفي ذلك الظن، وحدثه بالحديث الذي سمعه وشهده ليثبت له أن حاجته إنما قضيت بتوسله به ﷺ وندائه له واستغاثته به » ١ هـ .

أقول : هذا افتراء على صحابي جليل شهد بدرأً وما بعدها ، وقول بالظن ، والظن أكذب الحديث ، وجراة ما بعدها جراءة .

وقد قدم كلامه هذا بمقدمة فيها أن القصة صحيحة صححها الطبراني والمقدسي ونقل تصحيحهم لها المنذري والهيثمي وغيرهم . وهذا هو ظاهر إذ أن كلام الطبراني كما سبق نقله بحروفه إنما هو في تصحیح الحديث أي : المرفوع ، ولم يقل (القصة صحيحة) بل قال : (الحديث صحيح) ولیت شعری أما اقشعر بدن كاتب المفاهيم وهو یفتری هذه الافتراطات وینقل ويکذب في النقل ، ﴿إنما یفتری الكذب الذين لا یؤمنون﴾ ، ولا شك أن افتراءً كهذا على صحابة رسول الله ﷺ وعلى حفاظ المسلمين وأئمتهم تشق قراءته وتشق رؤيته .

قال ص ٦٨ معنوناً : «التوسل به في المرض والشدائد» .

عن الهيثم بن [حنث]<sup>(١)</sup> قال : كنا عند عبدالله بن عمر رضي الله عنها فحضرت رجله ، فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك .  
فقال : يا محمد . فكأنما نشط من عقال .

وعن مجاهد قال : خدرت رجُلُ رَجُلٍ عند ابن عباس رضي الله عنها فقال له ابن عباس : اذكر أحب الناس إليك .

---

(١) وحرّف اسم الراوي في «المفاهيم» إلى الهيثم بن حَنْسَ ، فصحته .

قال : محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذهب خدره .

ثم قال : فهذا توسل في صورة النداء . » ١ هـ .

أقول : الكلام هنا في أمرين :

الأول : الرواية : فالخبر الأول أخرجه ابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (رقم ١٧٠) قال : حدثنا محمد بن خالد بن محمد البرذعى قال : ثنا حاجب بن سليمان قال : ثنا محمد بن مصعب ، قال : ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الهيثم بن حنش به .

وهذا إسناد ضعيف جداً ، فيه علل كثيرة :

منها : أن محمد بن مصعب القرقسانى ضعيف عندهم ، قال ابن معين : لم يكن من أصحاب الحديث كان مغفلًا . وقال النسائي : ضعيف ومثله عن أبي حاتم الرازى .

وقال ابن حبان : «يقلب الأسانيد ، ويرفع المراسيل لا يجوز الاحتجاج به» وقال الإسماعيلي : محمد بن مصعب من الضعفاء . وقال الخطيب : كان كثير الغلط لتحديثه من حفظه .

وقال أحمد : ليس به بأس ، ونحوه عن ابن عدي . ووثقه ابن قانع وابن قانع من المتساهلين .

فمن هذا يتضح ضعفه كما ذهب إليه أئمة أهل العلم .

وأما قول أحمد : ليس به بأس ، يعني في نفسه فهو صدوق في نفسه ، ولكنه ضعيف الحديث .

ومنها : أن الهيثم بن حنش مجهول العين ، قال الخطيب في «الكفاية في علوم الرواية» . ص ٨٨ : «المجهول عند أصحاب الحديث هو كل من لم يشتهر بطلب العلم في نفسه ، ولا عرفه العلماء به ، ومن لم يعرف حديثه إلا من جهة راوٍ واحد ، مثل عمرو ذي مر ، وجبار الطائي ، وعبد الله بن أغر أهْمَدَانِي ، والهيثم بن حنش . . . هؤلاء كلهم لم يرو عنهم غير أبي إسحاق السبيسي» ١ هـ .

ومنها : أن أبا إسحاق السبيسي مدلس ، وقد عنعنه عن هذا المجهول .

ومنها : أن أبا إسحاق قد اخْتَلَطَ ، وما يدل على تخلطيه في هذا الحديث أنه رواه تارة عن أبي شعبة (أو أبي سعيد) وتارة عن عبد الرحمن بن سعد . وهذا اضطراب يرد به الحديث .

وأمثل ما روي في هذا الباب وأصحه على تدليس أبي إسحاق فيه ، مارواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٦٤) قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن سعد قال : خدرت رجل ابن عمر ، فقال له رجل : أذكر أحب الناس إليك . فقال محمد .

وهذه الرواية أصح ما روي ، وأفادت فوائد :

**الأولى** : قول ابن عمر : محمد ، بدون حرف النداء ، والشائع عند العرب - كما سيأتي - استعمال يا النداء في تذكر الحبيب ليكون أكثر استحضاراً في ذهن الخادرة رجله ، فتنطلق .

وابن عمر عدل عن الاستعمال الشائع إلى غيره لما في الشائع من المحذور .

**الثانية** : أن تذكره للنبي ﷺ ، وأنه أحب الناس إليه هو الحق ، لأنه لا يؤمن أحد حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من والده ووالده والناس أجمعين . بل ومن نفسه التي بين جنبيه .

وهذا ما نعقد عليه قلوبنا ، بهداية ربنا .

**الثالث** : أن سفيان من الحفاظ الأثبات ، فنقله خبر أبي إسحاق بهذا اللفظ يدل على أنه هو المحفوظ ، وسواء غلط مردود .

**وأما الخبر الثاني** : فأخرجه ابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (١٦٩) . وفي إسناده : غياث بن إبراهيم كذبواه . قال ابن معين : كذاب خبيث . ولفظه في تذكره (محمد) مجرد من حرف النداء . فلا

حجّة فيه، والكلام فيه على نحومامر في قول ابن عمر.  
الأمر الثاني : في الدراء :

يقال لهذا المستدل : غاية ما ذكرته أن فيه ذكراً للمحبوب، لا طلب حاجة منه أوبه أن يزال مابه، ولا أن يكون واسطة لإزالة خدر الرجل، وليس فيه توسل، وإنما لكان لازماً أن من ذكر محبوبه فقد استغاث به وتوسل به في إزالة شدته، وهذا من أبطل الباطل، وأعمل المحال.

فما قوله إذا ذكر الكافر حبيبه فزال خدرُ رجله وانتشرت بعد قيد وخدور، أفيكون توسل به ويكون من يزيل الأمراض والأحدار سبحانه تعالى قد قبل هذه الوسيلة !

وهذا الدواء - التجربى - للخدر كان معروفاً عند الجاهليين قبل الإسلام جُرْب فنفع، وليس فيه إلا ذكر المحبوب، وقيل في تفسير ذلك : إن ذكره لمحبوبه يجعل الحرارة الغريزية تتحرك في بدنـه، فيجري الدم في عروقه، فتحرك أعصاب الرجل، فيذهب الخدر.

وجاءت الأشعار بهذا كثيراً في الجاهلية والإسلام :

فمنها : قول الشاعر :

صَبْ حَبْ إِذَا مَا رَجْلُهُ خَدَرَتْ  
نادى (كُبَيْشَةً) حتى يذهب الخدر

وقول الآخر :

عَلَى أَنَّ رَجْلِي لَا يَزَالُ أَمْذِلَّ لَا هُمْ  
مَقِيمًا بِهَا حَتَّى أَجِيلُكِ فِي فَكْرِي

و قال كثير :

إِذَا مَذَلْتُ رَجْلِي ذَكَرْتُكِ أَشْتَفِي  
بِدَاعُوكَ مِنْ مَذْلِي بِهَا فِيهُون

وقال جميل بشينة :  
وأنت لعْنِي فَرَّ حين نَلَقْتُني  
وذِكْرُك يَشْفِينِي إذا خَدَرْتُ رجلي  
وقالت امرأة :

إذا خدرت رجلي دعوت ابن مصعب  
فإن قلت : عبد الله أجمل فتوها

وقال الموصلي :  
والله ما خَدَرْتُ رجلي وما عَشَرْتُ  
إلا ذكرتُك حتى يذهب الخدر

وقال الوليد بن يزيد :  
أثبي هائماً كلفاً معنّى

إذا خدرت له رجل دعاك<sup>(١)</sup>  
وغير ذلك من الأشعار أفيقال : إن هؤلاء توسلوا بمن يحبونه ، من  
نساء وغلمان ، وأجيب سوهم ، وقبلت وسيلتهم !!!

وقال ص ٦٨ معنوناً :  
«التوسل بغير النبي ﷺ» .

ونقل أحاديث من «مجمع الزوائد» للهيتمي (١٣٢ / ١٠) .  
والهيتمي الحافظ بوب هذه الأحاديث بقوله : «باب ما يقول إذا  
انفلتت دابته أو أراد غوثاً أو أضل شيئاً» ساقه ضمن أبواب أدعية  
السفر.

وفقه الهيثمي في هذا التبويب ظاهر، وأما من بوب بـ «التوسل بغير  
النبي ﷺ» فليس بفقهه في النصوص ، وسألين هذا .  
استدل صاحب المفاهيم تحت هذه الترجمة بأحاديث :

(١) بلوغ الأربع (٤٢١ - ٣٢٠ / ٢).

قال : «عن عتبة بن غزوان عن نبی اللہ ﷺ قال : «إذا أصل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس بها أئمہ فليقل يا عباد الله أعينوني ، فإن اللہ عباداً لا نراهم . وقد جرب ذلك»... رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن يزيد بن علي لم يدرك عتبة» انتهى كلامه .

والكلام عليه من أوجه :

الأول : ما وقع في نقله من التحريرات ، فمنها أنه جعل قوله «وقد جرب ذلك» من کلام رسول الله ، إذ أدخله بين الحاضرين وهو ليس من کلامه إنما من قول بعض الرواة المتأخرین كما سيأتي . ومنها : أن (يزيد) محرفة وصوابها زید بن علی ، كما هو في معجم الطبراني .

الثاني : الحديث رواه الطبراني في «معجمه الكبير» (١١٧ / ١٧) من طريق أحمد بن يحيى الصوفي ثنا عبد الرحمن بن شريك<sup>(١)</sup> حدثني أبي عن عبدالله بن عيسى عن زيد بن علی عن عتبة بن غزوان مرفوعاً .

قال الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» : «أخرجه الطبراني بسندٍ منقطع» ١ هـ .

ويقال : ومع الانقطاع ففي إسناده کلام من وجهين :  
١ - عبد الرحمن بن شريك : قال أبو حاتم : واهي الحديث ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : ربما أخطأ ، ذكر ذلك ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ولم يذكر سوى هذين القولين .

٢ - شريك والد عبد الرحمن هو ابن عبدالله النخعي القاضي المشهور ، قال الحافظ في «التقریب» : «صدوق ، ينطوى كثيراً ، تغير

(١) هكذا في نسختي المchorة عن مکبة أحد الثالث (٩/٢٧) وقد تعرفت في المطبوعة إلى : عبد الرحمن بن سهل .

حفظه منذولي قضاء الكوفة، وكان عادلاً فاضلاً عابداً، شديداً على  
أهل البدع» ١ هـ.

فاجتمع في هذا الإسناد ثلث آفات : الانقطاع، وضعف  
عبدالرحمن، وضعف شريك. فالإسناد ضعيف بيقين.

وقال : «وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : إن الله ملائكة  
[في الأرض] سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا  
أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاةٍ فليناد أعينوني يا عباد الله». رواه  
الطبراني ورجاه ثقات ١ هـ نقله عن «مجمع الزوائد».

أقول : وفي نسخة من «مجمع الزوائد»، رواه البزار، ولعله  
أصوب، فإن أثر ابن عباس أخرجه البزار في «البحر الزخار»، وذكره  
الميثمي في «كشف الأستار» (٤ / ٣٣ - ٣٤) قال البزار : «حدثنا  
موسى بن إسحاق ثنا منجات بن الحارث ثنا حاتم بن إسماعيل عن  
أسامة بن زيد عن أبيان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول  
الله ﷺ قال : ذكره.

قال البزار : «لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بهذا اللفظ إلا بهذا  
الإسناد» ١ هـ.

وفي هذا الإسناد نظر :

١ - أسامة بن زيد هو الليثي المدنى. عدله بعضهم وجرح حدثه  
آخرون.

قال أحمد بن حنبل : ليس بشيء. رواها الأثرم عنه.

وقال عبدالله بن أحمد لأبيه : أراه حسن الحديث.

فقال : إن تدبرت حدثه فستعرف فيه النكرة. وكان يحيى بن  
سعید يضعفه.

وقال أبو حاتم : يكتب حدثه ولا يحتاج به.

وقال النسائي : ليس بالقوى.

وقال البرقي : هو من يضعف ، وقال : قال لي يحيى : أنكروا عليه أحاديث .

هذه حكاية أقوال بعض من تكلموا فيه .  
ومن وثقه : ابن معين في رواية أبي يعلى ، وكذا نحوه في رواية عباس .

وفي رواية الدارمي عن ابن معين : ليس به بأس .  
وبتعمق ابن معين ابن عدي فقال : ليس بحديثه بأس .  
ووثقه ابن شاهين ، وابن حبان وزاد : « يخطئ » .  
ومن تدبر هذه الأقوال علم أن ما تفرد به حقه الرد ، فإن توبع قبل ،  
ومن أحاديثه التي تفرد بها حديث ابن عباس .

٢ - حاتم بن إسماعيل الراوي عن أسامة بن زيد قال فيه الحافظ : « صحيح الكتاب صدوق بهم » ١ هـ .

قال الشيخ ناصر الألباني : « خالفه جعفر بن عون فقال : ثنا أسامة بن زيد . . . فذكره موقوفاً على ابن عباس .

أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » ( ٤٥٥ / ٢ )  
وجعفر بن عون أوثق من حاتم بن إسماعيل فإنهما وإن كانوا من رجال الشيوخين فال الأول منها لم يخرج بشيء ، بخلاف الآخر ، فقد قال فيه النسائي : ليس بالقوي ، وقال غيره : فيه غفلة .  
ولذلك قال فيه الحافظ : صحيح الكتاب صدوق بهم .

وقال في جعفر : « صدوق » .  
ولذلك فالحديث عندي معلول بالمخالفة » أهـ .

٣ - تفرد أسامة به ، وقد تقدم أن تفرد ضعيف الحفظ يعد منكرا إذا لم تؤيده أصول صريحة صحيحة .

وقال الحافظ ابن حجر : « هذا حديث حسن الإسناد ،  
غريب جداً » ١ هـ من شرح ابن علان للأذكار ( ٥ / ١٥١ ) ومن

المعلوم أن حسن إسناده لا يدل على حسن الحديث دائمًا .  
والحديث على ضعفه من أبواب الأذكار لا يدل على ما يدعيه  
المبطلة من سؤال الموتى ونحوهم ، بل إنه صريح في أن من يخاطبه  
ضال الطريق هم الملائكة ، وهم يسمعون مخاطبته لهم ، ويقدرون  
على الإجابة بإذن ربهم ، لأنهم أحياً ممكّنون من دلالة الضال ، فهم  
عبدُ الله ، أحياً يسمعون ويخبئون بما أقدرهم عليه ربهم وهو إرشاد  
ضال الطريق في الفلاة . ومن استدل بهذه الآثار على نداء شخصٍ  
معين باسمه فقد كذب على رسول الله ﷺ ، ولم يلاحظ ويتذكر كلام  
النبي ﷺ ، وذاك سيماً أهل الأهواء .

إذاً تبين هذا فالآثار من الأذكار التي قد يتتساهم في العمل بها مع  
ضعفها لأنها جارية على الأصول الشرعية ، ولم تختلف النصوص  
القرآنية ، والأحاديث النبوية ، ثم هو مخصوص بما ورد به الدليل ، لأن  
هذا مما لا يجوز فيه القياس لأن العقائد مبناتها على التوقيف .  
ولهذا روى عبدالله بن أحمد في «المسائل» (ص ٢٤٥) عن أبيه  
قال : «ضللت الطريق في حجة وكنت مأشياً فجعلت أقول يا عبد  
الله دلونا على الطريق ، فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على  
الطريق» .

فما بَوَبَ به صاحب المفاهيم هذا الحديث وأشباهه  
بقوله : «التوسل بغير النبي ﷺ» هو من عدم تدبر الأحاديث وفهمها  
كما فهمها أئمة العلماء فلم يقل عالم من المتقدمين إنها دليل في التوسل  
بغير النبي ﷺ كيف وقد أجمعوا على منعه .

وقال ناقلاً عن «جمع الزوائد» وعن عبدالله بن مسعود أنه قال  
: قال رسول الله ﷺ : «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة : فليناد  
ياعباد الله احبسوها ، فإن الله حاضرًا في الأرض سيحبسها» .

رواه أبو يعلى والطبراني ، وزاد : «سيحبسه عليكم » وفيه

المعروف بن حسان وهو ضعيف ١ هـ.

أقول : الحديث في «المعجم الكبير» (١٠/٢٦٧) ثنا إبراهيم بن نائلة، ومسند أبي يعلى (٤٤/٢) وفي «عمل اليوم والليلة» لابن السنفي (ص ١٣٦) من طريق أبي يعلى . كلامها قال : ثنا الحسن بن عمر بن شقيق ثنا معروف بن حسان (أبو معاذ) السمرقندى عن سعيد بن أبي عروبة عن عبدالله بن بريدة عن عبدالله بن مسعود به مرفوعاً .

وهذا إسناد ضعيف لأمور :

١ - معروف بن حسان : قال أبو حاتم : «مجهول» ، وقال ابن عدي : «منكر الحديث» ، قلت : هو الراوي عن ابن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً : «من ربى شجرة حتى نبت كان له كأجر قائم الليل صائم النهار» وهو حديث موضوع ، رواه الكنجروذى في «الكنجروذيات» (١/١) .

٢ - سعيد ابن أبي عروبة : اختلط ، قال النسائي : من سمع منه بعد الاختلاط فليس بشيء . ومعروف بن حسان من الصغار ، ولم يسمع منه قبل الاختلاط إلا الكبار ، وسمع منه قبل استحکام اختلاطه جماعة ، وسمع منه بعد استحکام الاختلاط كثير . وكان بدأ اختلاطه سنة ١٣٢ هـ واستحکم ١٤٨ هـ ، أفاده البزار .

٣ - تدليس سعيد بن أبي عروبة : قال الحافظ «كثير التدليس» . وروى هذا الحديث معنعاً عن ابن بريدة فلا يقبل .

٤ - قال الحافظ في «نتائج الأفكار» : «حديث غريب أخرجه ابن السنفي وأخرجه الطبراني ، وفي السند انقطاع بين ابن بريدة وابن مسعود» ١ هـ . فهذه علة رابعة ، أفادها الحافظ وهي الانقطاع .

٥ - روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٢٤ - ٤٢٥/١٠) : ثنا

يزيد بن هارون قال أخبرنا محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح أن  
رسول الله ﷺ قال : فذكره .

وهذا الإسناد معرض ، وتدلisis ابن إسحاق مشهور ، فهذه علل  
تلُّ علل ، ليس لها دواء من التلف ، وإسناده مطروح .

ولهذا كله لم يصحح أو يحسن هذا الحديث أحدٌ من له معرفة أو  
مشاركة في علم الحديث ، بل إما ضعف ، أو ناقل تضييف غيره .

وبعد : فقول صاحب المغاهيم ص ٦٩ :

— «فهذا توسل في صورة النداء» من الدعاوي العريضة لغة ،  
وشرعًا .

فأما اللغة : فلا يعرف أن من صور التوسل النداء ، بل النداء  
دعاءٌ وطلب مباشر ، لمنادي حاضر يسمع ويجيب ، والتتوسل جعل  
القرب سببًا لقبول الدعاء .

وأما الشرع : فالآحاديث ضعيفة ، والأول والثالث شديداً  
الضعف ، والثاني : والذي فيه ذكر الملائكة ضعيف وغريب جداً ، ولا  
دلالة فيه على المدعى وهو التوسل ، إذ هذا نداء حي يقدر على  
إجابتة .

وما أحسن ماروى الهروي في «ذم الكلام» (٤/٦٨) : «أن  
عبد الله بن المبارك ضل في بعض أسفاره في طريق ، وكان قد بلغه أن  
من اضطر في مفازة فنادي : عباد الله أعينوني ! أعين . قال : فجعلتُ  
أطلب الجزء أنظر إسناده .

قال الهروي : فلم يستجز أن يدعوا بداعٍ لا يرى إسناده<sup>(١)</sup> هـ .  
فهذه طريق السلف ، وأتباعهم البحث في الأسانيد ، وصنيع بعض  
الخلف وأتباعهم الفرح بكل ما يؤيد رأيهم ولو بالموضوعات  
المكذوبات ، ولا يغارون على سنة المصطفى محمد ﷺ .

---

(١) سلسلة الآحاديث الضعيفة ٢/١٠٩ .

وقال ص ٦٩ :

«وجاء في الحديث أن النبي ﷺ كان يقول بعد ركعتي الفجر : (اللهم رب جرائيل وإسرافيل وmicail و محمد ﷺ أعوذبك من النار) . . .»

ثم قال :

«وتحصيص هؤلاء بالذكر في معنى التوسل بهم فكانه يقول : اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بجبريل . . الخ . وقد أشار ابن علان إلى هذا في الشرح» انتهى كلامه .

أقول : في ما قاله تعلييل لقول رسول الله ﷺ وتحليل لما في نفسه ﷺ ، وإلا فما أدراه عما في قلبه ﷺ حتى يقول «كأنه يقول» ، هذا تجرؤ عظيم على مقام الرسالة .

ثم أيدَ تجرؤه بنسبته ذلك إلى ابن علان في «شرح الأذكار» (١٤١/٢) ، وما قاله ابن علان ولا أشار إليه ، ولكنه تحريف تبديل ، وصنفه مذموم ردئ .

فهاك ما قاله ابن علان في «شرح الأذكار» قال : «إنما خصمهم بالذكر - وإن كان تعالى رب كل شيء - لما تقرر في القرآن والسنة من نظائره من الإضافة إلى كل عظيم المرتبة وكبير الشأن ، دون ما يستحضر ويستصغر» ثم قال : «فالتوسل إلى الله سبحانه بربوبية الله هذه الأرواح العظيمة الموكلة با لحياة له تأثير عظيم في حصول الحاجات ووصول المهام» ١ هـ .

وهو كلام جيد من ابن علان ، فالتوسل بربوبية الله هذه الأرواح لا بالأرواح ، وهو توسل بصفةٍ من صفات الله العلي ، وهذا التوسل بما يحبه الله ويرضاه ، واختاره رسوله وانتقامه .

ف مجرد المتابعة لرسوله ﷺ وذر الخائضين ذوي المين والحين ، محبي إفساد ذات البين .

وعقد صاحب المفاهيم ص ٦٩ عنواناً قال فيه معنوناً : «معنى توسل عمر بالعباس». قلب فيه ما قاله العلماء في معنى هذا التوسل وأنه توسل بالدعاء لأن العباس يملكه. فقال عجباً، فاسمعه: «من فهم من كلام أمير المؤمنين أنه إنما توسل بالعباس ولم يتتوسل برسول الله ﷺ لأن العباس حي والنبي ميت» : فقد مات فهمه، وغلب عليه وهمه، ونادى على نفسه بحالة ظاهرة، أو عصبية لرأيه قاهره. فإن عمر لم يتتوسل بالعباس إلا لقرباته من رسول الله ﷺ ..

أقول : ما أعجب هذا وأسهل صده ورده، وإنما أتي كاتبه من أمررين :

الأول : شهوة خفية تُرى خلَّ أسطر قوله، وأحرفه.

الثاني : قلة التتبع والفقه لمعنى الاستسقاء بالصالحين وتاريخه.

فقد صح أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه استسقى بـ «يزيد بن الأسود». قال الحافظ العلم يعقوب بن سفيان في كتابه «المعرفة والتاريخ» (٣٨٠-٣٨١ / ٢) : حدثنا أبو اليهان قال حدثنا صفوان عن سليم بن عامر الخبائي : أن السباء قحطت، فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر قال : أين يزيد بن الأسود الجرشبي؟ فناداه الناس. فأقبل يتخطى الناس فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه، فقال معاوية : اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود الجرشبي. يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يزيد يديه، ورفع الناس أيديهم.

فما كان أو شك أن فارت سحابة في الغرب كأنها تُرس، وهبت لهاريج، فسقينا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٧/٤٤٤) وأبو زرعة في «تاريخ

دمشق» (١/٦٠٢) وإنسانه مسلسل بالثقات الكبير، فهو في غاية الصحة.

فهذا معاوية الصحابي رضى الله عنه فهم من الاستسقاء بالنبي ﷺ حال حياته أن النبي ﷺ يدعو لهم.

وفهم من فعل عمر بالعباس، أن يدعو العباس لهم وسار على هذا الفهم فاستسقى واستشفع بيزيد يدعو لهم، وأي قرابة لزيyd من رسول الله ﷺ. ولا شك أن قربته مع صلاحه سبب لقبول دعائه أما مجرد القرابة من غير صلاح فلم تفدي عمه أبا هلب ونحوه.

إنما هو السبب الأعظم، والحبيل الأكرم، اتباع النبي ﷺ فتحن على فهم الصحابة مقتفيون ومتبعون، ولجانب سنة الخليفة الراشد والصحابة من بعده مجانبون، ولفهم أهل الأهواء رادون ناقضون. والحمد لله رب العالمين.

قال ص ٦٥ معنواناً :

«تولّ النبي ﷺ بحقه وحق الأنبياء والصالحين» ثم استدل بحديث قبر رسول الله ﷺ فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنه وفيه: «اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها وسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلـي». قال :

«رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه روح بن صلاح وثقة ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح [كذاب مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٥٧]

روايه الطبراني في الأوسط والكبير بسنده جيد.

ورواه ابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس.

ورواه ابن أبي شيبة عن جابر.

وابن عبد البر عن ابن عباس.

واختلف بعضهم في روح بن صلاح أحد رواته، ولكن ابن حبان

ذكره في الثقات وقال الحاكم : ثقة مأمون ، وكلا الحافظين صاحح الحديث . وهكذا الهيثمي في «جمع الزوائد» .  
ورواه كذلك ابن عبد البر عن ابن عباس .  
وابن أبي شيبة عن جابر .

وأخرجه الديلمي وأبو نعيم ، فطرقه يشد بعضها بعضاً بقوة  
وتحقيق ١ هـ .

هذا كلام صاحب المفاهيم بحروفه أطلت الكتاب بنقله ليتبين  
لمن طالع كلامه أموراً :  
الأول : قلة معرفته بالتلخیص وأصوله .

الثاني : تناقضه في حديث واحد وفي أسطر متقاربة في مواضع :  
منها : أنه نقل عن الهيثمي أول كلامه ما يفيد ضعف الحديث ،  
ثم قال في آخره : صصحه الهيثمي . فكيف يزعم أنه صصحه وإنما  
قال عن روح «وفيه ضعف» قاله بعد سياق من وثقه مستدركاً عليهم .  
ثم قوله رجال الصحيح إنما تفيض لو كانوا كلهم رجال الصحيح  
أن رواته ثقات ، ولا دخل للحكم على الإسناد بالصحة فكيف  
بتصحیح الحديث .

ومنها : أنه قال بسند جيد ثم ذكر صحته من الطريق نفسها التي  
قال إن إسنادها جيد .

ومنها : قوله وأخرجه الديلمي وأبو نعيم ، وإنما أخرجاه من طريق  
روح ، ليلبس وليوهم كثرة الطرق .

الثالث : تكراره لرواية ابن أبي شيبة وابن عبد البر مرتين وما أدرى  
لم ولكن يريد تطويلاً . وعباراته في هذا الحديث مختلة مضطربة متكررة  
العبارات ، ليست بمستقيمة كما هو ظاهر لمن قرأها فضلاً عن  
تأملها . فكيف لم ينبه عليها الذين قرؤوا كتابه .

تخریج الحديث : حديث أنس المذکور : أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٥٢/١ - ١٥٣)، وفي «المعجم الكبير» (٣٥٢/٢٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/١٢١).

من طريق روح بن صلاح حدثنا سفيان الثوري عن عاصم الأحول عن أنس.

وفي هذا الإسناد روح بن صلاح : ضعفه الدارقطني ، قال الذهبي : الدارقطني لا يضعف إلا من لا طب فيه ١ هـ نقله عنه المُناوي في «فيض القدير» (١ / ٢٨).

وضعفه ابن عدي ، وابن ماكولا وقال : «ضعفوه» ، وقال ابن يونس في «تاريخ الغرباء» : رویت عنه مناکير.

أما توثيق ابن حبان فعلى قاعدته في توثيق المجاهيل ، وقد ترجم روحًا في «الثقة» فقال : «روح بن صلاح من أهل مصر ، يروي عن يحيى بن أيوب وأهل بلده .

روى عنه محمد بن إبراهيم البوشنجي وأهل مصر» ١ هـ (٢/١٣٢ من ترتيب الهيثمي نسخة دار الكتب).

فهذا ظاهر أنه مجهول ، فلا يتکثر بتوثيق ابن حبان ، والحاکم تلميذ ابن حبان فعله استقى توثيقه منه .

ومن كان ضعيفاً فلا يقبل حديثه ، فكيف إذا تفرد به فإن هذا الحديث لم يروه أحدٌ من أصحاب سفيان الثوري مطلقاً ولذا قال الطبراني في «الأوسط» ونقله عنه أبو نعيم في «الحلية» : «تفرد به روح بن صلاح» ومعلوم أن الضعيف إذا تفرد بحديث صار منكراً كما قاله الذهبي في «الميزان» في ترجمة ابن المديني وسبقت الإشارة إلى ذلك .

قوله : «رواه ابن حبان والحاکم وصححوه عن أنس» .

لم يذكر هذا التخریج الحفاظ الجهابذه ابن حجر في «الإصابة» ولا السيوطي في «الجامع الكبير» ، وذكر كل مافيه المتقدی الهندی في كنز

العمال في موضعين ولم يذكر هذا المخرج .  
وكان المؤلف اغتر بالكتوري فهو الذي عزا هذا العزو في «مقالاته»  
ص ٣٩١ وحاله في التلبيس والتحريف يُعلم من «التنكيل» للعلامة  
عبدالرحمن المعلمي اليهاني .  
أما قول الكاتب :

«ورواه كذلك ابن عبد البر عن ابن عباس»  
فهذا تدليس شديد ، وتلبيس عتيد ، فرواية ابن عباس ليس فيها  
تسلل النبي ﷺ بحقه وحق الأنبياء ، فهذه اللفظة ليست في رواية ابن  
عباس فلماذا يلبس صاحب المفاهيم على المطالعين لكتبه ، أيريد  
إثبات أمر لم يثبت ولم يرو ، إن إيراد الشواهد في باب معناه عند العلماء  
أن الشاهد يدل على ما ترجم به ، وهذا لا يوجد في كلام صاحب  
المفاهيم ، فكأن له قصدًا يستخفى به ، ويتدسس لإثباته . وإليك ما  
قاله ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/١٨٩١) ، قال :

«روى سعدان بن الوليد السابري عن عطاء بن أبي رباح عن ابن  
عباس قال : لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله  
ﷺ قميصه واضطجع معها في قبرها ، فقالوا : ما رأيناك صنعت ما  
صنعت بهذه . فقال : إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبّر بي منها ،  
إنما ألبستها قميصي لتكتسى من حل الجنة واضطجعت معها ليهون  
عليها» ١ هـ .

فأفادنا هذا التوثيق عوار ما قاله صاحب المفاهيم ملبساً تلبيسين :  
**الأول** : قوله «رواه» وأنت ترى أن ابن عبد البر لم يروه وإنما حكى  
أن سعدان بن الوليد رواه وفرق بعيد بين الحالين .  
**الثاني** : أن الشاهد في التسلل بحق النبي والأنبياء ليس له ذكر في  
خبر ابن عباس ، فتحفظ مما يملئه هؤلاء المطلة ، وكن حذرا .

وقال صاحب المفاهيم ص ٦٦ - ٦٧ :

«قال الحافظ أبو بكر البهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا : حدثنا أبو عمر بن مطر حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك قال : أصحاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال : يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا . فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال : «إيت عمر فأقرئه مني السلام وأخبرهم أنهم مسكون ، وقل له : عليك بالكيس الكيس» . فاق الرجل فأخبر عمر فقال : يارب لا آلو إلا ما عجزت عنه . وهذا إسناد صحيح [ كذا قال الحافظ ابن كثير في البداية ( ج ٧ - ص ٩١ )<sup>(١)</sup> في «حوادث عام ثمانية عشر »] ١ هـ كلام صاحب المفاهيم .

أقول : الكلام هنا في مباحثين :

الأول : الحافظ ابن كثير ساق قبل روایة البهقي روایة سيف وفيها أن عمر رضي الله عنه صعد المنبر فقال للناس : أنسدكم الله الذي هداكم للإسلام هل رأيتم مني شيئاً تكرهون؟ فقالوا : اللهم لا . وعم ذلك؟

فأخبرهم بقول المزني وهو بلال بن حارت . ففطنوا ولم يفطن . فقالوا : إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا . ١ هـ المقصود .

وهذه الروایة مبينة أن قول نبی الله لعمر في روایة سيف : «عهدی بك وفي العهد شديد العقد فالكيس الكيس يا عمر ..» هو ما فسرها صحابة رسول الله (ففطنوا ولم يفطن) عمر، كما جاء

---

(١) في الأصل ج ١ ، وصوابه ج ٧ ، وقد تكرر الخطأ في العزو إلى الجزء في ص ٧٧ أيضاً ، وكأنه ليس مطبعاً.

صريحاً، وهو إرشاده للاستسقاء .

وفي هذا سرّ لطيف وهو أن قول القائل «يا رسول الله استسق الله لأمتك» منكر جره تباطؤ عمر عن طلب السقيا، وعدم الفزع إلى المشروع يجر إلى وجود غير المشروع . فلذا قال نبي الله ﷺ : «عهدي بك وفي العهد شديد العقد فالكيس الكيس ..» أقول هذا مع ضعف الرواية، لأبين مقصود ابن كثير حين ساق الروايتين الضعيفتين .

إذا تبين هذا علِّم فضل علم ابن كثير رحمه الله حيث جعل رواية البيهقي هي الثانية ورواية سيف المفصلة معنى الكيس هي الأولى، فتأمل هذا، وتبيّن مقاصد الحفاظ في أحکامهم .

ويقال : تأخر عمر عن الاستسقاء وهو العبادة المشروعة التي يحبها الله ، لما فيها من الذل بين يديه ، والانكسار له ، وتوجه القلوب بصدق وإخلاص نحو ربها لكشف ضرها ، إن تأخر عمر عن الاستغاثة المشروعة سبب هذا الأمر غير المشروع .

ولذا لم يفعل أحد من صحابة رسول الله ﷺ مثل ما فعل هذا الرجل الذي جاء إلى قبر نبي الله ﷺ وقال ما قال ، وهم إنما سقوا باستسقاهم ، لا بقول الرجل غير المشروع . فتنبه لهذا .

الثاني : أن هذه الرواية التي ساقها الحافظ ابن كثير من رواية البيهقي في «دلائل النبوة» فيها علل يعلل بها المحدثون :

الأولى : عننه الأعمش ، وهو مدلس ، والمدلس لا يقبل من حديثه إلا ما قال فيه ثنا وأخبرنا ونحوها ، دون قال أو عن إذ احتمال أنه أخذه عن ضعيفٍ يهي الحديث بذلكه ، كما هو معلوم في «مصطلح الحديث» ، مع أن الأعمش في الطبقة الثانية من المدلسين عند الحافظ وغيره .

الثاني : مالك الذي في إسناده والذي هو عمدة الرواية ، مجهول ،

وذكره البخاري وابن أبي حاتم ، ولم يذكرا فيها تعديلاً ولا جرحاً ، فهو مجهول . والمحظى لا يقبل حدديثه .

وابن كثير إنما صصح الإسناد على طريقته في توثيق ماجاهيل كبار التابعين كما يعلم من تتبع صنيعه في التفسير وغيره . وإذا كان مجهولاً فلا علم لنا بتاريخ وفاته .

الثالث : أن أبا صالح وهو ذكران الراوي عن مالك لا يعلم سباعه ولا إدراكه مالك ، إذ لم نتبين وفاة مالك ، سيماناً ورواه بالعنونة فهو مظنة انقطاع ، لا تدلليس .

الرابع : أن تفرد مالك المجهول به رغم عظم الحادثة وشدة وقوعها على الناس إذ هم في كرب شديد أسود معه لون عمر بن الخطاب إن سبباً يفك هذه الأزمة ويرشد إلى المخرج منها مما تداعى هم الصغار فضلاً عن الكبار لنقله وتناقله ، كما في تناقلهم للمجاعة عام الرماده ، فإذا لم ينقلوه مع عظم سبب نقله دلّ على أن الأمر لم يكن كما رواه مالك ، فلعله ظنه ظناً .

ونقل الكاتب ص ٦٧ قول الحافظ في هذه الرواية :

«روى ابن أبي شيبة بإسنادٍ صحيح من روایة أبي صالح السمان عن مالك الدار وكان خازن عمر . . .» فساق نحواً من حديث البهقي .

قال صاحب المفاهيم :

«وقد أورد هذا الحديث ابن حجر العسقلاني وصحح سنته كما تقدم ، وهو من هو في علمه وفضله ووزنه بين حفاظ الحديث مما لا يحتاج إلى بيان وتفصيل» ١ هـ .

أقول : منزلة الحافظ لا مكان للمجادلة فيها فهو علم أشم في علوم الحديث ، ولكن الشأن في فهم من ينتسب إلى العلم ، ولا يدرك ألفاظ الحافظ ومدلولاتها .

فالحافظ المُذْهَر الجبَّاد ابن حجر لم يصحح إسناده مطلقاً كما زعمه صاحب المفاهيم إنما قال : « بإسناد صحيح من روایة أبي صالح السهان عن مالك الدار... » ١ هـ

ومعنى هذا أن الحافظ صاحح سنته إلى أبي صالح السهان وما ذكر من رجال إسناده لم يقل بصححته كما هو ظاهر لأهل العلم، ففرق بين قوله هذا وبين مالو قال « بإسنادٍ صحيح أن مالك الدار قال... ». .

فتبيّن أن كلام الحافظ هذا لا يمنع من علتين سبق تعليل الحديث بها.

الأولى : جهالة مالك الدار.

الثانية : مظنة الانقطاع بين أبي صالح ذكوان وبين مالك الدار. إذا تقرر هذا واتّضح ، عُلِمَ فضل قول الحافظ ابن حجر رحمه الله على قول ابن كثير الذي سبق . ومنه يتبيّن ضعف الأثر.

ثم قد أوضحت أنه لاحجة في لفظه ، بل ينعكس به الاستدلال على صاحب المفاهيم ، وذلك إذا سلمت النقوس ، وارتضت قواعد أهل العلم طريقةً وسيلاً للوصول للحق ، ومن لم يكن كذلك فلا يباليه أهل العلم باللة ، ولا يأخذون بالوزن مقاله .

روایة سيف في الفتوح :

قال صاحب المفاهيم ص ٦٧ :

« وقد روی سيف في الفتوح أن الذي رأى في المنام المذكور هو بلاط بن الحارث المزني أحد الصحابة . قال ابن حجر : إسناده صحيح ١ هـ [فتح الباري ص ٤١٥ ج ٢]. » انتهى  
أقول : هذا كذب ظاهر على الحافظ ابن حجر ، فكلامه انتهى عند قوله أحد الصحابة . أما قوله قال ابن حجر : إسناده

صحيح ، فهو من مفتريات صاحب المفاهيم على الحافظ ، فانظر كيف فعلته ، وسوء صنعته .

وكيف يصحح الحافظ إسناداً ، يرويه سيف في «الفتوح» ، والحافظ هو الذي يقول في سيف في كتابه «تقرير التهذيب» : «ضعيف الحديث» ، ومن قال فيه ذلك فلا يقبل حتى في المتابعات كما هو معلوم من اصطلاحه ، ذكره في مقدمة كتابه ، وسيأتي في المسألة التي تلي هذه ، كلام الحفاظ في سيف .

فما لصاحب المفاهيم وتعمد الكذب ، فتعتمده الكذب كبيرة ، قال في «المشرع الروي في مناقب آل أبي علوى» (٥٨/١) : «إن القبيح من أهل البيت أقبح منه في غيرهم ، وهذا قال العباس لابنه عبدالله رضى الله عنهما ، يا بني إن الكذب ليس بأحد أقبح من هذه الأمة أقبح منه بي وبك وبأهل بيتك» ١ هـ  
وقال ص ٦٧ :

«ذكر الحافظ ابن كثير أن شعار المسلمين في موقعة اليهامة كان [محمداه] .» .

أقول : ابن كثير رحمه الله ساق ذلك في ضمن خبر طويل عن الغزوة ، دخل حديث بعض الأخباريين في بعض . وأما هذا الشعار فقد روی خبره ابن جریر في «تاریخ الأمم والملوک» (٢٩٣/٣) قال : «كتب إلى السري عن شعیب عن سیف عن الضحاک بن یربوع عن أبيه عن رجل من بنی سحیم . . .» فذكر قصة وفيها الشعار .

أقول : هذا إسناداً مظلماً ، وما عهدت مسائل العقيدة والتوحيد ، بل ولا غيرها من أحكام الشريعة تؤخذ من كتب التأريخ ، وإنما تروى قصص التأريخ للعبرة والعظة ، والتصديق بمجموعها ، لا تفاصيلها وهذا قال أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ : «ثَلَاثَةٌ لَيْسَ لَهَا أَصْوَلٌ وَذَكْرُ الْمَغَازِيِّ . . .» وإطلاق هذا الإسناد من ثلاثة جهات :

**الأولى** : سيف هوا بن عمر مصنف «الفتوح» و «الردة» ، يروي عن خلق كثير من المجهولين.

**قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٢٥٥/٢) :** «روى مطين عن يحيى : فَلْسُ خير منه . وقال أبو داود : ليس بشيء . وقال أبو حاتم : متربك .

وقال ابن حبان : اتهم بالزندقة .

وقال ابن عدي : عامدة حديثه منكر . . ١٦ .

**الثانية** : الضحاك بن يربوع : قال الأزدي : حديثه ليس بقائم . قلت : وهو من المجهولين الذين تفرد بالرواية عنهم سيف .  
**الثالثة** : جهالة يربوع والرجل السحيمي .

وكل واحدة من هذه العلل والقواعد تضعف الحديث ، فكيف وهو من روایة سيف بن عمر ، وقد عرفت ما فيه ، نسأل الله العافية .

ولا يُستنكر إيراد ابن جرير مثل هذه الحكايات الواهيات ، وتتابع المؤرخين بعده على ذكرها ، فقد قال ابن جرير رحمه الله في مقدمة كتابه «تاريخ الأمم والملوك» (٨/١) ما نصه : «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة : فيعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أقي من قبل بعض ناقليه إلينا ، وأننا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا» انتهى كلامه . استدل صاحب المفاهيم على زعمه بجواز التوسل بحق الصالحين بحديث أبي سعيد الخدري الذي ساقه ص ٦٥ - ٦٦ ولفظه :

«من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مشاي هذا فإن لم أخرج أشرأ ولا بطرأ ولا رياء ولا سمعه .. الحديث» .

**أقول** : المؤلف قصر في الحكم على الحديث والنظر في إسناده على

عادته .

فالحدث أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/٢١)، وابن ماجه في «ستة» (١/٢٥٦)، وابن السنى في «عمل اليوم والليلة» (٨٥) وأشار ابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٧ إلى تخریج الحديث في كتاب آخر، كلهم عن فضیل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري به مرفوعاً .

وهذا إسناد ضعيف لأمور :

(١) – فضیل بن مرزوق : وثقه بعضهم وضعفه آخرون ، وهو من عيب على مسلم رحمة الله إخراج حديثهم في «الصحيح» ، كما قال الحاكم رحمة الله . وأغلظ ابن حبان فقال : «يروي عن عطية الموضوعات» .

(٢) – عطية العوفي : قال الذهبي في «الميزان» : «تابعى شهير، ضعيف . . . ، وقال أحمد : ضعيف الحديث . . وقال النسائي وجماعة : ضعيف» ١ هـ

(٣) – عطية مدلس مع ضعفه، وتدعیسه عجیب ، قال أحمد: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي ، فيأخذ عنه التفسیر، وكان يكنى بأبي سعيد فيقول : قال أبو سعيد . انتهى .

(٤) – وقد أعلَّ الحديث الشيخ ناصر الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١ / ٣٧) بعلة أخرى ، وهي : اضطراب عطية أو ابن مرزوق في روايته ، حيث إنه رواه تارة مرفوعاً كما تقدم ، وأخرى موقوفاً على أبي سعيد كما رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢ / ١١٠) عن ابن مرزوق به موقوفاً .

وفي رواية البعوي من طريق الفضیل قال : أحسبه قد رفعه وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢ / ١٨٤) : موقوف أشبه انتهى ، وهو كلام متوجه ، لأن المضارعين ضعاف في حديثهم فلا يحمل ذلك على

غير الاضطراب، كما هو معلوم من «أصول الحديث».

وقد حسن إسناد الحافظ العراقي في «تخریج الإحياء الصفیین» (٣٢٣/١). وحسن الحديث الحافظ ابن حجر فقال في «نتائج الأفکار» : «حدث حسن أخرجه أحمد وابن ماجة وابن خزيمة في كتاب التوحيد وأبو نعيم الأصبهاني . قال : وفي كتاب الصلاة لأبي نعيم عن فضیل عن عطیة قال : حدثني أبو سعید فذكره . ولكن لم یرفعه . فقد أمن بذلك تدليس عطیة . . . » انتهى .

أقول : أفاد الحافظ هنا أن تحسينه الحديث لأجل انتفاء تدليس عطیة وفي هذا نظر من وجهین :

الأول : أن تدليس عطیة ليس هو تدليس الإسناد المعروف حتى یؤمن بقوله حدثني ، بل هو تدليس آخر ، فعطیة يقول : حدثني أبو سعید أو قال أبو سعید ويعنی به الكلبی . كما أفاد الإمام أحمد رحمه الله .

الثاني : أن الحافظ ذكر أن الروایة التي فيها حدثنا أبو سعید موقوفة فلم یعلّها بالاضطراب ، وحقها ذلك .

إذا علِمَ هذا النظر ، فقد قال جماعة كثيرون من الحفاظ بضعف الحديث

منهم : الحافظ عبدالعزيز بن عبد القوي المنذري ، في «الترغیب والترھیب» (٤٥٩/٣)

ومنهم : الحافظ النووي في «الأذکار» ص ٢٥ .

ومنهم : شیخ الإسلام ابن تیمیة في «مجموع الفتاوى» (٢٨٨/١)

ومنهم : البوصيري الحافظ في «زوائد ابن ماجة» .  
وغيرهم ، من أصاب الحق ، فمن تأمل ما ذكر متجرداً منصفاً ، علم أن قول هؤلاء الحفاظ الأكثرين هو الأصوب ، والله أعلم .

تبنيه : قال شيخ الإسلام على هذا الحديث في «مجموع الفتاوى» (٢٨٨/١) :

«وهذا الحديث من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد، وهو ضعيف بإجماع أهل العلم، وقد روی من طريق آخر<sup>(١)</sup>، وهو ضعيف أيضاً. ولفظه لا حجة فيه فإن حق السائلين عليه أن يبيههم، وحق العبادين أن يثيهم، وهو حق أحقه الله تعالى على نفسه الكريمة بوعده الصادق باتفاق أهل العلم، ويإيجابه على نفسه في أحد أقوالهم ..

وهذا بمنزلة ثلاثة الذين سألوه في الغار بأعمالهم» انتهى .  
وقال رحمه الله (٢١٧/١) :

«ومن قال بل للمخلوق على الله حق فهو صحيح إذا أراد به الحق الذي أخبر الله بوقوعه، فإن الله صادق لا يخلف الميعاد، وهو الذي أوجبه على نفسه بحكمته وفضله ورحمته، وهذا المستحق لهذا الحق إذا سأله الله به يسأل الله تعالى إنجاز وعده، أو يسأله بالأسباب التي علق الله بها المسبيات كالأعمال الصالحة، فهذا مناسب.

وأما غير المستحق لهذا الحق إذا سأله بحق ذلك الشخص فهو كما لو سأله بجاه ذلك الشخص، وذلك سؤال بأمر أجنبي عن هذا السائل، لم يسأله بحسب يناسب إجابة دعائه» ١ هـ.  
وقال (٢١٤/١) :

«وذلك أن النفوس الجاهلية تتخيل أن الإنسان بعبادته وعلمه يصير له على الله حق من جنس ما يصير للمخلوق على المخلوق. كالذين يخدمون ملوكهم ومُلَّاكِهم، فيجلبون لهم منفعة، ويدفعون

(١) يشير إلى طريق الوازع بن نافع العقيلي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن بلال بن حمودة. قال الحافظ ابن حجر : «هذا حديث واه جداً، وقد ذكرت من أخرجه وبقية الكلام عليه باطلون مما هنا في العدد الرابع من مجلة كلية أصول الدين بالرياض .

عنه مضره، ويبقى أحدهم يتغاضى العوض والمجازاة على ذلك.  
ويقول له عند جفاء أو إعراض يراه منه : ألم أفعل كذا؟ يمن عليه بما يفعله معه، وإن لم يقل ذلك بلسانه كان ذلك في نفسه.

وتخيل مثل هذا في حق الله تعالى من جهل الإنسان وظلمه» ١ هـ.

قال ص ٦٢ معنوناً «التوسل بآثاره» ﴿ثُبِّتَ أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا يَتَبرَّكُونَ بِآثارِهِ﴾ وهذا

التبرك ليس له إلا معنى واحد ألا وهو التوسل بآثاره إلى الله تعالى، لأن التوسل يقع على وجوه كثيرة لا على وجه واحد.  
أفتراهم يتولّون بآثاره ولا يتولّون به.

هل يصح أن يتولّ بالفرع ولا يصح بالأصل» .

أقول : لما كان أكثر من يتبع ما يدعون إليه المبتدعة الجھال الطغام الذين لا يفقهون الفروق اللغوية ولا الشرعية بين الألفاظ لما كان كذلك سهل على رؤسائهم وسادتهم أن يتلاعبوا بهم ، وبالألفاظ الشرعية واللغوية فتلوي أعناقها وتكسر أيديها وتعكّف أرجلها لتوافق ما يريدون .

وهذه الأسطر التي نقلتها من هذه البابة .  
فالصحابي ثبت أنهم يتبرّكون بذاته ﴿ثُبِّتَ أَنَّهُمْ يَتَبرَّكُونَ بِذَاتِهِ﴾ وما بأيديهم من آثاره الجسمية كالشعر والعرق ونحو ذلك .

والتبّرك بذاته ﴿مَا نَقْرَبُهُ مَا نَؤْمِنُ بِهِ كَمَا يَأْتِي بِيَانِهِ﴾ . ولكن أين وجد مؤلف المفاهيم أن التبرك يسمى توسلًا ، وكيف استجاز أن يخرب أقوال أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم بتسميتة توسلًا . البركة شيء ، والوسيلة شيء آخر .

ولذا تعلم مجاذفة وتعدي صاحب المفاهيم على صحابة رسول الله بقوله «هذا التبرك ليس له إلا معنى واحد ألا وهو التوسل بآثاره». لي لفعل الصحابة ظاهر، وكسر لأعناق تصرفاتهم جائز . وهو يريد تقرير

مذهبه ولكن بطريق غير علمية لا تصلح إلا في الأزمنة الجاهلية حيث يتبع الناس ساداتهم دون بحث ونظر، ويقي منهم بقية، ولكن اليقظة العلمية الشرعية كفيلة برد مزاعمه إليه ولو من أتباعه.

أنس رضي الله عنه كان عنده شعرة يتبرك بها، فهلا أحضرت لنا نقلًا واحدًا أنه قال مرة : «أتوسل بشعر رسول الله ..» لن تستطيع ولو طرت إلى الثريا لن يأتي المبتدة بشيء من هذا ولو كان بعضهم البعض ظهيرا.

إن الصحابة يفرقون بين التبرك بالأثر المنفصل عن جسمه ، وبين التوسل . ولكن القوم لا يفهمون ، أو يفهمون وعلى الصحابة يجرون . والحمد لله فنحن أهل السنة على طريق الصحابة سائرون ، وبها قالوه قائلون .

وقال ص ٦٤ :

«وهذا في الحقيقة ليس إلا توسلًا بآثار أولئك الأنبياء إذ لا معنى لتقديمهم التابوت بين أيديهم إلا ذلك ، والله سبحانه راضٍ عن ذلك بدليل أنه رده إليهم وجعله علامة وأية على صحة ملك طالوت ، ولم ينكر عليهم ذلك الفعل» ١ هـ .

هذا آخر كلامه في «التوسل بآثار الأنبياء»

وواضح لأدنى ذي مسكة من علم ما في كلامه من عوار : (ففيه) أن تقديمهم التابوت بين أيديهم مفتقر إلى إثباته لا أن يجعل مقالات بعض المؤرخين مما نقله الأخباريون في مجالسهم مقام النصوص التي يستدل بها ويفرغ عليها.

فلم أسمع أحداً من ارتبط بالعلم بسبب من المتقدمين والمؤخرین يستدل لحكم شرعي عقدي بقول مؤرخ .

أسفًا على ما أصله العلماء فقد ذهب حين نطق أشباه العلماء . فإن كانت الإسرائييليات حجة عند كاتب المفاهيم وأشباهه كما هو ظاهر

من احتجاجهم بها فليحتاجوا بها رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء»  
(٩/١٠) : قال يوسف عليه السلام : اللهم إني أتوجه إليك بصلاح  
آبائي إبراهيم خليلك وإسحاق ذبيحك ! ويعقوب إسرائيلك .

فأوحى الله تعالى إليه : يا يوسف تتوجه بنعمتي أنا أنعمتها عليهم ؟  
فاحتاجوا بهذا يا أصحاب المفاهيم !

(وفي) التجني على مقام الربوبية بقوله «والله سبحانه راض عن  
ذلك» فانظر جزمه برضى المولى على فعل نقله الأخباريون لا يثبت  
عند العلماء، وليس له وزن .

يوصف الله بالرضى عن فعل لم يقله هو ولا رسوله . وإنما قاله  
المؤرخون .

ياله من تسرع ، وسوء نظر ، وقلة مبالاة ، نسأل الله السلامة ،  
نسائل الله السلامة ، نسائل الله السلامة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال ص ٦٤ : معنوناً : «التوسل بآثار الأنبياء»

ثم ساق قوله تعالى : «وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم  
التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله  
الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين» .

ونقل عن ابن كثير في «تاريخه» قول ابن جرير : «كانوا ينصرون  
بركته وبها جعل الله فيه من السكينة» .

أقول : كم بين الدعوى والدليل من بون تقطع أكباد المهاري  
البزل عن وصوله ، فالدعوى : التوسل بآثار الأنبياء ، ودليل هذا عند  
قائله قول ابن جرير : «كانوا ينصرون بركته» .

ففي هذا افتئات على العلم الشرعي وجناية من أوجهه :  
الأول : أن الآيات ليس فيها إلا أنهم أنكروا ملك طالوت ، لكونه  
ليس من سلالة الملك ، فقال لهم نبيهم إن آية صحة ملكه أن يأتيكم  
التابوت تسكنون لصحة كونه آية ، وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل

هارون تستدلون بهذه البقية على الصحة دليلاً ثانياً، والدليل الثالث أن الملائكة تحمله. هذا ما دلت عليه الآية.

الثاني : أن كلام ابن جرير وغيره بحاجة إلى أن يستدل له لا أن يستدل به.

الثالث : هبهم كانوا يتبركون فأين الدليل على أنهم كانوا يتسلون به ، ومؤلف المفاهيم لا يفرق بين التبرك ، والتسلل .

الرابع : هبها كما زعمت ، فمن أين جزمت أن ماجاز في شرع من قبلنا جائز في شرعنـا مطلقاً .

الخامس : من أدلة عدم جواز فعل ما فعلت بنو إسرائيل - إن صـح ترك النبي ﷺ فعل ذلك والتوجيه إليه في سرايـاه التي بعـثـها ، وهـزمـ المسلمين فيها ، كـغـزـوةـ مؤـتهـ وـنـحـوـهـاـ ، أـفـلاـ بـعـثـ شـيـئـاـ منـ آـثـارـهـ كـمـلـابـسـهـ وـنـحـوـهـاـ لـيـنـصـرـوـنـ بـهـاـ .

إن عدم الفعل مع اشتـدادـ الحاجـةـ إـلـيـهـ دـلـيلـ عـلـىـ أنـ ذـلـكـ لـيـسـ مـشـروـعاـًـ عـنـدـنـاـ .

السادس : وهذا فهم الصحابة بعد نبيـهم ﷺ لم يأخذـواـ شيئاـًـ منـ آـثـارـهـ ليـبعـثـوهـاـ معـ المـجـاهـدـينـ تـبـرـكاـًـ بـهـاـ ، وـاستـنـصـارـاـًـ بـهـاـ ، وـإـنـماـ بـعـثـواـ الرـجـالـ العـامـلـينـ الـمـخـلـصـينـ ، وـتـفـقـدـواـ أـمـرـ السـنـنـ فيـ حـرـوبـهـمـ ، تـفـقـدـواـ آـثـارـ أـنـبـيـائـهـ الـأـمـرـةـ النـاهـيـةـ لـاـ آـثـارـهـ الـجـسـمـيـةـ ، هـذـاـ شـائـئـهـ فيـ حـرـوبـهـمـ .

وقال في ص ٦٦ معنواناً :

«التوسل بقبر النبي ﷺ بعد وفاته» وذكر برهانه على هذا العنوان الغريب، فقال : قال الإمام الحافظ الدارمي في كتابه «السنن» : باب مأكراً من الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته .

حدثنا أبو النعيم حدثنا سعيد بن زيد حدثنا عمرو بن مالك البكري<sup>(١)</sup> حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال : قحط أهل المدينة قحطًا شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت : أنظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كواً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، قال : فعلوا . فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل (تفتقت من الشحم فسمي عام الفتقة ومعنى كوا أي نافذة) ١ هـ سنن الدارمي (حد ٤٣ ص ٤٣) . انتهى ما نقله صاحب المفاهيم .

ووضعه (تفتقت من الشحم ...) إلخ بين أقواس من تصرفه وإخلاله بالنقل السليم . فإن اللفظ في سنن الدارمي (٤٣ / ١) هـ هكذا :

«وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتقة» ١ هـ هذه عبارة سنن الدارمي ؛ فتصرفة مذموم وزاد على الأثر قوله : ومعنى كوا أي نافذة وهذه ليست في سنن الدارمي التي نص على النقل عنها . وهذه الأثر ضعيف جداً لاحجة فيه ، لأوجه :

الأول : أن راويه عمرو بن مالك النكري ضعيف بمرة ، قال ابن عدي في «الكامل» ١٧٩٩ / ٦ : «منكر الحديث عن الثقات ، ويسرق الحديث سمعت أبا يعلى يقول : عمرو بن مالك النكري : كان ضعيفاً» . ثم قال بعد أن ساق أحاديث : «ولعمرو وغير ما ذكرت أحاديث مناكير» ١ هـ ، وقال ابن حبان : «يخطئ ويغرب» ١ هـ

(١) هكذا حرفاها الناقل ، وفي السنن : النكري ، بنون .

فعمرو وأمثاله من هذه حاهم كيف يجتزا على الاحتجاج برواياتهم، أما من غيره على سنة رسول الله وشريعته من سراق الحديث!

الثاني : أن سعيد بن زيد الرواية عن عمرو فيه ضعف، قال يحيى بن سعيد : ضعيف . وقال السعدي : يضعفون حديثه . وقال النسائي وغيره : ليس بالقوي ، وقال أحمد : ليس به بأس : كان يحيى بن سعيد لا يستمرؤه ساق هذه الأقوال الذهبي في «الميزان»

الثالث : قال شيخ الإسلام في «مختصر الرد على البكري» ص ٦٨ - ٦٩ : «وما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر فليس ب صحيح ولا يثبت إسناده، وإنما نقل ذلك من هو معروف بالكذب

ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة بل كان بعضه باقياً كما كان على عهد النبي ﷺ بعضه مسقوف وبعضه مكشف ، وكانت الشمس تنزل فيه كما ثبت في «الصحيحين» عن عائشة أن النبي ﷺ كان يصلی العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد .

ولم تزل الحجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد في أماته لما زاد الحجر في مسجد الرسول ﷺ . انتهى .

وبعد أن تبين وانجل نكارة هذه الحكاية نقاً وعقلاً، إسناداً وتاريخاً يعلم أن قول صاحب المفاهيم بعد سياق الأثر :

«فهذا توسل بقبره ﷺ، لا من حيث كونه قبراً، بل من حيث كونه ضمًّ جسد أشرف المخلوقين وحبيب رب العالمين، فتشرف بهذه المجاورة العظيمة، واستحق بذلك المنقبة الكريمة». ١ هـ.

ما اعتمد فيه على المنكرات الواهيات، وهذا فلا قيمة لكلامه ، ولو بخالة شعير، أو وزن قطمير. وهذا ظاهر لكل أحد، والحمد لله على

توفيقه .

وقال صاحب المفاهيم في ص ٧٢ بعد سياقه قصة العتبى :  
«فهذه القصة رواها الإمام النووي في كتابه المعروف بالإيضاح في  
الباب السادس ص ٤٩٨ .

ورواها أيضاً الحافظ عياد الدين ابن كثير في تفسيره الشهير عند  
قوله تعالى : «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم . . .» الآية .

ورواها أيضاً الشيخ أبو محمد بن قدامة في كتابه «المغني» (ج ٣  
ص ٥٥٦) . . . انتهى .

أقول : هذه عبارات عامة ، ليست علمية ، ولا تنبئ عن فهم  
طالب علمٍ ، ذلك أن قوله رواها ، . . . وروها . . . إلخ خطأ  
محض . لأن كلمة رواها لاتقال إلا لمن ساق القصة بإسناده بقوله  
حدثنا أو أخبرنا أو نحوها من كلمات التحمل والأداء .

(١) - فالنوعي لم يروها ، وإنما قال في «المجموع شرح  
المذهب» (٢٧٤/٨) وفي آخر منسكه المعروف بـ «الإيضاح» :  
«ومن أحسن ما يقول : ما حكاه أصحابنا عن العتبى مستحسنين  
له ، قال : كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ . . .» انتهى .

فهذا هو قول النوعي ، وما هو برواية ، ومن قال إنه رواية فإما أن  
يكون لا فقه له ولا فهم بمصطلحات العلماء . وإما أن يكون متشبعاً  
بما لم يعط ، ملبياً ، فهذا لا حيلة فيه .

(٢) - وابن كثير لم يروها ، وإنما قال في «تفسيره» : «ذكر جماعة  
منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن  
العتبى . . .». وما هذه برواية ، وإنما هو نقل .

(٣) - وابن قدامة في «المغني» لم يروها وإنما حكها بصيغة  
التضعيف (٥٥٧/٣) فقال : «ويروى عن العتبى . . .» .

وليست هذه رواية ، إنما نقل بصيغة التمريض وهي تفيد

التضعيف ثم المؤلف يعلم أن قصة العتبى ضعيفة السند واهية ، فهى مردودة غير صحيحة .

ولعلمه بذلك أورد الشبهة التي لم يبق له مع الضعف إلا هي ، فقال ص ٧٣ : «هذه قصة العتبى ، وهؤلاء الذين نقوها ، وسواء أكانت صحيحة أم ضعيفة من ناحية السند الذى يعتمد عليه المحدثون في الحكم على أي خبر ، فإننا نتساءل ونقول : هل نقل هؤلاء الكفر والضلال ؟ أو نقلوا ما يدعوا إلى الوثنية وعبادة القبور . . . . ١ هـ .

أقول :

أولاً : مadam أنها ليست من سنة الرسول ﷺ ولا فعل خلفائه الراشدين ، وصحابه المكرمين ، ولا من فعل التابعين والقرون المفضلة وإنما هي مجرد حكاية عن مجھول ، نقلت بسند ضعيف فكيف يحتاج بها في عقيدة التوحيد الذي هو أصل الأصول ، وكيف يحتاج بها وهي تعارض الأحاديث الصحيحة التي نهى فيها عن الغلو في القبور والغلو في الصالحين عموماً وعن الغلو في قبره والغلو فيه ﷺ خصوصاً ، وأما من نقلها من العلماء أو استحسنها فليس ذلك بحجة تعارض بها النصوص الصحيحة وتخالف من أجلها عقيدة السلف فقد يخفى على بعض العلماء ما هو واضح لغيرهم وقد يخطئون في نقلهم ورأيهم وتكون الحجة مع من خالفهم . وما دمنا قد علمنا طريق الصواب فلا شأن لنا بما قاله فلان أو حكاه فلان فليس ديننا مبنياً على الحكايات والمنامات . وإنما هو مبنيٌ على البراهين الصحيحة .

ثانياً : قد تخفي بعض المسائل والمعانى على من خلع الأنداد وتبرا من الشرك وأهله ، كما قال بعض الصحابة «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» فقال رسول الله ﷺ : «الله أكبر إنها السنن قلتكم والذي نفسي بيده ما قاله أصحاب موسى ﴿اجعل لنا إلهًا كما لهم

الله ﷺ . حديث صحيح

والحججة في هذا أن هؤلاء الصحابة وإن كانوا حديثي عهد بکفر  
فهم دخلوا في الدين بلا إله إلا الله، وهي تخلع الأنداد وأصناف  
الشرك وتوحد المعبود، فمع ذلك ومع معرفة قائلها الحقة بمعنى لا  
إله إلا الله، خفي عليهم بعض المسائل من أفرادها. وإنما الشأن أنه  
إذا وضح الدليل وأبینت الحججة فيجب الرجوع إليها والتزامها،  
والجاهل قد يغدر، كما عذر أولئك الصحابة في قوله : اجعل لنا ذاتاً  
أنواعاً، وغيرهم من العلماء أولى باحتتمال أن يخفى عليهم بعض  
المسائل ولو في التوحيد والشرك.

ثالثاً : كيف يتجرأ أحد أن يعارض نصوص كتاب الله ، وسنة  
رسوله ﷺ بقولٍ حكاه حاكم مستحسناً له ، والله سبحانه يقول :  
﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنه أو يصيبهم عذاب  
أليم﴾ .

قال الإمام أحمد : عجبت لقومٍ عرفوا الإسناد وصحته يذهبون  
إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره  
أن تصيبهم فتنه﴾ أتدرى ما الفتنة؟ الفتنة : الشرك ، لعله إذا رد  
بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيف فيهلك . رواه عن أحمد  
الفضل بن زياد ، وأبو طالب ، ولعله في كتاب «طاعة الرسول ﷺ»  
لأحمد رحمة الله .

طاعة رسول الله ﷺ مقدمة على طاعة كل أحد ، وإن كان خير  
هذه الأمة أبا بكر وعمر ، كما قال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم  
حجارة من السماء أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولون : قال أبو بكر  
وعمر .

فكيف لو رأى ابن عباس هؤلاء الناس الذين يعارضون السنة  
الثابتة ، والحججة الواضحة بقول أعرابي في قصة العتبى الضعيفة

النكرة.

إن السنة في قلوب محبيها أعظم وأغلاً من تلك الحجج المتهافتة التي يدلي بها صاحب المفاهيم البدعية، تلك المفاهيم المبنية على المنامات والمنكرات. فاعجب لهذا، وجرد المتابعة لرسول الله ﷺ، وحذار ثم حذار من أن ترد الأحاديث الصحيحة، وتؤمن بالأخبار الباطلة الواهية، فيوشك يمن فعل ذلك أن يقع في قلبه فتنة فيهملك.

رابعاً : ما من عالم إلا ويرد عليه في مسائل اختارها إما عن رأي أو عن ضعف حجة ، وهم معذورون قبل إيضاح المحجة بدلائلها ، ولو تبع الناس شذو ذات المجتهدين ورخصهم لخروجهم عن دين الإسلام إلى دين آخر ، كما قيل : من تبع الرخص تزندق . ولو أراد مبتغي الفساد والعدول عن الصراط أن يتخذ له من رخصهم سلماً يرتفقي به إلى شهواته لكان الواجب على الحاكم قمعه وصدّه وتعزيزه كما هو مشهور في فقه الأئمة الأربعه وغيرهم .

وما ذكر فقيه أن من أحوال لتبرير جرمه على قول عالم عُلَمَ خطوه فيه  
أنه يقبل منه ولا يؤخذ بالعتاب .

اللهم احفظ علينا ديننا وتوحيدنا.

وعنون صاحب المفاهيم ص ٧٦ :

### «بيان أسماء المتواسلين من أئمة المسلمين»

وعلمه في هذا إيراد أكثر أولئك العلماء حديثاً فيه التوسل ، وهذا من الحكم بالظن المنهي عنه ، يل ثبت عن بعضهم وهم الأكثر خلافاً ما زعمه ، والقاعدة المقررة عند أهل العلم أن العالم إذا أورد أثراً بإسنادٍ فقد خفف من العهدة التي تجب عليه من إتباع ذلك بالحكم على الحديث .

وإذا رُوي حديث وصححه راويه في كتاب له فلا يعني هذا إلزامه بالقول به ، إذ قد يكون له نظر وفهم ، ولعل سبباً اكتنف حكم الحديث يمنع من القول به ، من إجماع على خلافه ، أو نسخ أو لكونه ليس في شرعنا ، ونحو ذلك .

وتفصيل هذا الإجمال يطلب من كتب الأصول .

قال المؤلف معدداً أسماء :

١ - فم منهم الحاكم في المستدرك فقد ذكر حديث آدم وصححه .

والجواب : حال الحديث أنه واضح الضعف ، كما نصّ الحاكم على ضعف روایه في «المدخل» وأن النسخة التي روی بها الحديث موضوعة ، والمستدرك لم يحرره الحاكم ، بل أكثره مسودة ، كما سبق تفصيل ذلك .

فالقول بأنه يقول به مع تضعيقه الشديد لرواية راويه ، وضميمة القاعدة التي ذكرنا ، ليس بمستقيم مع المنهج العلمي الموقف .

٢ - ومنهم البيهقي في «دلائل النبوة» فقد ذكر حديث آدم وغيره ، وقد التزم أن لا يخرج الموضوعات .

والجواب : أن البيهقي عقب الحديث بين تفرد راويه عبد الرحمن مع ضعفه . وهذه علة توجب رد الحديث .

٣ - ومنهم السيوطي في كتابه «الخصائص النبوية» فقد ذكر

الحادي وغيرة.

**والجواب** : ذكره ولم يحكم عليه، وذكره في «تخریج الشفاء» له وقال بضعف إسناده.

٤ - ومنهم ابن الجوزي في «الوفا» فقد ذكر الحديث وغيرة.

**والجواب** : أن ابن الجوزي ذكر كل ما وجد ولم يتکفل بصحة إسناد، وقد ذكر في كتابه «مکذوبات يعرفها أهل الشأن»، ويعدونها من تناقضاته.

وقال (٧، ٦، ٥) - ومنهم عياض وملا قاري والخفاجي.

**والجواب** : أن القاري والخفاجي قد ضعفوا حديث توسل آدم، والعبرة بتضعيفهم لا برأيهم، انظر شرح القاري (١/٢١٥)، وشرح الخفاجي (٢/٢٤٢).

قال ٨ - ومنهم القسطلاني في كتابه «المواهب اللدنية» .

**والجواب** : أن القسطلاني لا يفرد بقوله بتصحیح حديث آدم، فإنما هو في كتابه هذا ناقل من السیوطی ، وقد ذكرنا القصة في ذلك، وما قد يكون سبباً لتألیف السیوطی «الفارق بين المصنف والسارق».

قال ٩ - ومنهم الزرقاني في شرحه على المواهب (ج ١ ص ٤٤).

**والجواب** : ضعف الزرقاني حديث آدم، فإن كان رأياً ارتأه فليذکر دليله، ولم أجده في (ج ١ ص ٤٤) من شرح المواهب شيئاً من ذلك.

قال ١٠ - ومنهم النووي.

أقول ذكره قصة العتبی لا يعني أنه يحيی التوسل بالذوات ونحوه.

قال ومنهم ابن کثیر.

**الجواب** : نقله قصة الأعرابی لا يعني تحجیزه للتولی بالذوات ونحوه، وقصة آدم ذکرها وضعف راویها.

وقصة الرجل الذي جاء إلى قبر النبي ، بینت ما فيها فارجع إليه،

وتصحیح إسنادها لا يعني القول بجواز فعلها، كما يشير إليه صنیع ابن کثیر نفسه.

وذکرہ شعار المسلمين [يا محمداه] ليس مقصوداً بل ورد في أثناء نقل طویل بإسنادٍ مظلوم ۱ هـ

قال : ومنهم ابن حجر فقد صحّ سند قصة الرجل الذي جاء إلى قبر النبي .

والجواب : لم يصحّحها ، وإنما قال : بإسنادٍ صحيح من روایة أبي صالح السهان عن مالك الدار .

وفي هذا تنبیه لعلة الروایة عنده ، يفهمها المشتغلون بعلم الحديث .

قال : ومنهم القرطبي المفسر .

الجواب : ذکر القرطبي نحواً من قصة الأعرابي وحكایته لها لا يدل على قوله بموجب كل لفظٍ فيها .

ومن هذا ينجلي الغطاء ، وينكشف ما تحت الكساء ، ويظهر أن قول صاحب المفاهيم فيه تجّنّ على أكثر من ذكرنا قولهم ، وما كان يحسن به هذا ، وهو شيء لم يسبق إليه ولم يفعله المصنفوں قبله ، ذلك لأنّه مردود على مقتضى قواعد أهل العلم ، وبالله التوفيق .

استغاثة الخلق يوم القيمة بالأنبياء وآخرهم النبي محمد ﷺ،  
ليشفع إلى ربه في أهل الموقف . . . إلخ  
ثم قال :

«فهذا إجماع من الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين، وتقرير من رب العالمين، بأن الاستغاثة عند الشدائدين بأكابر المقربين من أعظم مفاتيح الفرج ومن موجبات رضى رب العالمين» ١ هـ.

أقول : هذه جراءة قبيحة على رب العالمين، وعلى أنبيائه ورسله. فلو صعدت أبخرة هذه الجراءة إلى السحاب لنزل ماؤه سعّاً زعافاً، ولو نزلت إلى ينابيع الماء لقلبتها ناراً تلظى.

ولكن الهوى يفسد العقول، ويجر إلى عبادة غير الله ﴿أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾. ﴿أَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.

أيكون دين الجاهلية قره رب العالمين.

أيكون دين الجاهلية أجمع عليه : الأنبياء والمرسلون.

ما أقبح الهوى، وما أظهر الجاهلية في كلام كاتب المفاهيم الخاسرة. إن الذي يكون يوم القيمة أن الخلق يطلبون من النبي ﷺ أن يشفع لهم إلى ربهم في فصل القضاء بينهم وإراحتهم من الموقف، وهذا الطلب جار على المأثور الجائز من طلب الشفاعة من حي حاضر قادر بمعنى أن يدعوا الله للطالب في حصول مقصوده فالشفاعة معناها طلب الدعاء من الحي الحاضر وهذا بخلاف طلب الشفاعة من الميت، أو التقرب إليه بشيء من أنواع العبادة بقصد أن يشفع له كما قال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مَنْ دُونَ اللَّهِ مَا لَا يُضْرِبُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شُفَاعَانَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

«وفي الفتوى الكبرى : سئل شيخ الإسلام رحمه الله : هل يجوز التوسل بالنبي ﷺ أم لا؟ فأجاب : الحمد لله، أما التوسل بالإيمان به، ومحبته وطاعته والصلوة والسلام عليه، وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك من ماهو من أفعاله وأفعال العباد المأمور بها في حقه، فهو مشروع بإتفاق المسلمين [الفتاوى الكبرى ج ١ ص ١٤٠...]» هـ

أقول : جرى كاتب المفاهيم على هديه الذي رضيه لنفسه ، وهو التحريف والتبدل ، فبتر آخر كلام شيخ الإسلام ، ليوهم أنه ساوي بين التوسل بدعائه وشفاعته ﷺ حياً وميتاً . وهذا تحريف للمعنى من جنس ما مر من تحريفاته . قال الشيخ بعد قوله الذي نقله الكاتب : «وكان الصحابة رضي الله عنهم يتولّون به في حياته ، وتولّوا بعد موته بالعباس عمه ، كما كانوا يتولّون به» هـ

فهذا التفسير لإنجذاب السابق لابد من ذكره ونقله ، وفيه أن التوسل به في حياته يكون بدعائه لمن طلب منه الدعاء ، أو بابتدائه الدعاء لمن شاء من أصحابه . وهذا حق لأن نبي الله حي بين أظهرهم ، ممكّن من الدعاء في دار التكليف ، ممكّن من سؤال الله لمن طلب منه ، بالنصوص القطعية .

أما بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، والحياة البرزخية فقد انقطع ما كان يعمله في حياته من الدعاء لمن طلب منه ، والشفاعة لمن استشفعه .

وما خرج عن ذلك فهو مردود ، إلا بنص ، ولا نص منقول يدل عليه ، لا صحيح ولا حسن ولا ضعيف ، كما يفهمه أولو الشأن . والرسول ﷺ - كما بين في باب الشفاعة من هذا الكتاب - لم يتشفّع ولم يتولّ بمن قبله من الأنبياء ، بل ولا شهداء أحد وأفضلهم حمزة

بن عبد المطلب، فلم يسألهم الدعاء ولا توسل بهم وهم الأنبياء، والشهداء الذين ثبتت حياتهم وأنهم ليسوا بأموات، ولكنها حياة برزخية.

هذا فعل رسول الله ﷺ فنحن له أتباع. والمبدعة الضلال لأهواهم أتباع.

ومن نظر في هذا نظرة، حدثت له فكرة، أنجته بإذن مالك الأفغنة من الحسرة، إن كان من طلبة الصراط المستقيم، والهادي القويين، هدي خير الخلق أجمعين.

قال ص ٥٦ :

«ما يستفاد من كلام الشيخ ابن تيمية أن من دعا له رسول الله ﷺ صح له أن يتولى إلى الله بدعائه ﷺ له، وقد جاء أنه ﷺ قد دعا لأمته، كما ثبت ذلك في أحاديث كثيرة» ١ هـ

ثم قال : «لذا فإنه يصح لكل مسلم أن يتولى إلى الله سبحانه وتعالى بذلك فيقول : اللهم إن نبيك محمدًا ﷺ قد دعا لأمته، وأنا من أفراد هذه الأمة، فأتوسل إليك بهذا الدعاء أن تغفر لي وأن ترحمني، إلى آخر ما يريد، فإذا قال ذلك لم يخرج عن الأمر المتفق عليه بين كافة علماء المسلمين» ١ هـ

أقول : قد بينت آنفًا ما في التوسل بدعاء الرسول ﷺ بعد موته من البدعة، والخروج عن فهم السلف للتسل.

والتوسل بدعاء الرسول ﷺ ليس مقصوداً للكاتب، وإنما أتى بذلك ليصل إلى شيء آخر، وهو ما صرحت به بقوله :

«إإن قال : اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ، فقد فاته التصريح بما ينويه، وبيان ما ينعقد عليه قلبه، وهو مقصود كل مسلم، ومراده لا يخرج عن هذا الحد» ١ هـ

فهذا الكلام بين لم ساق الكاتب كل ما مر من كلام شيخ

الإسلام، فانظروا ضعف حجته، وقلة بصيرته في إحالته على قلوب المسلمين برسول الله ﷺ بعد موته وهو يزعم أنه بها في قلوبهم عليم وأن مراداتهم لا تخرج عن الحد الذي اطلع به على قلوبهم. أفتشر

الكاتب قلوب الداعين، أم هو نقيبهم ينافح عنهم.

وها هو الكاتب خرج عن هذا الحد المدعى ، فتوصل بالتوسل البدعي إلى جواز الاستغاثة بالأنباء ، وطلبهم الشفاعة ، فجعله سلماً.

ثم ما الذي يحجز الداعي من التصریح بها في قلبه، لايمنعته إلا شيء، هو أحسن عنده من ما لم يذكره، ولو كان يعتقد في لفظٍ أنه أقرب وأصح لقاله فإنه داع سائل ، والسائل يتحرى المقرب الصحيح . ولو كان مقصودهم ما اعتذر به الكاتب لصرحوا به، ولكن مقصودهم هو التوسل بذاته ، مما هو من البدع ، ووسائل الشرك ، والإقسام به على الله تعالى ، واتخاذه شفيعاً ، ومغيثاً ، ومعيناً . فيها لا يقدر عليه إلا الله أو بعد موته .

ثم إنك إن فتشت لاتقاد تجد اليوم أحداً ينافح عن جواز التوسل بالذوات إلا وهو يحيى الشرك كالاستغاثة بالأموات ودعائهم أو طلب شفاعتهم .

وقد طالعت من كتبهم شيئاً فوجدتهم كما وصفت لك ، فلعلك تكون من المستبصرین الناجين .

« جاء في حديث عن النبي ﷺ : حياني خير لكم وعاتي خيراً لكم ، تحدثون ويحدث لكم تعرض أعمالكم علي ، فإن وجدت خيراً حمدت الله وإن وجدت شراً استغفرت الله لكم . »

ذكره الحافظ إسماعيل القاضي في « جزء الصلاة على النبي ﷺ » وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وصححه .

وهذا صريح بأنه ﷺ يستغفر للأمة في برزخه ، والاستفار دعاء ، والأمة تنتفع بذلك » ١ هـ كلام صاحب المفاهيم . أقول : الكلام في هذه الأحرف من أوجه :

الأول : هذا الحديث أخرجه إسماعيل القاضي ص ٣٦ في « جزء الصلاة على النبي ﷺ » مرسلاً فقال : حدثنا سليمان بن حرب قال : ثنا حماد بن زيد قال حدثنا غالب القطان عن بكر بن عبد الله المزنى قال رسول الله ﷺ فذكره بلفظ آخر غير ما ذكر ، فأوهم صنيع صاحب المفاهيم أنه رواه باللفظ المذكور ، وبكر بن عبد الله المزنى من التابعين الثقات توفي سنة ١٠٦ هـ ، فهو مرسل ، والمرسل لا يقبل عند المحدثين .

وأما قول الكاتب : « ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وصححه » فيه :

أن الهيثمي ذكر رواية البزار ( وسيأتي ما فيها ) وقال « رجاله رجال الصحيح » وهذه العبارة لا تفيد تصحيحه الحديث ، فلا يجوز أن يقال إنه صحيحه ، كما تجراً عليه صاحب المفاهيم . وذلك أن قوله « رجاله رجال الصحيح » تفيد ثقة الرجال وأنهم مخرج لهم في الصحيح ، ولا تفيد لاصحة الإسناد ولا صحة الحديث .

فصحة الإسناد تفتقر إلى معرفة اتصال الرواية وعدم الانقطاع في الإسناد ، وألا يكون في الإسناد مدلس رواه بالعنعة .

فمثلاً : لو روي حديث من طريق أحمد بن حنبل عن سفيان الثوري عن ابن المسيب عن أبي بكر الصديق ، لجائز أن يقال : رجاله أئمة أئبات حفاظ ، ولا يعني ذلك التكفل بصحة الإسناد ، إذ ظاهر الإسناد الانقطاع بين كل راوٍ وشيخه فأحمد لم يدرك سفيان وهو لم يدرك ابن المسيب وسعيد لم يدرك أبا بكر.

وصححة الحديث ليست بلزامة لصحة الإسناد ، بل بينها مراتب يعرفها أهل العلم والنظر ، فكم من حديث صحيح الإسناد وهو شاذ أو غلط أو معلم .

وذلك أن تعريف علماء الحديث للحديث الصحيح جمع أمرتين : صحة الإسناد وانتفاء الشدوذ والعلة . فما لم يجتمع الأمران لا يقال بصحة حديث ..

ومن هذا يعلم ما في قول صاحب المفاهيم من نسبة تصحيح الحديث للهيثمي من تقول على الهيثمي ، وزيادة أمرٍ لم يقله الحافظ الهيثمي رحمه الله .

ومثله ما نقله صاحب المفاهيم في ص ١٧٢ من كتابه من قول العراقي : إسناده جيد .

الثاني : الحديث رواه البزار في «مسنده» (١ / ٣٩٧ زوائد) فقال : حدثنا يوسف بن موسى ثنا عبدالمجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن سفيان عن عبدالله بن السائب عن زاذان عن عبدالله عن النبي ﷺ قال «إن الله ملائكة سياحين يبلغون عن أمتي السلام» قال : وقال رسول الله ﷺ : «حياتي خير لكم .. الحديث» .

قال البزار : «لا نعلمه يروى عن عبدالله إلا بهذا الإسناد» ١ هـ . وهذا إسناد فيه : عبدالمجيد بن أبي رواد وهو من لا يقبل ما ينفرد به عندهم ولذا قال الحافظ العراقي شيخ الهيثمي : «رجاله رجال الصحيح إلا أن عبدالمجيد بن أبي رواد وإن أخرج له مسلم ووثقة ابن

معين والنسائي فقد ضعفه بعضهم» فهذا هو التحقيق، وقد تفرد بهذه  
الزيادة «حياتي خير لكم . . .»

أما أول الحديث إن الله ملائكة . . . الخ فهو محفوظ من حديث  
سفيان عن عبد الله بن السائب به. واتفق رواة الحديث عن سفيان  
على هذا القدر ثم أتى عبد المجيد فتفرد عنهم بهذه الزيادة فهي شادة  
ضعيفة كما يقتضيه التحقيق.

الثالث : لو ثبت الحديث لم يكن فيه ما ادعاه صاحب المفاهيم  
من جواز التوسل بعموم استغفار رسول الله ﷺ لأمته، لأن دعاء  
الرسول ﷺ في حياته لأمته وسؤاله الله لهم أبلغ وأقطع من استغفاره  
بعد موته - إن ثبت - وهذا السبب الذي كان موجوداً في حياته هو عين  
السبب الذي علق الحكم به بعد مماته ، فلما لم يشرع هذا العمل وهو  
التوسل بالاستغفار العام مع قيام المقتضي له في حياة رسول الله ﷺ  
علم أن احداثه بدعة .

ويؤيد هذا أن خير القرون ثم الذين يلوثهم ثم الذين يلوثهم لم  
يستعمل أحد منهم التوسل بهذا الطريق الذي اخترعه عشاق البدع ،  
وهجاج السنن .

أقول : توسيع صاحب المفاهيم على عادته بتمسكه بأدبي  
شبهة وأبعدها ، فقال ص ١٧٣ أواخر كتابه حول الحديث :  
«الحديث صحيح لا مطعن فيه» ١ هـ وهذا افتراه أو قلة علم ، بل  
فيه مطعن كما قد مناه .

قال : «وهو يدل على أن النبي ﷺ يعلم أعمالنا بعرضها عليه ،  
ويستغفر الله لنا على ما فعلنا من سيء وقبيح ، وإذا كان كذلك فإنه  
يجوز لنا أن نتوسل به إلى الله ونستشفع به لديه ، لأنه يعلم بذلك  
فيشفع فينا ويدعو لنا . . .» ١ هـ

أقول : في الحديث عرض الأعمال ، والكاتب يستدل به على جواز

طلب الشفاعة ياله من فقه غاب عن الأمة بضعة عشر قرنا، حتى ظهر هؤلاء المبتدةعة فأدركوه فعرض العمل عليه ﷺ شيء وتجويفه، طلب الشفاعة أمر آخر بعيد، فإن عرضت عليه أعمالك فلن يرضي الله بالشرك الذي فيها، ومنه طلب الشفاعة من الموتى ولن يستغفر لشرك يستغيث بالأموات.

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمسركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الحجيم﴾.

إن طلبك الشفاعة من الأموات سيء من العمل وشرك،  
ورسول الله ﷺ لا يستغفر لمن ترك دينه واتبع هواه فأشرك.

إن استغفار رسول الله ﷺ وشفاعته إنما تكون في حياته وفي الدار الآخرة لا في دار البرزخ، وله أنواع من الشفاعات ليس فيها نصيب لشرك.

فمن طلب الشفاعة منه بعد موته، فحربي أن يكون فوت على نفسه شفاعته ﷺ في الآخرة.

وإن من سيء الكلام تعدى صاحب المفاهيم على مقام النبوة حيث جزم بقوله «فيشفع فيينا ويدعو لنا».

وإن من سيء القول وخطله وشناعته تعدى الكاتب على مقام الألوهية، فيجوز طلب الشفاعة من النبي ﷺ بعد موته والشفاعة حق الله وحده، وإنما تطلب منه وحده، كما يدعون المخلصون بقولهم اللهم شفع فينا نبيك محمدًا ﷺ.

وفي باب الشفاعة بيان هذه الأصول بما فيه مقنع لمن أراد الله هدايته.

وضع ص ٦١ عنواناً هو :

«الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب لا ينكر التوسل».

أقول : تحليتك محمد بن عبد الوهاب بالشيخ الإمام إما أن تكون

اعترافاً بفضله في تجديد أمر دين الإسلام، وإصلاحه وجهاده، وإنما أن تكون عننت بها وضعها اللغوي.

فإن أردت المعنى الأول فالشيخ قد أقام دعوته في محاربة أصناف الشرك الجلي والخففي، الأكبر منه والأصغر، وحارب وسائل الشرك التي تجر إليه مما حرمه الله ورسوله، ومن تأمل كتاب التوحيد ألفاه في فلك ما ذكر دائر، وعلى الصراط المستقيم سائر.

والشيخ رحمة الله جاهد في إرجاع الناس إلى دينهم الذي جاء به رسول الله محمد ﷺ وجاهد في إقناعهم بأن ما يفعله بعض الناس في زمانه ويدعونه إسلاماً هو عين ما عليه المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، فقد كان كثير من المتسبين إلى الدين في زمانه عباداً للقبور : يدعون أصحاب القبور استقلالاً من دون الله ويدعونهم مع الله طلباً للشفاعة منهم والقربى إلى الله زلفى، ويرجونهم دفع المضرات، ورفع المهلكات، وتفریج الكربات كما قال الله عن أشباههم ﴿سَا نعبدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرُبُونَا إِلَى اللَّهِ زَلْفَى﴾

ثم هم يقدمون لأولئك المقربين أصناف القرابين والعبادات التي لا تكون إلا لله جل وعلا : كالذبح، والنذر، وهم يخضعون لأولئك المقربين الميتين أعظم من خضعائهم في مساجد الله.

كانوا يستغشون بالأموات، ويغافونهم خوف السر، ويخبونهم أشد من محبة الله، ويقتربون إليهم أكثر من تزلفهم إلى ربهم، بل نسوا ربهم وذكره، وفشت فيهم مذاهب الإلحاد والزندة، كمزهوب وحدة الوجود، وتعظيم الأولياء على الأنبياء، كما قال مقدمهم :

### مقام النبوة في برش

فريق الرسول ودون الولي

هذا جزء من واقع أسود رأه الشيخ في هذه الديار فجاهد متوكلاً على ربه مقتفياً سنة النبي ﷺ حتى في سيرته الجهادية فنصره الله

وأعزه، ومكِن له الدين.

وذلك الواقع الذي وصفنا موجود في أكثر البلدان الإسلامية، والواجب تبصيرهم بالمكررات الواقعة الكثيرة ثم جهادهم بأنواع الجهاد باليد واللسان والقلب، ولكن أثأ قل الناس إلى الأرض، إلا قليلاً.

هذا الذي ذكر من أصناف الشرك الأكبر كانت محاربته وتغييره وهداية الناس إلى الإسلام همُّ الشيخ الأول.

ثم إنَّ الشيخ رحمه الله داعٌ حكيمٌ متزوِّ، فإذا كان المخاطب واقعاً في أصناف الشرك فمن غير الحكمة أن ينهاه عن البدع ووسائل الشرك وهو لم يعلم بعدُ أن الشرك موجود بين الناس، بل الواجب أن يبين الشرك ثم إذا استقرت حقيقة الإسلام في قلب العبد وترك وجاهد الشرك الأكبر، فهو سينكر وسائل الشرك لأن العاقل البصير إذا كره شيئاً كره وسائله ودعائيه.

إنَّ السَّلَامَةَ مِنْ سَلْمٍ وَجَارَتْهَا

أن لا تحل على حالٍ بواديها

فهذا الشاعر القديم عرف هذه الحقيقة، وإليها يهتدى العلاء، وقد دلت الشريعة إليها وحضرت عليها قاعدة «سد الذرائع».

وقال ملخصاً مباحثه في التوسل ص ٧٣، إنَّ التوسل :

«ليس مقصوراً على تلك الدائرة الضيقة التي يظنها المتعتون».

أقول : هذه كلمات ينفر منها ذروا القلوب الحية، التي قد ملأت حبة الله وإعظامه وإجلاله جوانحها، ويستأنس لها من شغل بذكر غير

الله مع الله، أو نسو الله فأنساهم أنفسهم.

يا لها من ألفاظ لو مزجت بهاء البحر لمزجته.

ولو سالت على زروع الناس لأفسدت معيشتهم.

سبحان الله !

التوسل بأسماء الله وصفاته دائرة ضيقة، أسماء الله التي لا تختصى، دائرة ضيقة للتوسل، صفات الله العلی وأفعاله الحكيمه دائرة ضيقة. سبحان الله! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يا صاحب المفاهيم : لو دعوت ربک متوسلاً إليه بأسمائه لا نقضى عمرک وعمر من معک ولم تبلغوا نهاية ، ولم تخصوا لها عددا.

يا صاحب المفاهيم : لو ظللت تدعو الليل والنهار لا تفتر أبداً توسل إلى الله بأسمائه الحسنى لم تنقض ولا نقضى عمرک.

يا صاحب المفاهيم ! لو توسلت إلى الله بأسمائه الحسنى بما يناسب مطلوبك من أسمائه، لا نقضت حوايجك ولم تبلغ بعضاً من أسماء الله .

يا صاحب المفاهيم ! إن من أسماء الله تسعه وتسعين اسماء من أحصاها دخل الجنة ، فلو ظللت تدعوها مفردة، ثم تجعل مع الاسم آخر ثم هكذا ، لبلغت ما لو دعا به الخلق من أو لهم إلى آخرهم ما يسعهم غير مكرر ولا معيد .

يا صاحب المفاهيم : إني أندرك مغبة هذه الكلمة الوبيلة التي يُقْسِّعُ منها البدن وعليك بالانطراح بين يدي الله والتوبة من هذا القول ، وما جرّ إليه من الشرك ، وما قرب إليه من البدع ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنما الله وإنما إليه راجعون ، اللهم إننا نبرأ إليك من قول من قال إن التوسل بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا دائرة ضيقة ، فتقبل اللهم براءتنا ، وعلمنا من أسمائك ، وآثار صفاتك ، ما يقوى قلوبنا ، ويهدينا إلى صراطك المستقيم .

## الباب الثاني مسائل في قوله تعالى والله لو هي وفيها:-

- الزكوة في قوم نوح وابراليهيم، وفي العرب
- دهون الزكوة في المسلمين من هذه الأمة
- رد القول «بالمجاز العقابي» لتبير الزكوة

## الشرك في قوم نوح

أخرج البخاري في «صحيحه» (٦٦٧/٨) في تفسير قوله تعالى  
﴿وَلَا تذرْنَ وَدًا وَلَا سواعِمَا الْآيَة﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهم:  
«صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد».

أما واد فكانت لكلب بدومنة الجندل.

وأما سواع فكانت لهذيل.

وأما يغوث فكانت لمراد ثم بنى غطيف بالجرف عند سباً.

وأما يعوق فكانت لهمدان.

وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع.

أساء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى  
قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها  
بأنسائهم.

ففعلوا فلم تعبد. حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم عبدت.

وما جاء في معنى كلام ابن عباس ما أخرجه عبد بن حميد عن  
محمد بن كعب في قوله ﴿وَلَا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا﴾.

قال «كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح، فنشأ قوم بعدهم، يأخذون  
كأخذهم في العبادة».

فقال لهم إبليس : لو صورتم صورهم، فكتتم تنظرون إليهم،  
تصوروا ثم ماتوا.

فنشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس : إن الذين كانوا من قبلكم كانوا  
يعبدونها ، فعبدوها».

وأخرج عبد بن حميد عن أبي مطهر قال : ذكروا عند أبي جعفر زيد  
بن المهلب ، فقال : أما أنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله ثم ذكر

وَدَأْ قَالَ :

وكان وَدُّ رجلاً مسلماً، وكان محبياً في قومه، فلما مات عسكروا حول قبره في أرض بابل، وجعلوا عليه، فلما رأى إيليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان، ثم قال :

أرى جزعكم على هذا فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونـهـ بهـ . قالـواـ : نـعـمـ فـصـورـهـمـ مـثـلـهـ فـوـضـعـهـ فيـ نـادـيـهـمـ ، وـجـعـلـواـ يـذـكـرـونـهـ . فـلـمـ رـأـيـ ماـ بـهـمـ مـنـ ذـكـرـهـ قالـ : هلـ لـكـمـ أـجـعـلـ لـكـمـ فيـ كـلـ مـنـزـلـ كـلـ رـجـلـ تـمـثـالـاـ مـثـلـهـ فيـكـونـ فيـ بـيـتـهـ فـتـذـكـرـونـهـ ؟ قالـواـ : نـعـمـ .

فـصـورـ لـأـهـلـ كـلـ بـيـتـ تـمـثـالـاـ مـثـلـهـ ، فـأـقـبـلـواـ فـجـعـلـواـ يـذـكـرـونـهـ بهـ . قالـ : وـأـدـرـكـ أـبـنـاؤـهـمـ فـجـعـلـواـ يـرـوـنـ ماـ يـصـنـعـونـهـ بهـ ، وـتـنـاسـلـواـ وـدـرـسـ أـمـرـ ذـكـرـهـمـ إـيـاهـ حـتـىـ اـتـخـذـوـهـ إـلـهـاـ يـعـبـدـوـنـهـ مـنـ دـوـنـ اللهـ .

قالـ : وـكـانـ أـوـلـ مـاـ عـبـدـ غـيرـ اللهـ فيـ الـأـرـضـ وـدـ ، الصـنـمـ الـذـيـ سـمـوـهـ بـوـدـ»ـ .

وهـنـاكـ روـاـيـاتـ أـخـرـ ، قالـ الـحـافـظـ فيـ «ـفـتـحـ الـبـارـيـ»ـ (٦٦٩ـ /ـ ٨ـ)ـ : «ـقـالـ بـعـضـ الشـرـاحـ : مـحـصـلـ مـاـ قـيـلـ فيـ هـذـهـ الـأـصـنـامـ قـولـانـ :

أـحـدـهـمـ : أـنـهـ كـانـتـ فـيـ قـوـمـ نـوـحـ .

الـثـانـيـ : أـنـهـ كـانـتـ أـسـماءـ رـجـالـ صـالـحـينـ . إـلـىـ آـخـرـ الـقـصـةـ .

قـلتـ : بـلـ مـرـجـعـ ذـلـكـ إـلـىـ قـوـلـ وـاحـدـ ، وـقـصـةـ الصـالـحـينـ كـانـتـ مـبـدـأـ عـبـادـةـ قـوـمـ نـوـحـ هـذـهـ الـأـصـنـامـ ، ثـمـ تـبـعـهـمـ مـنـ بـعـدـهـمـ عـلـىـ ذـلـكـ»ـ

انتـهـىـ كـلـ الـحـافـظـ اـبـنـ حـجـرـ .

### الـشـرـكـ فـيـ قـوـمـ إـبـراهـيمـ

قالـ الشـهـرـسـتـانـيـ فـيـ «ـالـمـلـلـ وـالـنـحـلـ»ـ (١ـ /ـ ٥٦٠ـ -ـ ٥٦٣ـ)ـ : «ـوـكـانـ

الـفـرـقـ فـيـ زـمـانـ الـخـلـيلـ عـلـيـهـ السـلـامـ رـاجـعـةـ إـلـىـ صـنـفـيـنـ اـثـنـيـنـ :

أحدهما : الصابئة.

والثاني : الحنفاء.

فالصابئة كانت تقول : إننا نحتاج في معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه إلى «متوسط». لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانياً لا جسماً، وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب. والجسماني بشر مثلنا يأكل مما نأكل، ويشرب مما نشرب. يما ثلنا في المادة والصورة.

قالوا : «ولئن أطعتم بشرًا مثلكم إنكم إذا خاسرون»

والحنفاء كانت تقول : إننا نحتاج - في المعرفة والطاعة - إلى متوسط من جنس البشر، تكون درجته في الطهارة والعصمة، والتأييد والحكمة : فوق الروحانيات. يما ثلنا من حيث البشرية وبها يزنا من حيث الروحانية.

فيتلقي الوحي بطرف الروحانية.

ويلقي إلى نوع الإنسان بطرف البشرية.

وذلك قوله تعالى : «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنها إلهكم إله واحد» وقال عز ذكره : «قل سبحان ربِّي هل كنت إلا بشراً رسولًا».

ثم لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار على الروحانيات البحنة والتقرب إليها بأعيانها والتلقي عنها بذواتها فزعـت جماعة إلى هياكلها، وهي السيارات السبع وبعض الثوابـت.

فصابئة النبط والفرس والروم: مفزعـها السيارات.

وصابئة الهند : مفزعـها الثوابـت.

وسندـذكر مذاهبـهم على التفصـيل على قدر الإمكان بتوفـيقـ الله تعالى. وربـما نـزلـوا عنـ الهـيـاـكـلـ إلىـ الأـشـخـاـصـ الـيـلاـ تـسـمـعـ ولاـ تـبـصـرـ ولاـ تـغـيـيـ عنـهـمـ شـيـئـاـ.

**والفرقة الأولى : هم عبدة الكواكب.**

**والثانية : هم عبدة الأصنام.**

ثم قال ص ٦٧٣ ذاكراً مذهب أصحاب الروحانيات : «ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعاً فاطراً حكيمًا مقدساً عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله. وإنما يتقرب إليه بالتوسطات المقربين لديه.

وهم الروحانيون المطهرون المقدسون : جوهراً، وفعلاً، وحالة.

أما الجوهر فهم المقدسون عن المواد الجسمانية المبرأون عن القوى الجسدانية، المتزهرون عن الحركات المكانية، والتغيرات الزمانية، قد جبلوا على الطهارة، وفطروا على التقديس والتسبيح، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وإنما أرشدنا إليهم معلمنا الأول : عاذيمون، وهرمس.

فنحن نتقرب إليهم ونتوكل عليهم ، وهم أربابنا وأهلتنا ، ووسائلنا وشفاعتنا عند الله ، وهو رب الأرباب وإله الآلهة رب كل شيء وملكيه»

١ هـ

والغرض من نقل هذا كله تبيان بعض حال الصابئة الذين عبدوا الكواكب لشبهة الوصول إلى الله عن طريق من جبل على الطهارة والتقديس والتسبيح .

وبين شرك قوم نوح وشرك قوم إبراهيم جامع تفرعت عنه أصناف الشرك بعد في الناس فمقل من الشبه ومستكثر، ببعثت لهم الرسل .

فكان شرك قوم نوح يرجع إلى مظاهر الصلاح في البشر وشرك قوم إبراهيم من العقل والفلسفة لأسرار الطبيعة ووظائف الأفلاك .

فسرك قوم نوح شرك تقريب وشفاعة .

وشرك قوم إبراهيم شرك أسباب وإعانة فإذا اتخذت له أصنام كان شرك تقريب وشفاعة ، كما دل عليه آخر كلام الشهريستاني .

## شرك العرب وديانتهم

اعلم أن العرب كانوا بعد إبراهيم عليه دينه الحنيفية، وُثّ هذا الدين فيهم فتلقوه من ولده إسماعيل عليه السلام، وانتشرت فيهم الحنيفية، وأحبوا البيت وهوت إليه قلوبهم.

«أول من وضع فيه الأصنام عمرو بن لحيٌّ بن غالوثة بن عمرو بن عامر لما سار قومه إلى مكة، واستولى على أمر البيت، ثم صار إلى مدينة البلقاء بالشام.

فرأى هناك قوماً يعبدون الأصنام. فسألهم عنها، فقالوا : هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية، والأشخاص البشرية : نستنصر بها فنتصر، ونستسقي بها فنسقى ، ونستشفى بها فنشفى . . فأعجبه ذلك .

وطلب منهم صنّاً من أصنامهم فدفعوا إليه هبل ، فسار به إلى مكة ووضعه في الكعبة . وكان معه إساف ونائلة على شكل زوجين . فدعا الناس إلى تعظيمها ، والتقرب إليها ، والتتوسل بها إلى الله تعالى . «<sup>(١)</sup>

وذكر الشهريستاني أيضاً أديان العرب واعتقاداتهم ، فأجملهم : **الطائفة الأولى** : منكروا الخالق والبعث والإعادة وهم شرذمة وأفراد .

**الطائفة الثانية** : منكروا البعث والإعادة .

**الطائفة الثالثة** : عباد الأصنام .

ومنهم من كان يميل إلى اليهودية . ومنهم من كان يميل إلى النصرانية . ومنهم من كان يصبو إلى الصابئة .

قال عند ذكره الطائفة الثالثة (١٢٣٢/٢) :

«وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة .

(١) الشهريستاني، الملل والنحل (١٢٢٢ - ١٢٢٣) ط. بدران .

وأنكرو الرسل ، وعبدوا الأصنام .

وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الدار الآخرة . وحجوا إليها ونحرروا لها الهدايا ، وقربوا القرابين ، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر . وأحلوا وحرموا .

وهم الدهماء من العرب إلا شرذمة منهم نذكرهم » ١ هـ  
كيف دخل الشرك في المسلمين

وببعثة نبي الهدى والرحمة محمد ﷺ زالت عبادة الأصنام على أصنافها ، وتحررت العقول من دناءة تفكيرها ، ووضاعة تصورها ، فارتقت إلى التوحيد بعد أن كانت في حماة الشرك ، وأصبحت قلوب العرب وغيرهم متوجهة إلى الله وحده ، لا شريك معه غيره لا نبي مرسلاً ولا ملك مقرب ، فأتم الله الأمر ، وأكمل دينه ، وأعلا كل ملته . فدام على هذا المسلمين زماناً وقروناً ، حتى ظهرت فيهم الحركات الباطنية الخبيثة : كالإسماعيلية وما تفرع عنها من قرامطة ، وإنحوان الصفا ، وعيديين ، ودروز ونحوهم مما يدعون صوراً لعقيدة واحدة . اتخذت هذه الحركة منذ القديم تقديرس أهل بيت الرسول ﷺ شعاراً لها ، وسلسلوا الإمامة في إسماعيل بن جعفر ، وكانوا في تقديرسهم لآل البيت مشهورين فالدولة الفاطمية أثر هذه الحركات الباطنية .

فالMuslimون في القرون الأولى لا يوجد بينهم من تحوم مظاهر الشرك في ذهنه كشرك العرب باتخاذ الصالحين والأنبياء وسائل وشعفاء ، حتى بث الإسماعيليون معتقداتهم بين الناس سراً ، فاستحسن الجهال هذا الأمر لخفته وطرح التكاليف الشرعية ، فأخذ يظهر الاعتناء بالقبور وتشييد مزارات ومشاهد وتحري الدعاء عندها ، حتى نقلهم الشيطان إلى اتخاذهم شفعاء ثم نقلهم إلى دعاء صاحب القبر ، ثم نقلهم إلى الاعتقاد بأن له تصرفًا في الكون ، تدرج هذا في قرنين أو نحوها .

وإن أقدم من وقفت عليه يرجع المسلمين إلى دين الجاهلية في الاعتقاد بالأرواح والقبور هم الإسماعيليون، وبخاصة إخوان الصفا، تلك الجماعة السرية الخفية التي بثت عقائدها، ورسائلها الخمسين بسرية تامة حتى لا يكاد يعرف لها كاتب ولا مصنف، وإن ظن ظنا.

ثم تبعهم على تقديس المقربين من أهل البيت الموسويون الملقبون بالاثني عشرية، وصنفوا التصانيف في الحج إلى المشاهد، وفي كيفية الزيارات والأدعية عند القبور، يسندونها بطرق باطلة كاذبة إلى أئمة أهل البيت رضي الله عنهم.

وقد طالعت كتاب «الزيارات الكاملة» لابن قولويه<sup>(١)</sup> فرأيت فيه من هذا شيئاً كثيراً، وهو مطبوع.

ومن طالع تراث الإسماعيليين، وحركة إخوان الصفا وجد ما قلته مائلاً أمامه، فإن الشأن عظيم، وإن فتنة الناس بالقربور واتخاذ أهلها شفعاء ووسطاء لم تعرف قبلهم، ولما غالب الجهل قبل ظهور الدولة الفاطمية عرفت هذه الأمور طائفه من الناس، فلما ظهرت الدولة العبيدية شيدت المشاهد ونشرت ما كان سراً من عقائدها.

جاء في الرسالة الثانية والأربعين من رسائل إخوان الصفا، ما يبين هذا، ويبرهن له، فقال مؤلفوا الرسائل (٤١ - ١٩) :

«وذلك أن القوم الذين بعث إليهم النبي عليه الصلاة والسلام والتحية والرضوان، كانوا يتدينون بعبادة الأصنام، وكانوا يتقربون إلى الله تعالى بالتعظيم لها والسجود والاستسلام والبخورات، وكانوا يعتقدون أن ذلك يكون قربة لهم إلى الله وزلفى، والأصنام هي أجسام خرس، لا نطق لها ولا تمييز ولا حس ولا صورة ولا حركة، فأرسلهم الله، ودهم على ما هو أهدى وأقوم وأولى مما كانوا فيه.

٠ (١) هو أبو القاسم جعفر بن محمد، المتوفي سنة ٣٦٧ هـ، وكتابه طبع طبعة حجرية بالنجف سنة ١٣٥٦ هـ.

وذلك أن الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا بشرًا فهم أحياء ناطقون مميزون علماء مشاكلون للملائكة بنفوسهم الزكية، يعرفون الله حق معرفته، والتقرب إلى الله بهم أولى وأهدى وأحق من التوسل بالأصنام الخرس التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنك شيئاً.

ثم اعلم أنا نبين هاهنا بدء عبادة الأصنام فنقول : بأن بدء عبادة الامم للأصنام أولاً كان عبادة الكواكب ، وبدء عبادة الكواكب كان عبادة الملائكة . وسبب عبادة الملائكة كان التوسل بهم إلى الله تعالى ، وطلب القرابة إليه .

وذلك أن الحكماء الأولين لما عرّفوا بذكاء نفوسهم وصفاء أذهانهم أن للعالم صانعاً حكيماً، وذلك لتأملهم عجائب مصنوعاته، وتفكيرهم في غرائب مخلوقاته، واعتبارهم تصانيف أحوال مخترعاته، ولما تحقق في نفوسهم هوبيته ، أقرّوا له عند ذلك بالوحدانية ووصفوه بالربوبية ، وعلموا أن له ملائكة هم صفوته من خلقه ، وحالص عباده من بريته : طلبوا عند ذلك إلى الله القرابة ، وتوسلوا إليه بهم ، وطلبوا الزلفى لديه بالتعظيم لهم ، كما يفعل أبناء الدنيا ، ويطلبون القرابة إلى ملوكهم بالتسلل إليهم بأقرب المختصين بهم ، وكان من الناس من يتسلل إلى الملك بأقاربه وندائه وزرائه وكتابه وخواصه وقواده ، وبمن يمكنه بحسب ما يتأقّل له ، الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى ، كل ذلك طلباً للقرابة إليه والزلفى لديه .

فهكذا وعلى هذا المثال فعلت الحكماء وأهل الديانات ومن عرف الله ، وأمن به وأقربه ، فإنهم طلبوا القرابة إليه والزلفى عنده : كل واحد بحسب ما يمكنه وتأتى له ، وأدى إليه اجتهاده ، وتحقق في نفسه .

فلما مضى أولئك الحكماء والربانيون العارفون بالله حق معرفته ، وانقرضوا خلفهم قومٌ آخرون لم يكونوا مثلهم في المعرفة والعلم ، ولم

يعرفوا مغزاهم في دياناتهم، فأرادوا الاقتداء بهم في سيرتهم واتخذوا أصناماً على مثل صورتهم، وصوروا تماثيل على مثل ما فعلت النصارى في بيعهم، من التماثيل والصور مثل أشباه المسيح عليه السلام ومثل روح القدس وجبرائيل ومريم عليهما السلام، وكذلك أحوال المسيح في متصرفاته، ليكون ذلك تذكاراً لهم بأحواله كيف مایمموا تلك التصاویر والتماثيل .

ثم قال إخوان الصفا الباطنيون :

## ﴿ فَصَل ﴾

ثم اعلم يا أخي أن من الناس من يتقرب إلى الله بأنبيائه ورسله وبآئته وأوصيائهما، أو بأولياء الله وعباده الصالحين، أو بملائكة الله المقربين، والتعظيم لهم ومساجدهم، ومشاهدتهم، والاقتداء بهم وبأفعالهم، والعمل بوصاياتهم وستنهم على ذلك بحسب ما يمكنهم ويتأتى لهم ويتتحقق في نفوسهم ويؤدي إليه اجتهادهم فأما من يعرف الله حق معرفته فهو لا يتosل إليه بأحد غيره وهذه مرتبة أهل المعرفة الذين هم أولياء الله .

وأما من قصر فهمه ومعرفته وحقيقة : فليس له طريق إلى الله تعالى إلا بأنبيائه، ومن قصر فهمه ومعرفته بهم فليس له طريق إلى الله تعالى إلا بالأئمة من خلفائهم وأوصيائهما، والتعلق بستنهم، والذهاب إلى مساجدهم ومشاهدتهم، والدعاء والصلوة والصيام والاستغفار وطلب الغفران والرحمة عند قبورهم، وعند التماثيل المضورة على أشكالهم، لتذكاري آياتهم، وتعرف أحوالهم، من الأصنام والأوثان وما يشكل ذلك طلباً للقربة إلى الله والزلفى لديه .

ثم اعلم أنه على كل حال من يعبد شيئاً من الأشياء ويتقرب إلى

الله تعالى بأحد فهو أصلح حالاً من لا يدين شيئاً ولا يتقرب إلى الله  
البته. .» انتهى ما نقلته من رسائل إخوان الصفا.

وهذه الجماعة الباطنية كان مبدأ نشاطاتها في أول القرن الثالث،  
ولم تعرف رسائلها التي قعدت لمذهبها، وبشت ذلك في أواسط الناس  
إلا في القرن الرابع الهجري ، بسريّة تامة فدخلت الأفكار في الطعام ،  
وأنكرها العلماء الأعلام ، وكفروا أصحابها كما قال ابن عقيل صاحب  
الفنون وهو من علماء القرن الخامس حيث انتشرت المذاهب بتأييد  
الدولة العبيدية قال : «لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام ،  
عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم ،  
فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم . وهم عندي كفار  
لهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور ، وخطاب الموتى بالحوائج وكتب  
الرفاع فيها : يامولي افعل بي كذا وكذا ، أو إلقاء الخرق على الشجر  
اقتداءً بمن عبد اللات والعزى . . .» انتهى .

## ﴿فصل﴾

قال صاحب المفاهيم ص ٢٦ معنوناً «الواسطة الشركية»، وذكر قوله تعالى : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي﴾ فقال : «هذه الآية صريحة في الإنكار على المشركين عبادتهم للأصنام واتخاذها آلهة من دونه تعالى وإشراكهم إياها في دعوى الربوبية على أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله زلفي .

فكفرهم وشركهم من حيث عبادتهم لها ومن حيث اعتقادهم أنها أرباب من دون الله .

وهنا مهمة لابد من بيانها وهي أن هذه الآية تشهد بأن أولئك المشركين ما كانوا جادين فيما يحكي ربنا عنهم» ١ هـ  
أقول : حوى هذا الكلام مسألتين :

الأولى : أن كفار العرب وشركائهم يعتقدون أن أصنامهم أرباب من دون الله ، تخلق وترزق ، وهذه تناقض صريح القرآن فيها حكاهم عنهم .

الثانية : أن قولهم فيها حكى الله عنهم ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي﴾ لم يقولوه على سبيل الجد ، فيما حكاهم الله عنهم .

وهذه المسألة الثانية من عجائب الأقوال ، وغرائب المخترعات ، مما سبق به كتاب المفاهيم غيره ، ونَزَّهَ !! فالله يحكي عن المشركين قولًا يبني عليه حكمًا وعند هذا أنهم غير جادين ، وكأن الله حكى عنهم غير عالم أنهم ليسوا جادين ، أفتراه يحكي هزلًا ، والقرآن فصل ﴿إنه لقول فصل وما هو بالهزل﴾ .

وكلماته في هذه المسألة مما يأنف أن يقوله طالب علم ، بل لا يقوله إلا من في قلبه زغل وفتنة ، وشرك وبدعة .

يقول الله تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زَلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بِيَنْهُمْ فِيهَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مِنْ هُوَ كاذِبٌ كُفَّارٌ﴾ هذه الآية بتهمها، أسيقت لقوله غير جاد سبحانه الله من هذا الافتراء المفضح، الذي خالف أقوال أهل العلم جهعاً ولم يقل أحدٌ من المفسرين هذا الذي فهمه صاحب المفاهيم.

قال الفخر الرازي في «تفسيره» (٢٤١ / ٢٦) :

«واعلم أن الضمير في قوله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زَلْفَى﴾ عائد على الأشياء التي عبدت من دون الله، وهي قسمان : العقلاة، وغير العقلاة. أما العقلاة : فهو أن قوماً عبدوا المسيح وعزيزاً والملائكة، وكثير من الناس يعبدون الشمس والقمر والنجوم ويعتقدون فيها أنها أحياء عاقلة ناطقة. وأما الأشياء التي عبدت مع أنها ليست موصوفة بالحياة والعقل فهي الأصنام. إذا عرفت هذا فتقول : الكلام الذي ذكره الكفار لائق بالعقلاة، أما بغير العقلاة فلا يليق، وبيانه من وجهين :

الأول : أن الضمير في قوله «مَا نَعْبُدُهُمْ» ضمير للعقلاة، فلا يليق بالأصنام.

الثاني : أنه لا يبعد أن يعتقد أولئك الكفار في المسيح والعزيز والملائكة أن يشفعوا لهم عند الله. أما يبعد من العاقل أن يعتقد في الأصنام والجمادات أنها تقربه إلى الله؟ . . . ١٩ -

ولا بأس أن نشفع كلام الرازي بكلام أحد المتأخرین، هو سيد قطب في كتابه «في ظلال القرآن» قال (٣٠٣٧ / ٥) :

«لقد كانوا يعلنون أن الله خالقهم وخلق السماوات والأرض . . ولكنهم لم يكونوا يسرون مع الفطرة في إفراد الخالق إذن بالعبادة، وفي إخلاص الدين لله بلا شريك .

إنما كانوا يبتدعون أسطورة بنوة الملائكة لله سبحانه . ثم يصوغون للملائكة تماثيل يعبدونها فيها . ثم يزعمون أن عبادتهم لتماثيل الملائكة وهي التي دعواها آلهة أمثال اللات والعزى ومناة<sup>(١)</sup> - ليست عبادة لها في ذاتها ، إنما هي زلفى وقربى الله . كي تشفع لهم عنده وتقريرهم منه ! وهو انحراف عن بساطة الفكرة واستقامتها ، إلى هذا التعقيد والتخييف فلا الملائكة بنات الله ، ولا الأصنام تماثيل للملائكة ، ولا الله - سبحانه - يرضى بهذا الانحراف . ولا هو يقبل فيهم شفاعة ، ولا هو يقريرهم إليه عن هذا الطريق ! وإن البشرية لتنحرف عن منطق الفطرة كلما انحرفت عن التوحيد الخالص البسيط الذي جاء به الإسلام ، وجاءت به العقيدة الإلهية الواحدة مع كل رسول .

إنما لنرى اليوم في كل مكان «عبادة» للقديسين والأولياء تشبه عبادة العرب الأولين للملائكة ، أو تماثيل الملائكة ، تقرباً إلى الله بزعمهم ، وطلبًا لشفاعتهم عنده .

وهو سبحانه يحدد الطريق إليه ، طريق التوحيد الخالص الذي لا يلتبس بساطة أو شفاعة . على هذا النحو الأسطوري العجيب . وفي تفسير «التحرير والتنوير» (٢٣ / ٣٢٢) : «والاستثناء في قوله ﴿إلا ليقربونا﴾ إستثناء من علل محدوفة . أي : ما نعبدهم لشيء إلا لعلة أن يقربونا إلى الله فيفيد قصرًا على هذه العلة قصر قلب إضافي . . . انتهى .

ولو نقلت ما قاله المفسرون لبلغ مئاتٍ من الصفحات ، ولكن في ما ذكر فتح باب لم أرداه مزيدًا من النقول .

فيهذا ظهر أن قول صاحب المفاهيم «إن أولئك المشركين ما كانوا جادين فيما يحكي ربنا عنهم» من المفاهيم الباهتة التي تفردها بعد أربعة عشر قرناً ، ولا زمها أن هذا القرآن فيه كلام يحكيه رب العالمين

(١) ليست اللات والعزى ومناة تماثيل للملائكة ، كما يعلم من تفسير سورة النجم ، بل هي تماثيل لبشر أو حجر .

ليس صدقاً بل هزلاً، فبئست المقالة.

وقد أظهر صاحب المفاهيم هذا اللازم حيث قال ص ٢٧ : «وقل ذلك أيضاً في قوله تعالى : ﴿ولَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ إِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ حَقًاً أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى الْخَالِقُ وَحْدَهُ، وَأَنَّ أَصْنَامَهُمْ لَا تَخْلُقُ لَكَانَتْ عِبَادَتُهُمْ لَهُ وَحْدَهُ دُونَهَا» ١ هـ . وهذا كلام لو منزج بهاءٌ فراتٌ لمزجه . ويأتي رده في المسألة التالية كلامي هذا .

### توحيد الربوبية والإلهية

أما المسألة :

الأولى : وهي زعمه أن كفار العرب الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ إنما كفروا وأشركوا لأنهم اعتقادوا أن أصنامهم أرباباً ، تخلق وترزق فصاحب المفاهيم يظن أن كفار العرب لم يكونوا يقولون بـ<sup>بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ</sup> خالقهم ، وذكر آية لقمان والزمر ﴿ولَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فقال : إنهم لا يعتقدون ذلك ، وإنما حكى الله عنهم ما لم يعتقدوه كما مر نقله بنصه آنفاً .

وهذه المسألة أصل ضلال كثير من الخلق ، وأصلها الذي سبب نشرها بين الناس هو منطق اليونان المذموم ، ومن تتلمذ له من أهل الكلام المشوؤم وهي القاعدة التي ارتكز عليها اتباع أولئك الأقوام في تفسير كلمة التوحيد .

والحق الذي لا مرية فيه وأطبق عليه كل العلماء وهو صريح القرآن أن مشركي العرب في زمن رسول الله ﷺ كانوا يعتقدون أن الله خالقهم ورازقهم . فهم مقررون بتوحيد الرب بأفعاله ، من الخلق والرزق والتدبر والإحياء والإماتة والتسخير ونحو ذلك من أفعال الرب ، فلم يكونوا يعتقدون مشاركة أحدٍ له في ذلك ، وهو الذي سماه العلماء «توحيد الربوبية» .

فهم مقرنون بهذا التوحيد، ولم يدخلهم في الإسلام.  
وليسوا مقررين بتوحيد الله بأفعالهم : كالدعاء والاستغاثة والرجاء  
والخوف والمحبة والنذر والذبح ونحو ذلك . مما سمه العلماء توحيد  
اللّوّهية أي توحيد العبادة .

وقد نوع الله جل وعلا في كتابه الكريم الدلائل في إقرار المشركين  
بتوحيد الربوبية، وإشراكهم في اللّوّهية، بما إذا قرأه المسلم زاد تبصرًا  
في حالمهم، وفقهاً في عقيدته .

### النوع الأول من الدلائل على ذلك :

كقول الله تعالى في سورة «يونس» : ﴿قُلْ مَنْ يُرْزِقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ أَمْنٌ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَيُخْرِجُ  
الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبِرُ الْأُمْرَ فَسِيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ﴾ .  
وقال عز وجل في سورة «المؤمنون» : ﴿قُلْ لَمْنَ الْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا  
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سِيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ .

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سِيَقُولُونَ اللَّهُ  
قُلْ أَفَلَا تَتَقَوَّنَ .

قُلْ مَنْ بِيْدِهِ مُلْكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يَجْعَلُ وَلَا يَجَعَلُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ سِيَقُولُونَ اللَّهُ . قُلْ فَإِنِّي تَسْحَرُونَ﴾ .

فتتأمل تعقيبه بـ «فَإِنِّي تَسْحَرُونَ» والنكتة فيه أن من أفرج بكل هذا  
ولم يوحد الله بالعبادة فهو مسحور، سحر جاه أو سحر رياضة، أو  
نحوه .

وقال تعالى اسمه وتعاظم في سورة العنكبوت ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مِنْ  
خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخْرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنِّي  
يُؤْفَكُونَ . اللَّهُ يَبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مِنْ نَزْلِ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَاءً فَأَحْيِبَاهُ الْأَرْضُ مِنْ  
بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقُلُونَ﴾ .

وقال تعالى في لقمان : ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض  
ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ، وفي الزمر ﴿ولئن  
سأله من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ الآية . وغير هذه  
الآيات في القرآن .

وهي ظاهرة في أن اعتقاد المشركين : أن لا رازق إلا الله ، وأنه  
تعالى مالك السمع والبصر ، والحي الميت ، وهو مدبر الأمر .  
وأنه تعالى له الأرض ومن فيها ، وله السماوات السبع والعرش  
العظيم .

وأنه بيده ملکوت كل شيء ، ليس لأحدٍ ملك ، وأنه يجير ولا يجر  
عليه .

وأنه خالق السماوات والأرض ، ومسخر الشمس والقمر .  
وأنه منزل القطر ، ومحي الأرض بعد موتها .

كل هذا اعتقاد مشركي العرب وغيرهم ، حكاہ القرآن عنهم ،  
وألزم أولئك بأنهم ماداموا مقررين بذلك فلم لم يوحدوه بعبادته ، ولم  
يتخلذون شفعاء يطلبون شفاعتها من عقلاء أموات ، أو جمادات .

وصاحب المفاهيم ينكر هذا ويقول إن هؤلاء المشركين لم يقروا بما  
حکاہ الله عنهم ، فيا لها من جرأة ما بعدها جرأة !!

النوع الثاني : كقوله تعالى في سورة الأنعام ﴿قل أي شيء أكبر  
شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به  
ومن بلغ أثنيكم لتشهدون أن مع الله آلة أخرى قل لا أشهد قل إنما  
هو إلىه واحد وإنني بريء مما تشركون﴾ .

فهذه الآية الكريمة أفادت أن المشركين يشهدون بأن الله إلههم ،  
ولكنهم يقولون إن معه آلة أخرى ، وهذه الشهادة منهم أكدت بالقسم  
وبأداة التأكيد إن ، وأكدت باللام .

فلفظ (مع) في قوله تعالى : ﴿أثنيكم لتشهدون أن مع الله آلة

آخرى) يدل على أنهم مقرون بربوبية الله ، وكذا بألوهيته ، لكنهم جعلوا معه آلة أخرى ، جعلوها مع الله ، فشركهم من حيث إشراكهم آلة مع الله يتوجهون إليها كوسائل توصلهم إلى الله ، وترفع حاجاتهم ، وتلبى طلبهم بالدعاء لها ، هذا اعتقادهم ودينهم . وجاء مثل هذا المعنى في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : «إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر فسوف يعلمون» . قوله «ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا يرهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون» .

وقوله تعالى في آيات في النمل : «إله مع الله بل هم قوم يعدلون» . قوله «إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون» . قوله «إله مع الله قليلاً ما تذكرون» . قوله «إله مع الله تعالى الله عما يشركون» . قوله «إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» . قوله تعالى : «فلا تدع مع الله إلهًا آخر فت تكون من المغبونين» . قوله تعالى : «الذي جعل مع الله إلهًا آخر فألقاه في العذاب الشديد» .

والآيات كثيرة ، يذكر الله في كتابه ما يعتقد المشركون أن مع الله إلهًا ، فهم مقرون بربوبية الله وأحاديثه ولكن يتخذون معه آلة في العبادة ومن تأمل هذا وتدبر تلك الآيات الكرييمات العزيزات انفتحت له من العلم أبوابٌ ولج منها إلى الفهم الصحيح لما بعث الله به رسالته .

النوع الثالث : قوله تعالى : «سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء» . قوله «وجعلوا الله شركاء» في الرعد وغيرها من الآيات المفيدة أنهم مقرون على أنفسهم بالشرك ، في العبادة بل القرآن كله في مخاطبته للمشركين مضمون هذا . ولفظ الشرك لا يكون في لسان إلا ومعناه إشراك شيئاً في حكم ،

فهم مع اعترافهم بشركهم مقررون بربوبية الله ولكنهم أشركوا به في الإلهية.

**النوع الرابع :** إخباره تعالى عن هؤلاء المشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ وحاربوه وقلوه، أنهم لا يشركون إلا في الرخاء واليسر، لا في الشدة والكرب والعسر فهم حين ذلك مخلصون لله وحده لا يدعون سواه، ولا يتخذون وسائط.

وهذا النوع متعدد في القرآن الكريم العزيز، كقوله تعالى ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريء طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحبط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ .  
وقال تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ .

وقال : ﴿وإذا غشיהם موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتضدو ما يجحد بأياتنا إلا كل ختار كفور﴾ .  
فيامن قال : إن أولئك الكفار يشركون بربوبية الله لا في عبادته ويتأول آياتٍ تأويلاً من نوع اللعب، يامن قال ذلك أفيدعو أولئك مخلصين في حالة الشدة من لم يعتقدوا ربوبيته وإلهيته.

إن الحق الذي لا يجوز المحيض عنه وهو الذي دل عليه القرآن، من إقرار المشركين بربوبية الله وكذا بألوهيته لكنهم أشركوا مبررين صنيعهم بتأويلات وشبهات باطلة فإذا كان الشدة والكرب أخلصوا دينهم لله ، وتركوا طلب الدعاء من غير الله ، وتركوا الاستغاثة بغير الله .

أخلصوا ذلك كله لله ، ونسوا غيره من الملائكة والأنبياء والصالحين .

**النوع الخامس :** كقوله تعالى في آخر سورة «يوسف» : ﴿وَمَا

يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴿١﴾ وإنما هم بالله هو قولهم الله  
خالقنا ورازقنا، وميتنا وحيينا، وإشراكهم هو جعلهم لله شريكًا في  
عبادته ودعائه، فلا يخلصون له بالطلب منه وحده، وبنحو هذا قال  
أهل التأويل : ابن عباس وعكرمة، ومجاهد، وعامر، وقتادة،  
وعطاء، وجمع ، كما في تفسير ابن جرير (١٣ / ٥٠ - ٥١)، وابن أبي  
حاتم .

هذا هدى ، فهل هؤلاء من آذانٍ صاغية ، وقلوب تخاف الآخرة ،  
ونفوسٌ تكره النار وغضب الجبار .  
اللهم اهدهم فإنهم لا يعلمون .

## ﴿الدليل من السنة على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية﴾

وكذا في السنة أدلة على إقرار المشركين بالربوبية، وأن ذلك الإقرار لا ينفع إلا إذا شهد المقر بالربوبية أن (لا إله إلا الله) والإله هو المعبد كما قال تعالى : ﴿أَن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ﴾.

فمن ذلك :

ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤/٢) عن أنس بن مالك قال : «كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار.

فسمع رجلاً يقول : الله أكبر الله أكبر.

فقال رسول الله ﷺ : على الفطرة.

ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله.

فقال رسول الله ﷺ : خرجت من النار.

فنظروا فإذا هو راعي معزى».

فقول رسول الله ﷺ لمن قال : الله أكبر، على الفطرة أفاد فائدة وهي أن هذا القول وما يدل عليه من توحيد الربوبية، هو في الفطر مستقر<sup>(١)</sup> ولذا لم يحكم بنجاته من النار، وإسلامه إلا بقوله أشهد أن لا إله إلا الله، شهادة متضمنة نفي كل معبد سوى الله ، وهو توحيد الألوهية، ودلالة هذا ظاهرة.

ومن ذلك ما جاء في «صحيح مسلم» (١٥/١١) مع شرح النووي عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : «رددت رسول الله ﷺ يوماً فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء، قلت : نعم، قال : هيئه. فأنشدته بيّناً، فقال : هيئه. ثم أنشدته بيّناً، فقال : هيئه. حتى أنشدته مئة بيّناً».

(١) ومن ذلك قول أوس بن حجر : وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله إن الله منهن أكبر

ورواه مسلم من طريق أخرى بمثله، وزاد : قال : إن كادلIslam . وفي الطريق الأخرى طريق عبد الرحمن بن مهدي قال : فلقد كاد يسلم في شعره.

قال النووي : « واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث » ١ هـ.

ومن شعر أمية قوله :

الحمد لله مسانا ومصينا

بالخير صَحْناربي وَمَسَانَا

ربُّ الحنيفة لم تنفذ خزائنهما

ملوءة طبق الآفاق أشطانا

ala نبِي لَنا مَنَا فِي خبرنا

ما بعْدَ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ هَجْرَانَا

بَيْنَا يُرَبِّبُنَا آبَاؤُنَا هَلَكُوا

وَبَيْنَمَا نَقْتَفِي الْأُولَادَ أَبْلَانَا

وَقَدْ عَلِمْنَا لَوْانَ الْعِلْمِ يَنْفَعُنَا

أَنْ سُوفَ تَلْحُقُ أَخْرَانَا بِأَوْلَانَا

وَقَدْ عَجِبْتُ وَمَا بِالْمَوْتِ مِنْ عَجْبٍ

مَا بَالِ أَحْيَانَا يَكُونُ مُوتَانَا

وَشَعْرُهُ مَعْرُوفٌ، سَائِرٌ، وَكَثِيرٌ مِنْهُ فِي نَحْوِ هَذِهِ الْمَعْنَىِ، الْمَفْرِدَ رَبُّ

الْخَلِيقَةِ بِالرَّبُوبِيَّةِ، الْمُؤْمِنَةِ بِالْبَعْثِ.

فَانظُرْ إِلَى قول النبي ﷺ : « إن كادلIslam »، فلم يحکم له بالإسلام بمجرد توحيده رب الخليقة بالخلق والإحياء والإماتة ونحو ذلك ، وهو من الجاهلين الذي كانوا في زمان النبي ﷺ .

والاكتفاء بهذين الحديثين من سنة حبيبنا ﷺ فيه كفاية لمن أراد الحق وسعى إليه .

ومن شعر العرب الدال على إقرارهم بالربوبية

قول أوس بن حجر<sup>(١)</sup> :

وباللات والعزى ومن دان دينها

وبالله إن الله منهن أكبر

ومنه قول درهم بن زيد الأوسي<sup>(٢)</sup> :

إني ورب العزى السعيدة

والله الذي دون بيته سرف!

وفي الباب أشعار كثيرة فيها الإقرار بالربوبية، ولكنني اجتزأت عنها

بما ذكرت لأجل ورود ذكر الله جل جلاله وأصنامهم في بيت واحد،  
ليكون أدل على المراد، وأثبت عند الحاجاج.

وكانت تلبية نزار إذا ما أهلت :

لبيك اللهم لبيك

لبيك لا شريك لك      إلا شريك هو لك

تملكه وما ملك<sup>(٣)</sup>

---

١ - الأصنام ص ١٧ .

٢ - الأصنام ص ١٩ .

٣ - الأصنام ص ٧ .

## ﴿المجاز العقلي﴾

وتعلق صاحب المفاهيم به في تبرير أعمال الشرك ووسائله أكثر صاحب المفاهيم من تبرير وتسويغ ما يقوله المتسلون بالذوات والجاه والحرمة ونحوها، وكذا ما يقوله المتخدرون رسول الله ﷺ والصالحين واسطة بينهم وبين الله في الدعاء والشفاعة وكشف الضراء، وجلب النساء، وغفران الذنب بحججة المجاز العقلي.

وكذا ما يفعله العاكفون على القبور من استغاثاتهم بالأموات وطلب الشفاعة من الصالحين المقربين وغيرهم من قد لا يعرفون بصلاح، يجادل في الحكم عليهم بالشرك بحمل صنيعهم على المجاز العقلي. والاحتجاج بالمجاز العقلي وإن احتاج إليه بعض المتأخرین من البيانين لتخريج بعض أنواع الإسناد في قصائد الشعراء، أو في كلام العرب، فلا يجوز لتخريج الكلام الذي ظاهره شرك وكفر، بحججة صدوره من مُقرّ بوحدانية الخالق. وهذا مجمع عليه بين علماء الشريعة : الفقهاء والمحدثين.

لم يختج بالمجاز العقلي في منع التكفير إلا قلة من متأخري المتسبين للعلم بعد ظهور دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، جلأوا إلى ذلك تخلصاً من الإنكار عليهم، وتبريراً لأوضاعهم الفاسدة، وتخريجاً لأقوالهم الشركية . وهو عمل باطل لأن الأصل في الكلام الحقيقة، ولا يصار إلى المجاز إلا بدليل، ولأن فتح هذا الباب يحيي شجرة الشرك .

إليك شيئاً من كلامه :

قال ص ١٦ تحت عنوان : المجاز العقلي واستعماله :  
«الاعتقاد الصحيح أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده، فهو الخالق للعباد وأفعالهم، لا تأثير لأحدٍ سواه، لا لحي، ولا لميت .

فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحسن.

بخلاف مالو اعتقد غير هذا فإنه يقع في الإشراك» ١ هـ

أقول : هذا الاعتقاد هو توحيد الربوبية ، وما هو بالتوحيد المحسن ، بل التوحيد المحسن هو ما جمع صاحبه بين توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ومالم تجتمع فيه هذه الثلاثة فليس بتوحيد محسن .

وقد قدمنا بالأدلة القاطعة من القرآن والسنة أن المشركين الذين بعث إليهم النبي ﷺ كانوا مقررين بما سماه صاحب المفاهيم «توحيداً حضاً»

إسمع قوله تعالى : «قُلْ مَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . أَمْنِ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَيُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ . وَمَنْ يَدْبِرُ الْأُمْرَ فَسِيَقُولُونَ اللَّهُ فَقْلُ أَفْلَا تَتَقَوَّنُ . فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدُ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنِّي تَصْرِفُونَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلْمَةُ رَبِّكُ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» الآيات في يومن ، فهم مقررون بأن الله هو الخالق وحده ، والمحي الميت وحده ، وهو وحده مدبر الأمر . ومع ذلك أخبر أنهم ليسوا مؤمنين ، وأنهم على ضلال .

فاحتاج عليهم بما يقررون به وهو توحيد الربوبية على ما ينكرون له توحيده سبحانه بأفعالهم وهو الألوهية ولا بد عند الحاجة أن يقدم للمعارض ما به يقر ، فانظر إلى لطيف هذه الحجة واستعمال القرآن لها .

والشركون الذين بعث إليهم النبي الله إبراهيم عليه الصلوات والسلام مقررون بذلك المعنى ومقررون بأن الله خالق ما يعملون ، فهم مخلوقون وأفعالهم مخلوقة لله .

ولذا احتاج عليهم إبراهيم عليه السلام بما يقررون به فقال لهم ما

أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .  
فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمُ الْعِبَادَةُ ، وَهِيَ صِرَاطُ الْقَلْبِ لِهَذِهِ الْمَنْحُوتَاتِ الْمُصَوَّرَةِ  
عَلَى صُورِ الْوَسَائِطِ . وَحِجَّهُمْ بِمَا يَقْرُونَ بِهِ ، وَهُوَ خَلْقُ اللَّهِ لَهُمْ  
وَلَا يَعْلَمُونَهُ .

فَأَيْنَ هَذَا مِنَ التَّوْحِيدِ الْمُحْضِ ، وَهُمُ الْمُشَرِّكُونَ شَرِّكًا مُحْضًا .  
وَقَوْلُهُ : لَا تَأْثِيرَ لِأَحَدٍ سُواهُ لَا لَحِيٍّ وَلَا لَمِيتٍ إِلَّا تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحةٌ  
قُولٌ غَلَّةٌ الصَّوْفِيَّةُ الْصَّوْفَيَّةُ الْقَائِلِينَ بِوَحْدَةِ الْوَجْدَ وَأَنَّهُ مَا ثُمِّ إِلَّا اللَّهُ وَأَفْعَالُ  
الْعِبَادِ هِيَ أَفْعَالُهُ .

وَقَوْلُ صَاحِبِ الْمَفَاهِيمِ « بِخَلَافِ مَا لَوْ اعْتَقَدْتُ غَيْرَ هَذَا فَإِنَّهُ  
يَقْعُدُ فِي الإِشْرَاكِ » .

نَابِعٌ وَمُتَفَرِّعٌ عَنْ أَصْلِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ ، وَهُوَ أَنْ غَايَةُ التَّوْحِيدِ  
تَوْحِيدُ الرِّبُوبِيَّةِ وَالْمُشَرِّكُ مِنْ اعْتَقَدَ وَجُودَ خَالقِينَ . أَوْ نَابِعٌ مِنَ القُولِ  
بِوَحْدَةِ الْوَجْدَ كَمَا ذَكَرْنَا وَمِنْ عِرْفِ حَالِ الْمُشَرِّكِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ  
بِأَحْوَالِهِمْ وَمَعْتَقَدَاتِهِمْ تَيقِنَ بِطَلَانِ هَذَا الْكَلَامِ الْعُقْلِيِّ ، لَا الشَّرِعيِّ .  
فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنْ دَلَائِلِ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ نَصِيبٌ ، بَلِ الْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي  
تَقْرِيرِ خَلَافِهِ .

وَلَكِنْ تَتَلَمَّذَ فَئَامٌ لِأَهْلِ الْكَلَامِ وَكُتُبِهِمْ ، وَانْصَرَفُوا عَنْ تَدْبِرِ كِتَابِ  
رَبِّهِمْ . وَالْإِشْرَاكُ أَقْسَامٌ :

مِنْهَا مَا يَقْعُدُ فِي الرِّبُوبِيَّةِ كَاعْتِقَادِ الشُّنُونِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِوَجْدَ خَالقِينَ .  
وَمِنْهَا مَا يَقْعُدُ فِي الْأَلْوَهِيَّةِ كَمَا هُوَ شَرِّكٌ أَكْثَرٌ بَلْ كُلُّ مَنْ بَعَثَتْ لَهُمُ الرَّسُولُونَ  
الَّذِينَ قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي الْقُرْآنِ أَخْبَارَهُمْ .

فَهُمَا مِنْ مَنَازِعٍ فِي تَوْحِيدِ الرِّبُوبِيَّةِ عِنْدِ الْعَرَبِ إِلَّا شَرِذَمَةٌ لَا يَصْحُّ أَنْ  
تُنْسَبْ لَهُمْ مَقَالَةً كَمَا قَالَهُ جَمِيعُ الْعُلَمَاءِ . وَمَا أَوْلَئِكَ بِالْمُوَحَّدِينَ  
تَوْحِيدًا مُحْضًا .

قَالَ صَاحِبُ الْمَفَاهِيمِ صِ ٢١ :

«والامر الجامع في ذلك أن من أشرك مع الله جل جلاله غيره في الاختراع والتأثير فهو مشرك. سواء كان الممحوظ معه جاداً، أو آدمياً،نبياً، أو غيره، أو ملكاً، أو جناً، أو عملاً عمله.

ومن اعتقاد السببية في شيء من ذلك اطردت أو لم تطرد، فجعل الله تعالى لها سبباً لحصول مسبباتها، وأن الفاعل هو الله وحده لا شريك له فهو مؤمن، ولو أخطأ في ظنه ما ليس بسبب سبيباً لأن خطأه في السبب لا في المسبب الخالق المدبر جل جلاله وعظم شأنه».

أقول : وهذا الاعتقاد هو عين ما كان يعتقد مشركوا العرب حذروا القذه بالقذة والنعل بالنعل ، لا فرق ، فكيف تجري هذه الشبه في أمّة محمدٍ ﷺ ، وقد أكرمها الله ببعثة نبيه وإجابته واتباعه . ثم إن أهل وحدة الوجود يقولون : إن من اعتقاد أن هناك فاعلاً غير الله فقد أشرك وهو قول الخبرية أيضاً وذلك ما بدل عليه كلامه .

والمشركون لم يعتقدوا أن أوثانهم تخلق بنفسها ، ولا أنها تنفع بنفسها ولا أنها تفعل هي ، بل الفاعل عندهم والمدبر هو الله كما قال تعالى : «من يدبر الأمر فسيقولون الله» وقال «قل من بيده ملکوت كل شيء وهو يحيي ولا يحيي عليه إن كنتم تعلمون سيقولون الله» .

فإذا أخبرنا الله أن أولئك الأقوام إنما أشركوا شرك واسطة ، لا شرك خلق وإيجاد ، أشركوا شرك تسبب لا شرك استقلال ، فلماذا لا تتبع ما قاله الله وندع قول أحفاد اليونان من أهل الكلام .

إنها فتنة عظيمة شديدة عسى الله أن يخرج أقواماً منها .

قال تعالى إخباراً عن أهل النار : «قالوا لهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلالٍ مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين» .

فتتأمل قوله تعالى حق التأمل وتدبره، واجمع بينه وبين قوله تعالى : ﴿ولَئِن سَأَلْتُهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتُهُم مِّنْ خَلْقِهِمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ . تعلم من ذلك أمرین :

الأول : أن تسوية المشركين مع عبوديهم برب العالمين لم تكن في الخلق والإيجاد، بل سووهم برب العالمين في التوجه والعبادة. فحق الله أن لا يتوجه بطلب الغفران ورفع الدرجات والعطاء والرحمة إلا منه.

وهم توجهوا بطلب الغفران والعفو وطلب الخير من أصنامهم المثله على صور الصالحين. وكان شعارهم : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرُبُونَا إِلَى اللَّهِ زَلْفِي﴾ وكذا قولهم : ﴿هُؤُلَاءِ شَفَاعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ . فتبين باليقين القاطع أن تسويتهم مع عبوداتهم برب العالمين إنما هي في المحبة والتعظيم والتوجه والقصد، وطلب الشفاعة والواسطة.

فالقرآن حق كله، وأحسن وأعلى وأغلى ما فسر به القرآن القرآن. الثاني : أن اتخاذ الشفعاء ودعاء المقربين طلباً لشفاعتهم شرك وهو عين شرك البخاطلين، وشركهم كان في الألوهية في التسوية بين الله وبين خلقه في التوجه والقصد طلباً للشفاعة والدعاء والتسبيب، وقول صاحب المفاهيم : «إن هذا سبب»، كذب على الشرع فإن الله لم يجعل هذا سبباً لقبول الدعاء ولا أمر به ولم يشرعه لعباده.

ومن توجه إلى كتاب الله وتفقه فيه وتبصر بآياته وما أخبر الله فيه عن عقائد المشركين وعقائد الموحدين، وأحوال الرسل مع أقوامهم وما يتصل بذلك من بيان التوحيد والشرك فإنه من المهددين حقاً.

وسيقوم بقلبه من محبة الله وتوحيده، وتعظيمه وطاعته ما به يصل - برحمه الله - إلى اليقين في الدنيا، والجنة والنعيم في الآخرة، اللهم يسر لنا أسباب ذلك منك وتكريماً.

قال صاحب المفاهيم ص ٢٥ :

«وإذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي، ولا سبيل إلى تكفيرونهم». ١ هـ

أقول : يعني بهذا أن من قال للنبي ﷺ بعد مماته : أستغث بك يا رسول الله إذا كان القائل موحداً فيجب حمله على المجاز العقلي . إذ لا يعقل استغاثة موحد بالأموات على سبيل الاستقلالية ، عند الكاتب .

بل المعنى الذي طلبه المستغث هو التسبب .

وهذا المعنى كثر وروده في كتاب «مفاهيم يجب أن تصحح» ، والحق ينبغي على أن هذه المقدمات والأمور التي يعلل بها للمستغثين باطلة مقدماتها ، وباطلة نتائجها . وكشف ذلك يتم بأمرتين :

الأول : أن يقال : ومن قال إن المستغث والداعي إذا قصد التسبب لا يكفر ، بل القرآن لما كشف حال العرب أعلم أنهم لم يكن شركهم إلا بقصد التسبب لا الاستقلالية ، كما قال تعالى : «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» ، أي : وما يؤمن أكثرهم بأن الله هو خالقهم وما يعملون ، وهو المحبي المميت وأنه الذي يجير ولا يجار عليه إلا وهم مشركون به في اتخاذ الأصنام وسائط ، واتخاذ الأرواح التي صورت على أجسام أصحابها الأصنام سبباً لتحصيل مقصودهم فيما يزعمون .

أفلا ترى إلى أنهم إذا أيقنوا بالهلاك في البحر أخلصوا الدعاء لله فلم يتخدوا وسيلة إليه من المخلوقين كما يفعلونه في الرخاء .

فعلم من ضد أحواهم وبنص القرآن أن أولئك المشركين ما كانوا يعتقدون الاستقلالية ، بل كانوا يعتقدون التسبب بما لم يجعله الله سبباً ولم يأذن به ، فلم يحتاج لهم بالمجاز العقلي ولم كفروا بقولهم «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» وهم إنما جعلوهم سبباً للتقربيهم

إلى الله زلفى .

الثاني : أن تخرج أقوال عباد القبور - المستغثين بالموتى الداعين إياهم ليشفعوا لهم عند ربهم ، المحبين أصحابها أعظم من محبتهم الله على المجاز العقلي منكر كبير، وخطأ عظيم مخالف لحقيقة حاهم ذلك أن كثيراً يعكفون على قبور الميتين ويعتقدون أن لصاحب القبر تصرف في الكون ، وأنه يفعل ما شاء مطلق التصرف<sup>(١)</sup> بإعطاء الله له ، وهذا كفر أعظم من كفر اعتقاد التسبب وهذا لم يخطر على أذهان الجاهلين من العرب .

ولذا تجد هؤلاء المشركين المعاصرین بنا دون معبدهم ويستغثون به لو كانوا بعيدين عنه بعضاً كبيراً ، لاعتقادهم بأن له قوة أكبر من قوتهم البشرية ، أعطاهم الله إياها ، وفوض له إصلاح شؤون طائفة من الخلق .

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ومن سمع أقوال المستغثين بأصحاب القبور علم أنهم يعتقدون أن لهم شيئاً من التصرف والاستقلالية . وهو كفر فوق كفر التسبب والواسطة .

قال أبو الفضل الشهاب الألوسي في تفسيره «روح المعاني» ٦/١١٥ :

«ولا أرى أحداً من يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب أو الميت المغيّب يعلم الغيب ، ويسمع النداء ، ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير أو دفع الأذى وإلا لما ادعاه ، ولما فتح فاه .

(١) ونقل موسى محمد علي في كتابه «التوصيل والوصلة» ص ٢٢٩ عن محمد عبدالله الشكاز قوله الآتي مستحسناً له مستشهاداً به ، قال : «الرجال أربعة : رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» وهم رجال الظاهر شهداء الجهاد البواسل . و«رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» وهم رجال الباطن ، جلساء الحق تعالى وعلم المشورة ... ثم قال : فرجال الظاهر هم الذين هم التصرف في عالم الملك والشهادة» ١ هـ .

وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم».

فالألوسي يبصر عبدة القبور المستغثين بأصحابها، ويعرف ما يدور بخلدهم من كثرة ما يراهم، وعلى مثل حال من ذكر كثير من الذين يصرفون وجوههم إلى غير الله.

وقد وقع في هذا صاحب المفاهيم حيث قال ص ٩١ في وصف نبي الله ورسوله محمدٌ ﷺ : «إِنَّهُ حِيُ الدَّارِينَ، دَائِمُ الْعَنَايَةِ بِأَمَّتِهِ، مُتَصَرِّفٌ بِإِذْنِ اللَّهِ فِي شَؤُونِهَا، خَيْرٌ بِأَحْوَالِهِ . . . ۚ» هـ فإنه يلمع ويشير إلى ذلك المعنى الذي عليه عبدة القبور، من اعتقاد تصرف المقربين من الأنبياء والصالحين بشؤون الناس.

قال صاحب المفاهيم ص ٩٥ :

«فالسائل : يا نبي الله إشفني واقض ديني لو فرض أن أحداً قال هذا فإنما يريد : إشفع لي في الشفاء، وادع لي بقضاء ديني، وتوجه إلى الله في شأني، فهم ما طلبوا منه إلا ما أقدرهم الله عليه، وملكتهم إياه من الدعاء والتشفع.

وهذا هو الذي نعتقده فيمن قال ذلك، وندين الله على هذا، فالإسناد في كلام الناس من المجاز العقلي الذي لا خطر فيه على من نطق به» هـ  
أقول :

أولاً : ومن قال إن الدعاء والشفاعة يملكها ويقدر عليها من حياته برزخية نبياً كان أو غيره فهذه قالة فاسدة يقيناً.  
وقد فصلت في موضع آخر حكم الواسطة، وكذا حقيقة الشفاعة وكيف تطلب، فيراجع في محله.

الثاني : أن هذا القول فيه من الزعم على الاطلاع على قلوب عباد القبور شيء كثير، وكأنما صاحب المفاهيم كفيل بكل من دعا أصحاب القبور أن يدافع عنهم، وكان قصارى ما يجب عليه إنصافاً وعدم

مكابرة أن ينسب ذلك إلى اعتقاده هو نفسه، وإلا فقلوب الناس لا سبيل إلى معرفة حقيقة ما فيها.

الثالث : أن من نتائج هذا القول السيء إلغاء أقوال الفقهاء في باب حكم المرتد، إذ كل من صدر منه قول شركي وكفري سيخرج من عهده بالمجاز العقلي.

فهو لاء المنافقون في عهد رسول الله ﷺ حين قالوا في غزوة تبوك : «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء» فنزل فيهم قول الله جل وعلا : «ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ولنلعب قل أبا الله وأياته ورسوله كتم تستهزئون لا تعذرنا قد كفرتم بعد إيمانكم» الآيات. أخرجه ابن أبي حاتم بإسناد حسن، وأخرجه ابن جرير وغيره.

فلم يعذرهم عن استهزائهم، ولا قبل منهم، ولو كانوا في هذا الزمان لخرج أصحاب المجاز العقلي قولهم ، ولم يكفروهم.

وكذا من قال من الزنادقة : الشيطان ربى ، أو الحاج إلهي ، أو الولي الفلاني مطلع على سري ، أفيقول فقيه : إن كان موحداً حل قوله على : الشيطان عصى ربى ، وال الحاج أصله إلهي ، أو رب الولي الفلاني مطلع على سري .

هذا مالم تحم حوله أقوال فقيه ، ولا خرجها مخرج ، ولا اعتذر عنهم بذلك معذراً ، ولو أجيزة ذلك لسمعت الأقوال الكفرية الشركية صباح مساء من الفسقة والمنافقين ، ولطعنوا جهاراً في الدين ثم إذا أتت الأمور عند الحاكم أحال كل منهم على المجاز العقلي وخرج من عهدة الشرك .

أفيقول بهذا حاكم ، أم يتسيغه مفت ، أم يقول به طالب علم ، أم يفوه به منتب لأهل العلم .

إن قبل هذا قابل فأبشر بعزة لدين الزنادقة ، وتول الدين الموحدين

دين رب العالمين، ثم أبشر بكل شر.

أفيجوز بعد هذا أن يحتاج محتاج بالمجاز العقلي الحادث.

فهذا مذهب المالكية في الردة لا يقبل المجاز العقلي، فمن ذلك ما

قاله الدردير في «شرحه الصغير» (١٤٤/٦) وما بعدها :

«الردة : (كفر مسلم) متقرر إسلامه بالنطق بالشهادتين مختاراً،

يكون :

(بصريح) من القول : كقوله أشرك بالله .

(أو قول يقتضيه) أي : يقتضي الكفر، ك قوله : جسم كالجسام .

(أو فعل يتضمنه) أي : يستلزم لزوماً بينماً .

ثم قال في حكم من سبّ نبياً (١٥٤/٦) :

«(ولا يعذر) الساب (بجهل) : لأنه لا يعذر أحد في الكفر

بـالجهل ، (أو سُكِّنٍ) حراماً (أو تهور) : أي كثرة الكلام بدون ضبط .

ولا يقبل منه سبق اللسان (أو غيظ) فلا يعذر إذا سب حال الغيظ

بل يقتل الخ (أو بقوله : أردت كذا) فلا يقبل منه ويقتل» ١ هـ

فانظر إلى عدم الاعتداد بقوله : أردت كذا، وهو عين المجاز

العقلي، الذي يزعمه الزاعمون .

وفي شرح الشيخ علیش على مختصر خليل (٤/٤٧٧) قال :

«(أو) سب لـ (تهور) أي توسيع ومباغة (في) كثرة (كلامه) وقلة

مراقبة وعدم ضبطه وعجزه، فلا يعذر بـالجهل ولا بدعيـوى زلل

اللسان» ١ هـ

وعند الحنفية من التكfir بمجرد القول ما يطول، وقد اختلفوا في

قول القائل من الخطباء في ألقاب السلطان : العادل الأعظم، مالك

رقاب الأمم، سلطان أرض الله، مالك بلاد الله، حكى ابن نجيم

في «البحر الرائق» (٥/١٢٤) الخلاف في كفره. والموحد ظاهر مراده،

وأنه لا يعني بـ مدحه السلطان إضافة هذه الأشياء له حقيقة، بل إنها

يعني به الإسناد المجازٌ، وهو المجاز العقلي، فلم يمنع ذلك من حكم بعضهم بکفره.  
ومقصودنا التمثيل لا التتبع، وبما ذكرنا يبطل تبرير الأقوال الشركية والکفرية بالمجاز العقلي.

## فصل

قال صاحب المفاهيم ص ١٦ :

«ولا شك أن المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة» انتهى.  
أقول : قال القزويني في «الإيضاح في علوم البلاغة» ص ٢٨ -  
٢٩ بعد سياق حد المجاز العقلي وأمثاله :

«واعلم أنه ليس كل شيء يصلح لأن تتعاطى فيه المجاز العقلي بسهولة . بل تجده في كثير من الأمر تحتاج إلى أن تهيئ الشيء ، وتصلح له».

ثم قال :

« وأنكر السكاكي وجود المجاز العقلي في الكلام » ١ هـ  
وهذا الكلام من شيخ البلاغة القزويني يبطل أن تبرر أقوال عبدة القبور بالمجاز العقلي ، إذ استعماله وتعاطيه ليس سهلاً ، خاصة في الأمور الشرعية ، وأعلاها الكفر والإيمان .

وأما في قولِ أديبٍ أو شعر شاعر فيتعاطى مع شيءٍ من العسر . والسكاكي وهو من هو أنكر وجوده في الكلام ، وهو وإن كان يسميه تسمية أخرى فإن خارج التسمية يبعد شيئاً من تطبيقاتها .

وما من شك في أن أولئك المستغيثين بعباد الله الصالحين من وارتهم القبور لم يحم حوالهم معنى المجاز العقلي بل ولا عرفوه ولا سمعوا به . والقول بالمجاز العقلي عند من أجازه مقتن بقصد المتكلم به ، أما من لم يحم حواله له بالفما يخرج قولهم عليه .

وقد اختلف العلماء في وقوع المجاز أصلًا في اللغة، وفي القرآن، فنفي جماعة من محققى العلماء وقوعه في اللغة : منهم أبو إسحاق الإسفرايني، وأبو علي الفارسي قالا : إنه لا مجاز في اللغة أصلًا. أفاده ابن السبكي في «جمع الجواجم» من كتب الأصول.

ونصر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة شمس الدين ابن القيم في «الصواعق». وغيرهما.

قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي في كتابه «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز» ص ٧ :

«ثم إن القائلين بالمجاز في اللغة العربية اختلفوا في جواز إطلاقه في القرآن، فقال قوم : لا يجوز أن يقال في القرآن مجاز منهم : ابن خويز منداد من المالكية، وابن القاصر من الشافعية، والظاهرية. وبالغ في إيضاح منع المجاز في القرآن الشيخ أبو العباس بن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى، بل أوضحوا منعه في اللغة أصلًا .

والذى ندين الله به ويلزم قبوله كل منصف محقق أنه لا يجوز إطلاق المجاز في القرآن مطلقاً على كلا القولين» ١ هـ  
ولا يحسن في مثل هذا المختصر الإطالة بتفصيل الإجمال، ولكن ينبغي أن يعلم أن النافي للمجاز وهم طائفة من أئمة الأصول والعربية والعقائد يعنون منع اطراده في كل ما شاء من يحيزه.

فالتوقف عند ما استعملته العرب في مجازي كلامها هو التحقيق، فما استعملته العرب جاز استعماله مما يفيد بسياقه غير ما يفيده بأفراده، أعني أن تركيب الكلام يفيد ما لا يفيده أفراد الكلام.

فإن استعملت العرب هذا المعنى التركيبي صح استعماله، وهو حقيقة في المعنى المركب، لا في المعنى الإفرادي .

ومن أراد أن لا يفرق بين ما استعملوه مركباً وما استعملوه في وضعه

الأول فسيعكر عليه ذلك نصوص كثيرة .  
فما يسميه المجيذون مجازاً هو عند النافين أسلوب من أساليب اللغة العربية ، واللغة العربية كلها حقيقة ، والحقيقة تكون لفظية أي يدل اللفظ على معناه بمفرده ، وتكون تركيبية أي تدل الألفاظ على معناها بتركيبتها .

والفرق بين هذا وبين القول بالمجاز : أن المجاز أعم ، وقول المحققين أخص . فالمدعون للمجاز يجوزون عبارات وأساليب لم تعهد لها العرب في كلامها ، بتقدير مخدوفاتٍ في الكلام وتقدير نسبٍ لا ضابط لها .

والعقل ليس أصل اللغة جزماً ، بل أصل صحة الاستعمال السمع ، فيما جاء عنهم مستعملًا في موارده قبل وسمي : حقيقة . وما لم يستعملوه فلا يستعمل في دلالات الألفاظ ومفرداتها ، لا في قواعدها وأينيتها .

والمسألة معروفة مشهورة ، ولا تحتمل أكثر من هذا في مثل هذه الردود المختصرة .

”الباب الثالث“  
السفاحة

## الشفاعة

معنى الشفاعة في اللغة :

تقول : شَفَعَ لِي يَشْفَعُ شفاعةً، وَتَشَفَّعَ : طَلَبَ.

قاله ابن سيده في «المحكم»<sup>(١)</sup>، ونقله في «اللسان»، قال أبو منصور : «وروى أبو عمر عن المبرد وثعلب أنها قالا في قوله تعالى : من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه» قالا : الشفاعة : الدعاء هنَا.

والشفاعة : كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره»<sup>(٢)</sup>

وشفع إليه : في معنى طلب إليه.

والشافع : الطالب لغيره، يتشفع به إلى المطلوب.

معنى الشفاعة : الدعاء.

وعلى هذا يفسر موارد اللفظ في القرآن والسنة، في لفظ الشفاعة.

فمما ورد في السنة ما رواه أبو هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في صلاته على الجنائزة «اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفيعاً فاغفر له». رواه أحمد.

وعن أنس وعائشة عن النبي ﷺ قال : «ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه». رواه مسلم.

وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه». رواه مسلم.

فهذا معنى الشفاعة في وضع اللغة واستعمال الشرع.

. ٤٣٦ / ١ . ٢٢٣ / ١ . (١)

. ٤٣٧ - ٤٣٦ / ١ . تهذيب اللغة، للأزهرى . (٢)

## آيات الشفاعة :

جاءت في الشفاعة آيات كثيرة في كتاب الله الكريم ، وبعضها ينفي الشفاعة مطلقاً عن أحدٍ غير الله ، وأخرى فيها إثبات الشفاعة عنده تعالى وتقيد الانتفاع بهذه الشفاعة بإذن الرحمن جل وعلا بالشفاعة ، وفي آيات غيرها تقيد الانتفاع برضى الله جل شأنه عن المشفوع له . فمما جاء في اختصاص الشفاعة بالله وحده ولا يملكها أحد غيره قوله تعالى : ﴿أَمْ اتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكُنَّا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشُّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ﴾ .

فهذا نفي بالنص الصريح أن يملك أحد الشفاعة ، بقوله ﴿قُلْ لِلَّهِ الشُّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ .

ومن ذلك نفيه تعالى أن يكون من دون الله شفيع قال ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِنِّي وَلَا شُفَعَاءُ﴾ .

وهذه الآية في المؤمنين ، قال ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يَحْشُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِنِّي وَلَا شُفَعَاءُ لِعَلَّهُمْ يَتَّقَوْنَ﴾ .

وهذا نفي منه تعالى أن يكون للمؤمنين شفيع من دون الله . ومنه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خَلْةٌ وَلَا شُفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

فنفي تعالى أن يكون في ذلك اليوم شفاعة .

ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الشُّفَاعَةِ إِلَّا مَا شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

وفي آيات آخر : ذكر الله تعالى أن الشفاعة موجودة في ذلك اليوم ، وتنفع بقيد وشرط أن يأذن الله تعالى للشفيع أن يشفع .

فمنه قوله تعالى في أعظم آية في القرآن ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عَنْهُ﴾ .

إلا يأذنه .

وقال في أول يومن **﴿يَدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾** .  
وقال تعالى في النجم **﴿وَكُمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تَغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضِي﴾** .  
وغير ذلك من آيات الذكر الحكيم .

وفي آياتٍ أخْرَى ذَكَرَ تقييد الانتفاع برضى الله ، واتخاذ الشافع والمشفوع له عهداً عند الله .

قال تعالى : **﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيتِهِ مُشْفَقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾** .

وقال : **﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفاعةَ إِلَّا مِنْ اتَّخَذُوا عِهْدًا﴾** .

وقال : **﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفاعةَ إِلَّا مِنْ أَذْنِ رَبِّ الْجَنَّةِ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾** .

وآياتٍ أخْرَى لا تخفى على من تتبع ما في الباب من آيات .  
فإذا تبين أن الله تبارك وتعالى قد نفى في كتابه شفاعة ، وأثبت شفاعة ، وجب على طالب الحق أن ينظر في هذه الشفاعة المنافية ، والشفاعة المثبتة ومعنى هذه وهذه ، حتى لا يضل في هذا الأمر الذي ضل فيه فثام من أمة محمد ﷺ ، وإنما كان سبب ضلالهم أن كل فرقة أخذت بأية وبينت عليها أحکاماً ولم تتبع آيات الشفاعة في القرآن ، فضرروا كتاب الله ببعضه ببعض ، والقرآن حق كله ، والحق لا ينافق حقاً أبداً .

فالآيات الأولى دلت على أن هناك شفاعةً منافية ليست لأحدٍ من الخلق ، وهذه الشفاعة هي ذاك النوع الذي يظنه المشركون في الجاهلية .

وأولئك المشركون ظنوا أن الشفاعة عند الله ، كالشفاعة عند غيره

وهذا أصل ضلال النصارى أيضاً.

فمن ظن أن الشفاعة المعهودة من الخلق للخلق تنفع عند الله، مثل أن يشفع الإنسان عند من يرجوه المشفوع إليه، أو يخافه، كما يشفع عند الملك ابنه، أو أخوه، أو أعزائه، أو نظاروئه الذين يخافهم ويرجوهم فيجيب سؤالهم، لأجل رجائه أو خوفه منهم، أو أن لهم حقاً عنده يوجب عليه الإجابة فيمن يشفعون فيه عنده، وإن كان يكره شفاعتهم، ويشفعون بغير إذنه.

فهذه الشفاعة هي التي نفاحتها الله جل وعلا في الآيات الأولى، وهي أن يكون الشافع حق عند الله كما للشففاء حق عند الملوك ونحوهم.

وهذا النوع هو الشركي الذي أشرك به من أشرك بالله، واتخذ وسائل يسألهم الشفاعة. كما كان يفعله النصارى، وأشباههم في ذلك من هذه الأمة، ويعتقدون أن لهم أن يسألوا المقربين من الأنبياء والصالحين شفاعتهم، وهم يعتقدون أن لهم حقاً عند الله به يجيب شفاعتهم ولا يرد شفاعتهم.  
وهذا غلط :

فإن دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد يرد، وليس كل ما دعوا به أجيبي، بل ربما امتنعت إجابتهم لحكمة يعلمهها الله عز وجل، إما أنه قد سبق في القضاء ما دعوا به، أو لأنهم دعوا وشفعوا فيمن لم يرض الله قوله، أو نحو ذلك من الموضع.

ومن المتقرر في الكتاب والسنة أن الأنبياء ليس لهم حق في أن يجح جمِيع ما دعوا به، ودعاؤهم حري بالإجابة وهم أرفع من غيرهم من أنفسهم، فإجابة سولهم إما إعطاؤهم عين مأسألوها، أو تأخير ذلك بالأجر الجزييل لهم.

وقد يستنكِر بعض الناس هذا لكونه لم يرتو من علوم الكتاب

والسنة، ولم يتفقه فيها، ولذا سأسوق بعض الدلائل لعلّها تكشف  
بعض الناس، وتبصر أقواماً :

فرسول الله ﷺ قد قال الله له : «استغفروهم أو لا تستغفروهم إن  
تستغفروهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله  
ورسوله ..»

فرسول الله محمد ﷺ - وهو خير الخلق وأعظمهم قدرًا عند الله -  
لو استغفر لأولئك المنافقين لم يغفر لهم ، وذلك لوجود مانع يمنع  
الإجابة ، وهو أن المستغفر له غير مرضي عنه ، فشرط الرضى غير  
متتحقق في المشفوع له فلم يُحب الداعي فيما سأله . وفي الآية بيان لهذا  
بقوله : «ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله» .

وقد تمعن إجابة الرسول الله ﷺ لحكمة يعلمها الله جل وعلا ، كما  
في الحديث الذي أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٧١ / ١٧٢) أن  
رسول الله ﷺ قال : «سألت ربِّي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ، ومنعني واحدة  
: سألت ربِّي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك  
أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» .  
وأورد الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» قول بعض شراح  
المصابيح : «اعلم أن جميع دعوات الأنبياء مستجابة» فتعقبه بقوله  
(٩٧ / ١١) : «جزمه بأن جميع أدعيتهم مستجابة فيه غفلة عن  
الحديث الصحيح : سألت الله ثلاثة فأعطيتني اثنتين ومنعني  
واحدة . الحديث» انتهى كلام الحافظ .<sup>(١)</sup>

وأخرج البخاري (١١ / ٩٦) ومسلم (١ / ١٣٠ - ١٣٢) عن أبي  
هريرة وأنس بن مالك ومسلم نحوه عن جابر، قال رسول الله ﷺ :  
«لكلَّ نبِيٍّ دُعْوةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُوُنَّ بِهَا وَأَرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيءَ دُعْوَتِي شفاعة

(١) لعل شارح المصابيح اعتمد في قوله على ما روي عن عائشة في حديث : «وكلَّ نبِيٍّ مجَابٌ» ، وهو حديث ضعيف ، ولذا لم يعرج الحافظ عليه بالاستدلال ، فتنبه .

لأمتى في الآخرة» هذا لفظ نسخة الأعرج عن أبي هريرة.  
قال الحافظ في «الفتح» : «وقد استشكل ظاهر الحديث بما وقع  
لكثير من الأنبياء من الدعوات المجابة ولا سيما نبينا ﷺ، وظاهره أن  
لكل نبي دعوة مستجابة فقط. والجواب : أن المراد بالإجابة في الدعوة  
المذكورة القطع بها، وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجاء الإجابة»

- 1

وعلى هذا جرى أهل العلم وشراح الحديث، وقال الـكـرـمانـيـ في  
«ـشـرـحـ الـبـخـارـيـ» (١٢٢/٢٢) عند شرح الحديث : «ـمـعـنـاهـ لـكـلـ نـبـيـ  
ـدـعـوـةـ مـجـاـبـةـ الـبـتـةـ،ـ وـهـوـ عـلـىـ يـقـيـنـ مـنـ إـجـابـتـهـاـ،ـ وـأـمـاـ باـقـيـ دـعـوـاتـهـمـ فـهـوـ  
ـعـلـىـ رـجـاءـ إـجـابـتـهـاـ،ـ وـبـعـضـهـاـ يـجـابـ وـبـعـضـهـاـ لـاـ يـجـابـ»ـ اـنـتـهـىـ .ـ  
ـوـكـذـلـكـ غـيرـهـ مـنـ الـأـنـبـيـاءـ لـهـمـ دـعـوـةـ مـسـتـجـابـةـ،ـ وـمـاـ كـلـ مـاـ دـعـواـ بـهـ  
ـأـجـبـ.

فهذا نوح قال : «رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحكمين. قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم إني أعظمك أن تكون من الجاهلين». فسأل نوح ربه الشفاعة في ابنه فلم يعطها، لأنه فقد شرط الرضى على الابن، ولذا قال «إنه عمل غير صالح».

وهذا إبراهيم خليل الله ﷺ لم تُنفع شفاعته في أبيه .  
وأمثال هذا معلوم لمن تدبر القرآن والسنة ، مقرر فيهاً أوضح تقرير  
وأبلغه .

فإذا انتفى هذا عن الأنبياء، فالصالحون أولى وأولى.  
وبعض الخلوف الجهال يظنون أن للأنبياء حقاً عند ربهم لا يرد،  
ولا يعملون بهذه الآيات والأحاديث، وذلك من تسوييل الشيطان  
وتلاعنه بهم.

قال ابن جرير في تفسير آية البقرة ﴿ولَا تنفعها شفاعة﴾ : «فتاويٌ

الآية إذاً : واتقوا يوماً لا تقضى نفس عن نفس حقاً لزمهها لله جل ثناؤه ولا لغيره، ولا يقبل الله منها شفاعة شافع، فيترك لها ما لزمهها من حق. وقيل : إن الله عز وجل خاطب أهل هذه الآية بها خاطبهم بها فيها، لأنهم كانوا من يهودبني إسرائيل، وكانوا يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه، وسيشفع لنا عند آبائنا .

فأخبرهم الله عز وجل أن نفساً لا تجزي عن نفس شيئاً في القيامه، ولا يقبل منها شفاعة أحدٍ فيها، حتى يستو في لكل ذي حق منها حقه»<sup>(١)</sup> انتهى .

والطائفه الثانية من الآيات أفادت إثبات الشفاعة وهي الشفاعة الشرعية المخالفه لما عليه المشركون .

وأخبر الله تعالى أنها لا تنفع إلا بشرطين :

الأول : إذنه سبحانه للشافع أن يشفع .

الثاني : رضاه سبحانه عن المشفوع له .

وهذان الشرطان لازمان لكل شفاعة ترجى منفعتها .

فاما الإذن : فهو إذن الله تعالى للشافع ، ونكتة هذا القيد وسره صرف الوجوه إلى الله وإسلامها له ، وتعلقها به ، وترك تعلقها بغيره لأجل الشفاعة ، لذلك يساق هذا بعد ذكر التوحيد وذكر ما يدل على وجوب عبادة الله وحده ، وهذا الشرط لم يفهمه فئام من الناس ، ظنوا أن الاستثناء يفيد إثبات الشفاعة مطلقاً ، وطلبها من غير الله فعادوا لما ظنه المشركون وقصدوه .

وحققتها أن الله اذا أراد رحمة عبده ونجاته أذن لمن شاء في الشفاعة رحمة للمشفوع فيه ، وكرامة للشافع .

وإذا سأله الشفاعة ولم يأذن الله له لم تنفعه كما في شفاعة نوح لابنه وإبراهيم لأبيه ونبيها محمدٌ لعمه في استغفاره حتى نزلت ﴿ما كان

---

(١) ٣٢/٢ ط. الاستاذ محمود شاكر.

للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴿صلى الله عليهم وسلم تسليها﴾.

فالرسل المذكورون صلوات الله وسلامه عليهم لم يأذن الله لهم الإذن الشرعي في أن يشفعوا، فلذا ردت شفاعتهم. ولم يرض سبحانه فيمن شفعوا فيهم لأنهم كفار مشركون، فلذا لم تنفع شفاعة هؤلاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

والله لا يرضى إلا التوحيد كما قال ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ ولذا فسر السلف الرضا في الآيات التي ورد بها بالإخلاص والتوحيد، وترك الشرك كله.

فأخرج ابن جرير في «تفسيره» (١٦ / ٩٧) وابن المنذر، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ( ) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ١٠٩ كلهم من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى في مريم ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ قال : شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله.

وهذه الطريقة هي التي قال فيها الإمام أحمد هاتيك الكلمات، قال : «إن بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لورحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً».

قال الحافظ ابن حجر : «وهي عند البخاري عن أبي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس» انتهى. وهذه الطريقة أعلى الطرق جودة وصحة عن ابن عباس في التفسير.

وفي المعنى ما أخرجه ابن مردوه في «التفسير» في هذه الآية عن ابن عباس قال : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

وأخرج ابن جرير (١٣/١٧)، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والبيهقي في «البعث» وفي «الاسماء والصفات» ص ١٠٩ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿وَلَا يُشَفِّعُونَ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى﴾ يقول:   
الذين أرضاهم شهادة أن لا إله إلا الله .  
وهذه الطريق سلف الكلام عليها.

وفي قوله تعالى في الملائكة ﴿وَلَا يُشَفِّعُونَ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى﴾ .  
قال قتادة : «وَلَا يُشَفِّعُونَ» . قال : لا تشرع الملائكة يوم القيمة  
﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى﴾ قال : لأهل التوحيد .  
آخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير (٢٥ / ٦٢) وابن المنذر عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشُّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ﴾ قال كلمة الإخلاص .

### ﴿شَفَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ﴾

إذا تقرر هذا فينبغي النظر في نصوص الشرع الخاصة بشفاعة  
رسول الله ﷺ .

ففي الحياة الدنيا طلب الصحابة من رسول الله ﷺ أن يدعوه لهم  
وهو معنى أن يشفع لهم ، وهذا لا ينزع فيه أحد .  
 وإنما الشأن في طلب الشفاعة منه بعد موته ، وأهل السنة مجتمعون  
في القرون الثلاثة المفضلة على أمرين :

الأول : عدم مشروعية طلب الشفاعة منه في قبره ، وإنما ظهر  
خلاف من خالف من شذاذ الناس بعد نشاط الدعوات الباطنية  
كالإسماعيلية والفاتمية ، ومن تأثر بها كالموسوية الجعفرية وشبهها ،  
فروجوا هذا في الناس ، فأشكل على بعضهم .

فقد كان المسلمون في القرون الثلاثة المفضلة لا يعرفون طلب  
الشفاعة منه بسؤاله إياها ، بل مضى الخلفاء الراشدون ولم يسأل أحد

منهم نبي الله الشفاعة بعد موته، ولو كانت مشروعة لكانوا أحقرن  
عليها، ولم يتركوا طلبها منه بعد موته.

فلو لم يكن تغير نوع الحياة له أثر عند هم لما تركوا ذلك.

وكذلك مضى التابعون وتابعوهم بإحسان وتابعوهم.

حتى نشطت الدعوات الباطنية التي تسترت بالتشيع لأهل بيته  
النبي ﷺ، بل إنهم ألفوا الكتب باسمهم، وهذا ظاهر لمن درس  
حركة إخوان الصفاء والعبيديين «الفاطميين» وكلها باطنية  
إسماعيلية، شعارهم التشيع لأهل البيت بزعمهم، وهم أول من  
أحدث الكذب في النسب إلى آل البيت رضي الله عنهم.

فالملتصقون من هذا أن الاستشفاع بالنبي ﷺ بسؤاله الشفاعة بعد  
موته محدث أحدثه الباطنيون.

الثاني : وهو الأهم ، أن أهل السنة مجتمعون أن للنبي ﷺ أنواعاً  
من الشفاعة يشفع بها ، ولم يذكروا منها طلبها منه في قبره ، بل كلها  
يوم القيمة .

فينبغي تأمل هذا ، ومن خالف إجماع أهل السنة فليس منهم .

## ﴿ فصل ﴾

وبرهان هذا الإجمال الذي قدم أن رسول الله ﷺ أخبر أنه «أول شافع وأول مشفع» أخرجه مسلم (٥٩/٧). وهذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى لأهل الموقف، بالنص والإجماع.

فهذا قوله ﷺ نحکمه على من ادعى محبته وتصديقه، فقوله «أنا أول شافع وأول مشفع» يقتضي أولوية مطلقة لا استثناء فيها، على كل من قامت قيمة.

ومن زعم أنه بعد موته في قبره يشفع وأن الصالحين يشفعون بعد موتهم في قبورهم فلا معنى لقوله «أنا أول شافع» عند ذاك الزاعم، إذ لو كان النبي ﷺ يشفع في قبره لكان يشفع من حين موته إلى أن ينفح في الصور، وحينئذ فلا معنى لقوله «أنا أول» إذ لو كان يشفع في قبره لا تنتفي تخصيصه ﷺ بهذه الفضيلة يوم القيمة.

إذا كان في حياته يشفع لهم بالدعاء، وبعد موته يشفع وبعد قيام قيامة الناس يشفع، فأي معنى لقوله ﷺ «أنا أول شافع» فهو على هذا الفرض مستديم الشفاعة، ودائماً قبولاً منها عند أولئك الزاعمين، وإذا كان كذلك فأيفائدة من إنشاء هذا الخبر أنه أول شافع وأول مشفع. فتدبر هذا فإنه مفيد لمن أراد الله به خيراً.

فأهل السنة المتمسكون بما كان عليه الصحابة يطلبون في حال موت النبي ﷺ الشفاعة من الله، ويسألون الله أن يشفع فيهم نبيه ﷺ وطلبهم هذا يكون بأمرين :

**الأول :** الاستقامة على تحقيق كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وفهم معناها، والعمل بمقتضاها، ومخالفة معتقدات مشركي العرب وأشباههم من قالوا : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾، ومن قالوا ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ يشيرون إلى أوثانهم التي مثلوها بصور الأنبياء والصالحين.

الثاني : التضرع والاستكانة بين يدي الله في أوقات الإجابة  
والأسحار أن يمن عليهم بالاستقامة على التوحيد، ويثبتهم عليه،  
وأن يشفع فيهم نبي الله محمدًا ﷺ، حين يأخذ الناس الكرب،  
فيكون أول شافع وأول مشفع .

اللهم أنلنا شفاعته، واجعلنا من شفعته فيهم، ولا تحرمنا هذه  
الشفاعة ونسألك الثبات على التوحيد والعزم على الرشد .

ويهدى الأمرين يكون أهل الحق والسنة قد أخذوا بقوله ﷺ  
«لكل نبي دعوة مستجابة، وإن اختبأت دعوى شفاعة لأمتى يوم  
القيمة فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً» متفق  
عليه .

وهو تفسير لقوله ﷺ لأبي هريرة : «أسعد الناس بشفاعتي يوم  
القيمة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه» متفق عليه .  
فأهل الحق أخذوا وأعملوا القولين ولم يحرفوا أحد القولين عن مراد  
الله ، فاهتدوا ، فزادهم هدى وآتاهم تقواهم .

قال صاحب المفاهيم ص ٧٨ :

«رُعِمَ بعضاً مِّنْهُمْ أَنَّهُ لَا يجُوزُ أَنْ تطلب الشفاعة مِنَ النَّبِيِّ فِي الدُّنْيَا. بَلْ ذَهَبَ الْبَعْضُ الْآخَرُ مِنَ الْمُتَعَنِّتِينَ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ شُرُكٌ وَضَلَالٌ، وَيُسْتَدِلُّونَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿قُلْ لَهُ الشُّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ وَهَذَا الْأَسْتِدَلَالُ باطِلٌ، وَلَا يَدْلِي عَلَى فَهْمِهِمُ الْفَاسِدُ، وَذَلِكَ مِنْ وَجْهِهِنَّ :

أولاً : أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ نَصٌّ لَا فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنْنَةِ يَنْهِي عَنْ طَلْبِ الشُّفَاعَةِ مِنَ النَّبِيِّ فِي الدُّنْيَا» ١ هـ

أقول : هُوَ لَا يَعْنِي بِقَوْلِهِ فِي الدُّنْيَا حَالُ حَيَاتِهِ لَيَعْلَمُ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ وَإِنَّمَا يَعْنِي بِقَوْلِهِ «فِي الدُّنْيَا» طَلْبَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ مَوْتِهِ، كَمَا صَرَحَ بِهِ بَعْدَ بِقَوْلِهِ ص ٨١ : «لَا بَأْسَ بِطَلْبِهَا مِنْهُ بَعْدَ مَوْتِهِ» ١ هـ .

وَهَذَا الْوَجْهُ مَرْدُودٌ مِّنْ وَجْهِ كَثِيرٍ، أَجْتَزَئُ مِنْهَا أَوْجَهًا :

الأول : أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ مَوْتِهِ لَا يَقَالُ إِنَّهُ فِي الدُّنْيَا لَا عُقْلًا وَلَا شَرْعًا .

الثاني : أَنَّ هَذَا بَرْهَانٌ لَا يَقُومُ عِنْدِ الْعَارِفِينَ بِالْبَرَاهِينِ، إِذَا قَوْلُهُ «لَمْ يَرِدْ نَصٌّ» مَتَهَافِتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُثْبِتَ حُكْمًا وَيَعْتَمِدْهُ وَيَنْصُرْهُ فَلَا بَدَّ أَنْ يَأْتِي بِنَصٍ يَدْلِي عَلَى ثَبَوْتِهِ، فَقَوْلُهُ بِجُوازِ طَلْبِ الشُّفَاعَةِ مِنَ الْمَقْبُورِينَ أَنْبِياءً وَصَالِحِينَ هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَبرهنَ عَلَيْهِ بِنَصٍّ، لَا أَنْ يَقَالُ لِمَنْ نَفَاهُ مَعْتَمِدًا عَلَى عَمُومَاتِ النَّصوصِ فِي حَالِ الْمُشْرِكِينَ، أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ نَصٌّ، وَكَذَا لِمَنْ نَفَاهُ بِنَاءً عَلَى النَّفِيِّ الْأَصْلِيِّ حَتَّى يَرِدْ دَلِيلُ الْأَثْبَاتِ، لَأَنَّ الْعِبَادَاتِ تَوْقِيفِيَّةٌ، لَا بَدَّ لَهَا مِنْ أَدْلَةٍ صَرِيحَةٌ .

الثالث : أَنْ قَوْلُهُ «لَمْ يَرِدْ نَصٌّ» غَيْرُ صَحِيحٍ، فَعَمُومَاتِ النَّصوصِ تَنْهَى عَنْ طَلْبِ الشُّفَاعَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ لِأَنَّهُمْ أَفْضَلُوا إِلَى مَا قَدَّمُوا، فَتَأْمُلْ

قوله : «ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفاؤنا عند الله» ، والدعاء هو العبادة ، والشفاعة طلب الدعاء ، فعلم أن قوله «هؤلاء شفاؤنا» تفسير لـ «يعبدون» في أول الآية .

وهنا نقل أسوقة عن الرازي <sup>(١)</sup> ليستبين به الحال وأن لا يقال أن هذا فهم «الوهابيين» فقط ! قال في «تفسيره» (١٧ / ٥٩ - ٦٠) :

«اختلفوا في أنهم كيف قالوا في الأصنام إنهم شفاؤنا عند الله ! ..» فذكر صوراً منها قوله :

«ورابعها : أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم ، وزعموا أنهم متى اشتبثوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفاعة لهم عند الله تعالى .

ونظيره في هذا الزمان : اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقادهم أنهم اذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون لهم شفاعة عند الله » ١ هـ .

وهو كلام يقضي على قول صاحب المفاهيم من أُسّه ، حتى يواري كلامه في رُمسِه ، من رجل هو عند هم مقدم في قوله وحسه .  
والآيات في الشفاعة الشركية كثيرة ، نوعها الله جل وعلا في كتابه ، ليتذرر باغي الخير ، متحري الصراط المستقيم .

وهو إخبار عن قوم مشركين كي نبعد عن حاهم وصفتهم . وسياقه الآيات كلها وأقوال أهل التفسير والعلم فيها يخرج بي عن قصد الاختصار والإيجاز ، وقد قدمت طرفاً منها ، ويرجع المستزيد لأقوال المفسرين وأهل العلم عند آيات الشفاعة .

الرابع : قال تعالى في سورة سباء : «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا

---

(١) والنقول كثيرة ، لكنني اخترت الفخر لأنهم يفخرون بفهمه في «أصول الدين» ، وهذا المنقول عنه من أصول الدين .

من أذن له» والآية قبلها قوله : «**فَلَمْ يَأْتُوكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ**  
**مَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ**  
**فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا**  
**لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ**. **وَلَا تَنْفَعُ الشَّفاعةَ عَنْهُ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ»**.  
**فَأَبْطَلَ تَعَالَى صُورَ الشَّرِكِ الَّتِي يَعْتَقِدُهَا الْمُشْرِكُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ،**  
**وَهَذِهِ الْآيَةُ قَالَ فِيهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُتَقْدِمِينَ : هَذِهِ الْآيَةُ تَقْطَعُ**  
**عِرْوَقَ شَجَرَةِ الشَّرِكِ مَنْ عَقَلَهَا.**

قال السرازي في «تفسيره» (٢٥٤ / ٢٥٥ - ٢٥٥) : «واعلم أن المذاهب المفضية إلى الشرك أربعة.....» فذكر ثلاثة ثم قال : «رابعها : قول من قال : إننا نعبد الأصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا ، فقال تعالى في إبطال قوله : «**وَلَا تَنْفَعُ الشَّفاعةَ عَنْهُ إِلَّا**  
**مَنْ أُذِنَ لَهُ**» فلا فائدة لعبادتكم غير الله ، فإن الله لا يأذن في الشفاعة  
 مَنْ يَعْبُدُ غَيْرَهُ .

**فَبِطْلِبِكُمُ الشَّفاعةَ تَفُوتُونَ عَلَى أَنفُسِكُمُ الشَّفاعةَ** ١ هـ كلام السرازي بحروفه، فتأمل قوله أن من طلب الشفاعة فوت على نفسه الشفاعة التي تكون يوم القيمة، لأنها لا تناول إلا بالتوحيد، ومن التوحيد ترك طلب الشفاعة من المقربين، سواء كانوا أنبياء أو صالحين وإنما تطلب شفاعة الأنبياء من الله سبحانه لا منهم ، وتطلب من الله بتحقيق التوحيد والاستقامة عليه ، وترك طلب الشفاعة من لا يملكونها .

وهذا هو الحق الذي اتفقت عليه أقوال أهل العلم قبل إحداث الباطنية التعلق بالأموات ، وال الفلسف لإثباته بطرق عقلية لا شرعية . وإنها ضل من ضل بسبب أنه ظن أن ما في القرآن من آيات في الشفاعة هي عن قوم مضوا وانتهوا ، وهذا من مداخل الشيطان والأهواء على النفوس ، وما أحسن قول شمس الدين ابن القيم<sup>(١)</sup> على

٠) مدارج السالكين (١/ ٣٤٣ - ٣٤٤).

هذه الآية :

«فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً ونجاة وتجريداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك ومواده من عقلها. والقرآن مملوء من أمثلها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً.

وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم وشر منهم ودونهم.

وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك.

ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة اذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية. وهذا لأنّه اذا لم يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه، وقع فيه وأقره ، ودعا إليه وصوّبه وحسنه ، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه الجاهلية أو نظيره أو شرمنه ، أو دونه ، فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه» ١ هـ.

قال صاحب المفاهيم ص ٧٨ :

«ثانياً : أن هذه الآية لا تدل على ذلك ، بل شأنها شأن غيرها من الآيات التي جاءت لبيان اختصاص الله سبحانه وتعالى بما هو ملك له دون غيره ، بمعنى أنه المتصرف فيه ، وهذا لا ينفي أنه يعطيه من يشاء إذا أراد ، فهو مالك الملك ، يعطي الملك من يشاء وينزع الملك من يشاء .. الخ كلامه ثم قال :

كذلك الشفاعة كلها لله ، وقد أعطاها للأنبياء وعباده الصالحين ، بل وكثير من عامة المؤمنين كما نطقت به صحاح الأحاديث المتواترة معنوياً ، وأي حرج في أن يطلب الإنسان من المالك بعض ما يملكه .. الخ» ١ هـ.

أقول :

أولاً : اختصاص الله بالشفاعة اختصاص ملك ، ومعنى ذلك أنه ليس لأحدٍ من الخلق شفاعة إلا من أخبر الله أن له شفاعة مقيدة بقيود ، فالله جل وعلا هو مالكها يأذن لمن شاء أن يشفع ، في من رضي أن يشفع فيه ، فالشفاعة ليست ملكاً مطلقاً لهم كما زعمه الكاتب ، لأن المالك له التصرف فيها يملكه ، وإنما حقيقة الشفاعة أنها لله وحده ، لكنه سبحانه يأذن لمن شاء أن يأذن له وفي هذا قام صرف القلوب إلى خالقها وحده مالك الشفاعة ، وعلى هذا دلت الآية في الزمر قال تعالى ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكُو لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقُلُونَ. قُلْ اللَّهُ شُفَعَاءُ جُمِيعًا لِهِ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ﴾.

فأخبر تعالى أن من اتخذهم المشركون شفعاء لا يملكون شيئاً ، وشيئاً نكرة في سياق النفي فتعم الشفاعة وغيرها ، فهم لا يملكون الشفاعة ، كما نبه عليه جماعة من المفسرين .

وهذه الآية صريحة في أنهم لا يملكون الشفاعة ، وهذا الملك هو الذي يظنه المشركون وهو المطلق من شرطي الإذن للشافع ، والرضى عن المشفوع له ، فالشفيع مع هذين الشرطين يملك الشفاعة ملك انتفاع مؤقت ، لا ملكاً دائمًا . ولذا يحتاج في كل شفاعة أن يأذن الله ويرضى ، فليست الشفاعة للشفيع مطلقاً ، ولذا قال سبحانه ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ فقوله : ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي من دون إذنه ورضاه .

ثانياً : قول الكاتب إن الشفاعة أعطيت للأنبياء والصالحين .. الخ ، مغالطة ظاهرة ، فالشفاعة أعطيت للأنبياء والصالحين يوم القيمة مع شرط الإذن والرضى ، لا إعطاء مطلقاً ، ولذا لا نصيب فيها لشرك ، وصحاح الأحاديث المتواترة معنوياً كما قال

هي في الشفاعة يوم القيمة لا في الحياة البرزخية.

ففي الحياة البرزخية لا يجوز أن يسأل أحد ميتاً الشفاعة، لأنهم لا يملكونها في الحياة البرزخية حتى ولا ملك انتفاع، لأنهم قد أفضوا إلى ما قدموا.

والنبي ﷺ الذي أخبر بأنه سيشفع يوم القيمة، لم يخبر بأنه في قبره يشفع، ولا يوجد دليل صحيح ولا ضعيف في ذلك.

فقوله «كما نطقت به صاحح الأحاديث المتواترة معنويًا» تلبيس على الأغمار، فالآحاديث في شفاعة القيمة لا الحياة البرزخية، ولذا عدل الكاتب عن إثبات الحجة إلى الإحالة الإجمالية وما فيها من تلبيس، لينخدع بها من عري من العلم.

ولم لا يحاكم الكاتب نفسه إلى الصحابة الكرام، فهل طلب الشفاعة بعد موت النبي ﷺ صحابي من العشرة، أو طلبها أحد من البدررين، أو أحد من شهد بيعة الرضوان، أو من حج معه حجة الوداع أو من شاء من الصحابة، فلم يطلب أحد منهم من رسول الله ﷺ في حياته البرزخية الشفاعة، بل عدلوا إلى طلبها - وهي الدعاء - من هو دونه عام القحط، وهذا إجماع منهم.

ثالثاً : أن آية الزمر «**قُلْ لِلّٰهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**» رد على من يصرف قلبه لغير الله احتجاجاً بالشفاعة، كما كان مشركوا العرب يصنعون مع آهتهم، فإنهم كانوا يعتقدون في آهتهم أنها شفاعة لهم، فأخبر تعالى أن الشفاعة له، ليس لأحد منها شيء.

قال الرازي في «تفسيره» (٢٦/٢٨٥) :

«اعلم أن الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالاً . فقالوا : نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها آلة تضر وتنفع ، وإنما نعبدها لأجل أنها تماثيل لأشخاص كانوا عند الله من المقربين ، فنحن نعبدها لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء لنا عند الله .

فأجاب الله تعالى بأن قال ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولُو  
كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقُلُونَ﴾.

وتقرير الجواب : أن هؤلاء الكفار إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة : من هذه الأصنام ، أو من أولئك العلماء والزهاد الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لها .

وال الأول باطل : لأن هذه الجمادات وهي الأصنام لا تملك شيئاً ولا تعقل شيئاً، فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها؟

والثاني باطل : لأن في يوم القيمة لا يملك أحد شيئاً، ولا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله . فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله ، الذي يأذن في تلك الشفاعة . فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره» انتهى .

قال صاحب المفاهيم ص ٧٨ - ٧٩ :

﴿أَيْ حرجٌ فِي أَنْ يَطْلُبَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْمَالِكِ بَعْضَ مَا يَمْلِكُهُ لَا سِيَّما  
إِذَا كَانَ الْمَسْؤُلُ كَرِيمًا، وَالسَّائِلُ فِي أَشَدِ الْحَاجَةِ إِلَى مَا سُأْلَهُ﴾.  
أقول : بني هذا على أن الشفاعة وإن كانت ملكا لله ، فقد ملكها  
للأنبياء والصالحين .

وهذه المقدمة قد احتاج بها مشركوا العرب ، فيظنون أن الله ملك الملائكة ، والأنبياء الشفاعة تمليكا مطلقاً من القيود ، وهذا غلط في الفهم أسوأ غلط لأن الله جل جلاله وتقديست أسماؤه لم يملك أحدا من خلقه الشفاعة تمليكا مطلقاً من القيود ، بل لا أحد يشفع عنده إلا بأمرين :

- ١ – إذن الله للشافع أن يشفع .
- ٢ – رضاه عن المشفوغ له .

والإذن هنا ليس هو الارادة الكونية ، بمعنى أنه لو لم يأذن لم يقع ولم يكن ، بل من ظن هذا الظن فقد ظن نظير ما قاله المشركون ﴿لَوْ شَاءَ

الله ما أشركنا ولا آباؤنا» فانهم قالوا لو لم يشا الله شركنا لم يحدث في ملکه وملکوته ، ولم يأذن بوقوعه .  
وهذه الشبهة أصل ضلال كثيرين .

فالمقصود هنا أن النبي ﷺ والصالحين إنما يشفعون من إذن الله له يوم القيمة ، ورضي توحيده قوله .

وأما في الدنيا في حياتهم وتمكنهم من الدعاء فقد يشفعون بمعنى أنهم يطلبون من الله ويدعون ، فمن دعا من الأنبياء دون إذن من الرحمن وشفع فيمن لم يأذن الرحمن بالشفاعة فيه فهذا يرد عليه ولا قبل شفاعته ، وهذا ظاهر كما قال تعالى لنبيه ﷺ لما استغفر لعمه : «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» .

وقال لنبيه : «استغفر لهم أولاً تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» ، والآية في شأن المنافقين الذين كانوا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلون مع الناس ويجهدون ، لكنهم لم يخلصوا ولم يوحدوا ربهم بأعمالهم فكان هذا شأنهم فلم ينفعهم استغفار النبي ﷺ .

قال ص ٧٩ :

«هل الشفاعة إلا الدعاء . والدعاء مأذون فيه ، مقدور عليه لا سيما الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الوفاة في القبر ، ويوم القيمة فالشفاعة معطاة لمن اخذه عند الله عهدا ، ومقبولة لديه عز وجل في كل من مات على التوحيد». ١ هـ

أقول : وهذه الجملة من كلامه حوت تلبيساً وغلطاً .  
فالنصوص قد جاءت بجواز طلب الشفاعة أي الدعاء من رسول الله ﷺ في حياته .  
وجاءت بطلبيها منه ﷺ يوم القيمة .

ولم تجئ بطلبها منه في حياته البرزخية .  
وما يؤكّد منع طلبها منه وهو في البرزخ :  
أن الأحاديث جاءت في حياته ويوم القيمة ، فلو كان طلبها في  
البرزخ مشرّعا لا تنفي تخصيص الحياة ، والقيمة بالذكر .  
فلما كان كذلك علم منه أن النوع الثاني من الحياة ، وهو الحياة  
البرزخية تختلف ما قبلها وما بعدها . ويدليل أن الصحابة لم يفعلوا  
ذلك بعد وفاته ﷺ فتقرر أنها لا تطلب من الأموات .  
وهذا برهان إجمالي .

وأما تفصيل الرد على قوله ، فيقال :  
قوله : الدعاء مأذون فيه مقدور عليه .  
ليس صحيحا على إطلاقه في الحياة والموت .  
فاما والداعي حي قادر فهذا صحيح ، وأما بعد موته فليس الأمر  
كذلك ، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يجعل قبره مسجدا ، فقال في  
ماروته عائشة وابن عباس وأبو هريرة : «لعن الله اليهود والنصارى  
اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا .

قالت : فلو لا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً .  
متفق عليه والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .  
والشاهد أن هذه اللعنة لمن اتخذ القبر مسجداً إنما هي لأن المسجد  
يقصد للدعاء ، وأعلى أنواع الدعاء الصلاة ، والصلاحة دعاء في اللغة  
قال تعالى : «وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم» ، وقال الاعшинى  
في شعره المشهور :

تقولُ بِنْتَيْ وَقَدْ قَرَبْتُ مُرْتَحِلًا  
يا رَبَّ جَنَبٍ أَبِي الْأَوْصَابِ وَالوَجَعَا  
عَلَيْكِ مثُلُّ الذِّي صَلَيْتَ فَاغْتَمَضَيْ  
نَوْمًا فَإِنَّ لِجَنَبِ الْمَرِءِ مَضْطَجَعًا

قوله (صلیت) يعني : دعوت . وشواهد هذه المعنى كثيرة . والصلاحة كلها دعاء عبادة ، ودعاء مسألة ، ومن لم يعرف هذين النوعين للدعاء لم يوفق لفهم الآيات في الدعاء .

فإذا كانت المساجد إنما تقصد لدعائے الله فيها فلعنة الله على من اتخذ قبور أنبیائه مساجد معناها النبي البليغ الشديد عن الدعاء عندها ، ولن دعا عندها .

وإذا كان من دعا عندها كذلك وهو لم يدع إلا الله فكيف به اذا سأل الميت الدعاء .

والحي إذا أتيته وسألته الدعاء كان ذلك جائزا .

وأما الميت اذا سأله أن يدعو لك فذلك شرك . ولأجله نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ، يدعى عندها ويصلى عندها ، ونحو ذلك من وسائل الشرك ، وهذا مع إخلاص السائل في دعائه ، وإنما تحرى القبر لشرف المقرب ، ولظنه أن المكان مبارك ، وهذا من جنس من لعنه رسول الله ﷺ ، ومن شرار الناس ، فإن المساجد بنيت لدعائے الله فيها بالصلاحة ، والذكر .

إذا تقرر هذا فانظر فهم الخليفة الراشد عمر في علقة البخاري في «صحيحه» وقد رأى أنس بن مالك يصلی عند قبر فقال : القبر القبر . بـ .

يحذر أنساً ، ويعلمه أن بقرب مكان صلاتة قبرا .

ولو كان الميت يملك الدعاء ، ولو كان رسول الله ﷺ يملك بعد موته أن يدعولمن سأله ، ويقدر على الدعاء ، كما يقدر عليه حيا فلأي معنى نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ قبره مسجدا ، فالمسلمون كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم ، وكان يدعو لهم في حياته ، فلو كان دعاؤه لهم مقدورا مستديما بعد موته ﷺ لما نهى عن اتخاذ القبور مساجد ، وهي الذريعة الكبرى ،

والوسيلة العظمى للإشراك الأكبر برب الأرباب، بطلب الدعاء من الأموات، والاستغاثة بهم، ونحو ذلك.

الثاني : أن يقال : اذا كان طلب دعاء الأموات من الأنبياء جائزًا لهم يقدرون على الدعاء، فلأي معنى لم يطلب صحابة رسول الله ﷺ منه أن يدعوهم بعد موته وعدلوا إلى العباس ويزيد الجرشي وهم أعلم الأمة وأحرص الأمة على الخير.

الثالث : هؤلاء شهداء أحد معروف مكانهم وفضلهم، معروفة قبورهم لم يذهب إليهم أحد من المسلمين من صحابة رسول الله ﷺ في حياته ولا بعد مماته يسألونهم الدعاء.

وهم أحياه حياة برزخية بنص القرآن ﴿وَلَا تَحْسِبُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ اللَّهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ فَرْحَانِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبَشِّرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحِقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَنَّ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبَشِّرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فلم ترك أولئك طلب دعاء هؤلاء الشهداء، بل كانوا يدعون لهم، لا يسألونهم الدعاء، وهم أحياه بنص كريم. لكن حياتهم ليست كحياتنا على الأرض.

نعلم منه أنهم وإن كانوا أحياه حياة برزخية لا نعلمها فهي مختلفة في ما يقدرون عليه عن حياتهم في الدنيا.

وهذا تقرير نافع لمن تأمله وتدبره، والحمد لله رب العالمين.

الرابع : أن مسلماً أخرج في «ال الصحيح» (١٨٩/٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن خير التابعين رجل يقال له أوياس ، وله والدة وكان به بياض ، فمروه فليستغفر لكم».

وأخرج أيضاً أن عمر قال لأويس لما لقيه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتي عليكم أويس بن عامر » الحديث وفيه : « لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل » فاستغفر له .

وفقه هذا الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ أرشد عمر إلى أن يطلب الدعاء من أويس وهو تابعي ، وأين منزلته من منزلة رسول الله ﷺ ، فأرشده الرسول ﷺ إلى أن يدعوه المفضول ويترك طلب الدعاء من خير الخلق في قبره ، وهذا دليل واضح في أن الفرق هو تغير نوع الحياة ، وقدرة الحي على الدعاء للمعين ، بخلاف من حياته برزخيه عليه الصلاة والسلام ، فتأمل .

قوله :

« لا سيما الأنبياء والصالحين في الحياة ، وبعد الوفاة في القبر ، ويوم القيمة ، فالشفاعة معطاة لمن اخذه عند الله عهداً ». .

أقول : قد مر فيما سبق في الوجهين الثاني والثالث الماضيين ما به يرد على هذه المقالة السيئة ، التي تخالف شريعة محمد ﷺ .

وبقي هنا أمر وهو أن يقال :  
قوله :

وبعد الوفاة في القبر ، مما لا يستطيع أن يأتي عليه بدليل ، بل إن المشركين في الجاهلية اتخذوا بعض أصنامهم عند أماكن أناس صالحين ، وعند قبورهم ، ولم يكونوا يطلبون منها سوى الشفاعة . والمشركون لم يكونوا يحجون لأصنامهم ولا يتصدقون لها ، بل كانوا يدعون أصنامهم الممثلة على صور الصالحين ، أو المتخذة على قبورهم ، وكان لهم معها

١ - حال الرخا : وهم أنهم يسألونها حيناً أن تدعو لهم وحينما يدعونها أنفسها، وهم يعتقدون أن أرواح من اتخذ الصنم على صورته تخلع عند الصنم فتسمع الدعاء وتدعوه لهم فتجيئهم إلى ما يطلبون. ويسألونها جلب الخيرات، وإغداق الأموال، واستمرار المسرات وهذه كانت حا لهم في الرخاء كلها دائرة على طلب الدعاء من الأصنام، أو دعوها.

وحالهم قوله ﴿مَا نعبدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أي ماندعهم.

ويستعينون على تحقيق استجابة الأوثان، لهم بصرف النذور لهم، وإيصال القرابين إلى أعتابهم فتذبح باسماء الأوثان فيجيب الجن بعض ماطلبوا، فيظنون أن المجيب هو المدعوا، فقويت عبادتهم عندهم.

٢ - حال الشدة : وأهل الجاهلية كانوا في هذا الحال يخلصون العبادة لله أي الدعاء، كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى :

﴿إِنَّمَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ وغيرها من الآيات.

وهذا يدل على أن الله أعظم في نفوسهم من تلك الأصنام لعلهم أنه لا يحيط في الشدة إلا بالإخلاص، وتوجيه الدعاء وهو العبادة له سبحانه .

وجماع هذا أن من سأله المقبور أن يدعوه لكشف شدته فإنه قد صرف مغض حق الله للمقبور.

وببيانه أن من وقعت به شدة وكان به شدة حاجة إلى ما سأله فسيكون في قلبه من التعلق بمن سأله وحبه ورجائه أمر عظيم

وسيكون قلبه مضطراً لتعظيم هذا المسؤول، وهذا كله مما يجب أن لا يكون إلا لله، فإذا كان الحب ورجاء إجابة السؤال، وتفریج الهموم، وزوال الكروب يطلب من غير الله من المقربين أنبياء أو صالحين فما بقي للقلب تعلق بالله، أين المحبة التي لا تكون إلا لله.

فإذا علق هذا بالموتى كان كما قال تعالى عن أشياهم :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَخَذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحْبِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حِبًا لِّلَّهِ﴾.

فالحمد لله الذي وفق محبي رسول الله ﷺ حقيقة لاتبع سنته وهديه، في دعائه، وفي فعله وتركه.

وخذل من شاء من خلقه بعده فتركوا سبيله في فعله وتركه، ولم يرتصوها وتشعبت بهم السبل والطرق. ﴿قُلْ هَلْ نَبِئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صنعاً . . . . . الآيات﴾.

فالشيطان حريص على إغواء بنى آدم ويأتي كلاً بما يناسبه، فيأتي من يتنسب إلى العلم فيفضلها بما يتنسب إليه، وواقع أحبابه في العيان ظاهرة، وشبهه في قلوب مواليه قاهرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال ص ٨٠ :

«وإذا صاح طلب الشفاعة منه في الدنيا قبل الآخرة فإن معنى ذلك أنه سينالها حقيقة في محلها يوم القيمة، وبعد أن يأذن الله تعالى للشفاعة بالشفاعة لا أنه ينالها هنا قبل وقتها» ١ هـ.

أقول :

أولاً : ليس هذا قصد من يطلب الشفاعة من رسول الله ﷺ في الدنيا، بل قصده أن يشفع له الآن، وصاحب المفاهيم يراوغ نفسه، ويناقضها فإذا كان قصده كذلك فلم أطال في إثبات خبر عثمان بن

حنيف الباطل الضعيف فيمن أبطأ عليه عثمان بالاستجابة .  
أليس - في زعمه - أن شفاعة رسول الله ﷺ له كانت هنا في الدنيا .  
ولم ساق خبر العتبى ، وقد أجبت عنكم شفاعته في الدنيا .  
ولم سردت كل ما سررت من أقوال ، ت يريد بها إثبات طلب الشفاعة  
منه ﷺ في الدنيا ، وتحب ذلك للناس بيان أثر طلبها في الدنيا .

لم كل هذا من صاحب المفاهيم ؟

لم يتناقض ، وفي صفحات متقاربة .

أينسى ، أم يتناهى ، أم هو صاحب هوى .

ثانياً : يقال : إذا كان مقصودكم - إن صدقتم - طلب الشفاعة  
الأخروية التي تكون يوم القيمة فلم لا تتبعون السبل المشروعة التي  
سنها من أعطي الشفاعة ﷺ .

ومن أمثال ذلك سؤال الله له الوسيلة كما في حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة» أخرجه البخاري في «صحيحة» وغيره .

وفي «صحيح مسلم» (٤/٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول : «من سأله عن الوسيلة حلت له الشفاعة» .

وكما في قوله ﷺ لأبي هريرة : «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه» أخرجه البخاري (١٩٣/١) والأخلاص ترك الشرك وإفراد الله بالعبادة ، كما في حديث أبي هريرة الآخر : «أني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتى يوم القيمة فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً» متفق

(١٥) وهو في الصحيحين باختلاف يسير عن هذا اللفظ .

فيهذا وأمثاله تطلب الشفاعة من الله ، فيطلبها أهل التوحيد بترك الإشراك وتحقيق التوحيد ، وبسؤال الله لنبيه الوسيلة ، ولا يطلبها أهل التوحيد الكارهون للشرك بأصنافه ، الصحابة وأتباعهم إلى يوم الدين من النبي ﷺ في قبره ، بل يعلمون بدلائل القرآن والسنة أن من سأله الشفاعة بعد وفاته فهو خلائق بحرا منه من الشفاعة .

فاتبعوا يا عباد الله المشروع في سؤال شفاعة رسول الله ﷺ يوم القيمة ، وابتعدوا عن مالم يفعله رسول الله ﷺ ولا صحابته المقربون . وإذا لم نسأل النبي ﷺ الشفاعة فغيره من الصالحين أولى وأولى . ولدلائل هذا ظاهرة ، فعسى أن تجد قلوبنا مهدية ، لم يعل عليها هواها ، فالتبصر التبصر ، والاتباع الاتباع .

ثالثاً : يقال شفاعة النبي ﷺ في الآخرة لا تطلب منه في الدنيا لا سيما وهو ميت . وإنما تطلب منه في وقت الحاجة إليها وفي حال حياته ﷺ في الآخرة حينما يستد الحال بأهل الموقف كما صح في الحديث ، وحينما يريد أهل الجنة دخول الجنة . وحينما يدخل أهل الكبار من أمته في النار أو يؤمر بدخولهم فيها ، كما دلت على ذلك النصوص الصحيحة . أما طلبها الآن فهو طلب قبل أوانه . ومن تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرا منه .

قال ص ٩٢ في رده على أهل السنة والجماعة الذين يفرقون بين ما مكن الله العبد منه في الحياة الدنيا ، وبين مالم يمكنه في الحياة البرزخية .

قال : « ولنقتصر هنا على هذا السؤال : أيعتقدون أن الشهداء أحياء عند ربهم كما نطق القرآن بذلك أم لا؟ ، فإن لم يعتقدوا فلا كلام لنامعهم لأنهم كذبوا القرآن حيث يقول : ﴿ولا تقولوا ممن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ .. ﴿ولا تحسبن

الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياه عند ربهم يُرزقون» . وإن اعتقدوا ذلك فنقول لهم : إن الأنبياء وكثيراً من صالح المسلمين الذين ليسوا بشهداء كأكابر الصحابة أفضل من الشهداء بلا شك» ١ هـ.

أقول : يظهر أن الكاتب لا يعرف معتقد أهل السنة والجماعة ، ولو عرفه لم فتح فاه ، ولا نبس بها نبس به .

فكتب علماء السنة وخاصة علماء هذه البلاد ، وتلا مذكرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منتشرة مشهورة ، وفيها بيان اعتقادنا والحمد لله . فمن ذلك ما كتبه الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الاعتقاد لأهل مكة لما دخلها أتباع الدولة السعودية الأولى سنة ١٢١٨ هـ فمما قال :

«والذي نعتقد أن رتبة نبينا محمد ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق ، وأنه حي في قبره حياة بروزخية ، أبلغ من حياة الشهداء ، للنصوص عليها في التنزيل ، إذ هو أفضل منهم بـلـارـيـب» ١ هـ<sup>(١)</sup> . وسئل الشيخ عبدالله أبا بطين المتوفي سنة ١٢٨٢ هـ هل النبي ﷺ حي في قبره؟ فأجاب :

«الله سبحانه وتعالى أخبر بحياة الشهداء ، ولا شك أن الأنبياء أعلى رتبة من الشهداء ، وأحق بهدا ، وأنهم أحياه في قبورهم ، ونحن نرى الشهداء رمياً ، وربما أكلتهم السبع ، ومع ذلك هم «أحياء عند ربهم يرزقون» . فرحبين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم .»

فحياتهم حياة بروزخية ، والله أعلم بحقيقةها .

والنبي ﷺ قدّمت بنص القرآن والسنة ، ومن شك في مorte فهو كافر» ١ هـ<sup>(٢)</sup> .

(١) الدرر السنّة / ١١٤/١ .

(٢) الدرر السنّة / ١٦٥/٢ .

فهذا بحمد الله معتقدنا، ولو علمه الكاتب لما حرك قلمه بهذه الشبهة، والقوم يظنون أنهم أفرج بالدلائل الصحيحة الصرحة من أهل السنة والجماعة، وما صح دليل إلا وقد نصره أهل السنة نصراً بلبيغاً، مع النظر في غيره من الأدلة، والحمد لله رب العالمين.

ثم دخل الكاتب في الأرواح وخصائصها، وخاض بغير علم فمما

قال ص ٩٣ :

«ولا شك أن الأرواح لها من الانطلاق والحرية ما يمكنها من أن تجib من يناديها، وتغيث من يستغيث بها، كالأحياء سواء بسواء، بل أشد وأعظم» ١ هـ.

أقول : فهلا أتى الكاتب على علمه بالأرواح من دليل نقلٍ، والله سبحانه يقول : ﴿وَيُسَأَلُونَكُمْ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ . أم أنه كشف له الغيب فعلم ذلك وهذا أمر يجب تقريرها :

الأول : أن النبي ﷺ أعلم الخلق بما يمكن علمه من شأن الأرواح، وهو لم يعلم أصحابه وأمهاته هذا العلم من أنها «تغاث من يغاثها كالأحياء سواء بسواء بل أشد وأعظم».

أفکتم هذا العلم الذي علمه المفسرون المشركون .

الثاني : أن الأرواح لا تعلم أحواها وكيف هي ، وقدراتها ، والذي نعلمه قطعاً أنها لا تجib من يدعوها ، ولا تغاث من يستغيثها .

فما ظن الكاتب بدين الجahلية دين المشركين ، أيعبدون أصناماً أحجاراً أم أنهم لم يعبدوها إلا وقد رأوا أثرها من إجابة دعاء ، وإغاثة . إن أعظم فتن الشياطين هي الشرك ، وبابه القبور حيث يظهر عمل شياطين الجن من تمثيل بصورة المقبور ، وتكليم الحاضرين ، وربما أجاب سؤالاً ، وغير ذلك .

الثالث : وما يتفرع عنها أسلفتُ ما ذكره الشيخ العَلَمُ تقي الدين ابن

تيمية في «الجواب الصحيح لمن بَدَل دِينَ الْمَسِيح» قال (٣٣٢/١) : «والشيطان إنما يضل الناس ويغويهم بما يظن أنهم يطعونه فيه، فيخاطب النصارى بما يوافق دينهم، ويخاطب من يخاطب من ضلال المسلمين بما يوافق اعتقادهم، وينقله إلى ما يستجيب لهم فيه بحسب اعتقادهم، وهذا يتمثل لمن يستغيث من النصارى بجرجس في صورة جرجس، أو بصورة من يستغيث به من النصارى من أكابرهم إما بعض البتاركة، وإما بعض المطارنة، وإما بعض الرهبان.

ويتمثل لمن يستغيث به من ضلال المسلمين بشيخ من الشيوخ في صورة ذلك الشيخ، كما يتمثل لجماعة من أعرفه في صورتي، وفي صورة جماعة من الشيوخ الذين ذكروا ذلك.

ويتمثل كثيراً في صورة بعض الموق، تارة يقول : أنا الشيخ عبد القادر، وتارة يقول : أنا الشيخ أبو الحجاج الأنصاري، وتارة يقول : أنا الشيخ عدي، وتارة يقول : أنا أحمد بن الرفاعي، وتارة يقول : أنا أبو مدين المغربي، وإذا كان يقول أنا المسيح أو إبراهيم أو محمد، فغيرهم بطريق الأولى.

والنبي ﷺ قال : «من رأني في المنام فقدراني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صوري» وفي رواية : في صور الأنبياء. فرؤيا الأنبياء في المنام حق، وأما رؤية الميت في اليقظة فهذا جنى تمثل في صورته.

وبعض الناس يسمى هذا روحانية الشيخ، وبعض الناس يقول : هي ريقته وكثير من هؤلاء من يقوم من مكانه ويدع في مكانه صورة مثل صورته، وكثير من هؤلاء ومن هؤلاء يرى في مكانين، ويرى واقفاً بعرفات وهو في بلده لم يذهب، فيبقى الناس الذين لا يعرفون حائرين. فإن العقل الصريح يعلم أن الجسم الواحد لا يكون في الوقت الواحد في مكانين.

والصادقون قد رأوا ذلك عياناً لا يشكون فيه، وهذا يقع النزاع كثيراً بين هؤلاء وهؤلاء، كما قد جرى ذلك غير مرة، وهذا صادق فيما رأى وشاهد، وهذا صادق فيما دل عليه الصریح، ولكن ذلك المرئي كان جنباً تمثل في صورة إنسان». ١ هـ.

وذكر رحمه الله في «قاعدة في التوسل والوسيلة» من تفصيل ذلك ما يزيد المؤمنين هدى، وما قال (١٧٤ / ١) مجموع الفتاوى) :

«وعند المشركين عباد الأوثان ومن ضاحها هم من النصارى، ومبتدعة هذه الأمة في ذلك من الحكايات ما يطول وصفه.

فإنه ما من أحدٍ يعتاد دعاء الميت والاستغاثة به نبياً كان أو غيرنبي إلا وقد بلغه من ذلك ما كان من أسباب ضلاله. كما أن الذين يدعونهم في مغيبهم ويستغيثون بهم فيرون من يكون في صورتهم، أو يظنون أنه في صورتهم، ويقول : أنا فلان، ويكلمهم ويقضي بعض حوائجهم، فإنهما يظنون أن الميت المستغاث به هو الذي كلمهم وقضى مطلوبهم.

وإنما هو من الجن والشياطين.

ومنهم من يقول : هو ملك من الملائكة، والملائكة لا تعين المشركين وإنما هم شياطين أصلوهم عن سبيل الله.

وفي مواضع الشرك من الواقع والحكايات التي يعرفها من هنالك، ومن وقعت له ما يطول وصفه» ١ هـ.

فقطع الكاتب بأن أرواح الموتى تغيث من يستغيث بها، كالآحياء بل أشد وأعظم: من الشرك الذي خدعت الجن والشياطين به طوائف من الناس، فتقربوا إلى المقربين، وإنما تقربوا في الحقيقة إلى شياطين الجن، فتشكلت لهم الجن وأرضوهם حيث أشركوا بهم، وهذا ما يريده إبليس اللعين، وقد أطاعه فيه عباد القبور، والمنافقون عنهم.

قال الكاتب ص ٩٦ شارحاً لمعنى حديث «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعن فاستعن بالله» قال «هذا الحديث الشريف ليس المقصود به النبي عن السؤال والاستغاثة بها سوى الله كما يفيده ظاهر لفظه، وإنما المقصود به النبي عن الغفلة عن ما كان من الخير على يد، الأسباب فهو من الله، والأمر بالانتباه إلى أن ما كان من نعمة على يد، المخلوقات فهو من الله وبالله».

فالمعنى : وإذا أردت الاستغاثة بأحد من المخلوقين ولا بذلك منها فاجعل كل اعتمادك على الله وحده . ولا تحجبنك الأسباب عن رؤية المسبب جل جلاله ولا تكن من يعلمون ظاهراً من هذه الارتباطات والعلاقات بين الأشياء المترتب بعضها على بعض ، وهم عن الذي ربط بينها غافلون » ١ هـ .

أقول : هذا التفسير لقول رسول الله ﷺ بناء الكاتب على مفهوماته للتوحيد وهو توحيد الربوبية ، وفسره تفسيراً لم ينقله عن عالم يرکن إلى تفسيره وشرحه ، ولا إلى إمام يحتذى حذوفهمه ويتبع عليه . فإذا كان من عند نفسه فلا شك أنه لن يقبل ولن يصار إليه ، والعجب منه كيف جرأته على تحريف مرادات رسول الله ﷺ لنصرة هواه .

وما يدل على بطلان ما فسره به :

أولاً : أن هذه الوصية من رسول الله ﷺ لابن عباس منقبة لابن عباس ، ولو فسرت بما فسرها به الكاتب ل كانت غير منقبة ، إذ تفسيره يدل على أن المخاطب معه أدنى درجات الإيمان والتوحيد فهو يحذر من الوقوع في براثن رؤية الأسباب ، وحاشا ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك .

الثاني : أن هذا الشرح خارج عما قاله الشراح من أهل العلم ، وما كان كذلك فهو من الهوى إن لم يقم صاحبه عليه دليلاً صحيحاً

نقاً ونظراً، وهو ما ليس في قول الكاتب هنا، وأنى له ذلك.

قال الحافظ الفقيه ابن رجب في «شرح الأربعين» (٢٢٨/٢) :

«قوله ﷺ : «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» هذا متنزع من قوله تعالى ﴿إِيَّاكُمْ نَعْبُدُ وَإِيَّاكُمْ نَسْتَعِين﴾، فإن السؤال لله هو دعاؤه والرغبة إليه، والدعاء هو العبادة، كذا روي عن النبي ﷺ من حديث النعمان بن بشير وتلا قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي إِسْتَجِبْ لَكُم﴾. خرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والنمسائى وابن ماجة.

وخرج الترمذى من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ : «الدعا مخ العبادة».

فتتضمن هذا الكلام أن يسأل الله عز وجل ، ولا يسأل غيره ، وأن يستعان بالله دون غيره . فأما السؤال فقد أمر الله بمسألته ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِه﴾ وفي الترمذى عن ابن مسعود مرفوعاً : «سْلُو اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَل». وفيه أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً «مَنْ لَا يَسْأَلُ اللَّهَ يَغْضِبُ عَلَيْهِ» وفي حديث آخر «لِيْسَأُلُّ أَحَدَكُمْ رَبَّهُ حَاجَتْهُ كَلَّهَا، حَتَّى يَسْأَلْ شَسْعَ نَعْلَهُ إِذَا انْقَطَعَ».

وفي النبي عن مسألة المخلوقين أحاديث كثيرة صحيحة .

وقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً منهم أبو بكر الصديق وأبو ذر وثوبان . وكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله إياها».

ثم قال ابن رجب :

«واعلم أن سؤال الله عز وجل دون خلقه هو المتعين ، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة وال الحاجة والافتقار ، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضر ونيل المطلوب ، وجلب المنافع ودفع المضار .

ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده لأنه حقيقة العبادة .  
وكان الإمام أحمد يقول : اللهم كما صنت وجهي عن السجود  
لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك . » انتهى كلام ابن رجب .  
وقال ابن حجر الهيثمي المكي في «الفتح المبين شرح الأربعين»  
ص ١٧٢ :

«فمع النظر لذلك لا فائدة لسؤال الخلق مع التعويل عليهم فإن  
قلوهم كلها بيد الله سبحانه وتعالى ، ويصرفها على حسب إرادته ،  
فوجب أن لا يعتمد في أمر من الأمور إلا عليه سبحانه وتعالى ، فإنه  
المعطي المانع ، لا مانع لما أعطي ولا معطى لما منع ، له الخلق وله  
الأمر . . . ثم قال :

«فبقدر ما يميل القلب إلى خلق يبعد عن مولاه لضعف يقينه  
ووقوعه في هوة الغفلة عن حقائق الأمور التي تيقظ لها أصحاب التوكل  
والاليقين ، فأعرضوا عما سواه وأنزلوا جميع حوائجهم بباب كرمه وجوده»  
١ هـ .

وفي «الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية» قال إبراهيم بن  
مرعي المالكي ص ١٧٨ :

«وإذا استعنت أي : طلبت الإعانة على أمر من أمور الدنيا  
والدين ، ولذا حذف المعمول المؤذن بالعموم «فاستعن بالله» لأنه  
القادر على كل شيء ، وغيره عاجز عن كل شيء ، والاستعانة إنما تكون  
ب قادر على الإعانة ، وأما من هو كُلّ عل مولاه لا يقدر على إنفاذ ما يهواه  
لنفسه فضلاً عن غيره ، فكيف يؤهل للاستعانة أو التمسك بسيبه .  
ومن كان عاجزاً عن النفع والدفع عن نفسه فهو عن غيره عاجز ، ليت  
الفحل يهضم نفسه .

فاستعانة مخلوق بمحظوظ كاستعانة مسجون بمسجون ، فلا تستعين  
إلا بمولاك فهو دليلك في أخراك وأولاك ، كيف تستعين بعد مع علمك

بعجزه، فمن لا يستطيع دفع نازلة عن نفسه كيف يدفعها عن غيره من أبناء جنسه، فلا تنتصر إلا به فهو الولي الناصر، ولا تعتصم إلا بحبله فإنه العزيز القادر» انتهى .

فهذه شذرة من كلام أهل العلم، يبين بها خروج الكاتب بمفاهيمه عن فهمهم ومن كان كذلك فليس منهم .

الثالث : إذا كان هذا كلام العلماء فيمن هو حي يقدر على إجابة السول وإعانته الطالب فما ظنك بالميت الذي هو أضعف في إجابته من الحي ، بل لا يحيط حيًّا سأله في أمرٍ يتعلق بهم ، فالميت مشغول بنفسه إما في نعيم وروضة وإما في جحيم وحفرة .

قال كاتب المفاهيم العجيبة :

«هذا الحديث يخطئ كثيرٌ من الناس في فهمه إذ يستدل به على أنه لا سؤال ولا استعانته مطلقاً من كل وجه وبأي طريق إلا بالله ، ويجعل السؤال والاستعانته بغير الله من الشرك المخرج عن الملة» .

أقول : إن من خطأ العلماء لا يُؤبه لكلامه ، فالحي الأولى له والأكميل تحقيقاً لتوحيدِه أن لا يسأل أحداً شيئاً ولا يستعين بأحد مطلقاً إلا بالله فهذه مرتبة الأنبياء والصديقين ولذا قال أنس بن مالك رضى الله عنه «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فوالله ما قال لي : أَفْ قط ، وَلَمْ يقل لشَيْءٍ فَعَلْتَهُ لَمْ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَا لشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ : أَلَا فَعَلْتَ كَذَا؟»

وبهذا أوصى طائفة من أصحابه أبا بكر وأبا ذر وثوبان .  
فهذا من تحقيق كمال التوحيد .

وأما سؤال الميت الأشياء والاستعانته به فهو منافٍ للتوحيد من أصله ، إذ الميت لا يمكنه إعانته نفسه ، فكيف يعين غيره . والميت لأن يعين نفسه أحقر وأشد رغبة ، فهو عن الناس في شغل ، وحده وقصاراه نفسه لا غير .

وقد قال تعالى : «**وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ**» يعني سمع إجابة .

والكاتب يها حل نفسه ، ويلوي أقوال الرسول ﷺ لتوافق مذهبه ولو كانت مخالفة لقول أهل العلم أجمعين .

ثم إن في تفسيره الحديث بها فسره به تنقصاً لابن عباس رضي الله عنها ، وقع فيه من جراء اختلاف التفاسير والشروح ، ومن خالف وقع .

ثم أراد أن يقوى نظرته المخالفة لأقوال أهل العلم بما ليس بدليل ، فمما قال ص ٩٧ :

«وقال ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَخْلَاقَهُمْ لِحَوَاجِنِ النَّاسِ يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَاجِنِهِمْ أُولَئِكَ الْأَمْنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ» فانظر إلى قوله ﷺ : «يَفْزَعُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَاجِنِهِمْ» ولم يجعلهم مشركين بل ولا عاصين» .

أقول : لم يذكر مخرج الحديث ، فقد رواه الطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عمر رضي الله عنه ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٩٢/٨) : «فيه شخص ضعفه الجمهور ، وأحمد بن طارق الراوي عنه لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح» هذا ما نقله المناوي في «فيض القدير» (٤٧٧ / ٢ - ٤٧٨) عن الهيثمي وما في المجمع المطبوع مختلف ، وبه بياض فلتراجع نسخة مضبوطة .

ورواه ابن عساكر في «تاریخه» عن ابن عمر .

ورواه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٤/١٥٠٧) من طريق عبدالله بن إبراهيم بن أبي عمرو قال ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر به .

وهذا إسناد ضعيف جداً وإن قيل بوضعه كان متوجهاً ، لأن عبد الرحمن حدث عن أبيه بالمواضيعات كما قاله الحاكم وغيره ،

(١) رقم ١٣٣٤ ، من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ، وعناء الهيثمي حيث قال : فيه شخص ضعفه الجمهور .

والراوي عنه عبدالله بن إبراهيم من الضعفاء.

وأورد الكاتب أحاديث في الحث على قضاء حوائج الناس، مستدلاً بها على فساد فهم أهل العلم الذين قالوا بأن ترك سؤال المخلوق القادر على الإجابة من إكمال التوحيد، وأن من سُئل من لا يقدر على الإجابة من زال عن دار العمل والتکلیف دار الدنيا فقد أشرك.

وما فهم العلماء بفاسد ولكن فهم المعجب بفهمه هو الفاسد، ونذكر الكاتب بقوله في أهل العلم : «وكيف يفتح الله علينا لنستفيد من علومهم إذا كنا نعتقد فيها الانحراف والزيغ عن طريق الإسلام» ص ٣٩، وحق هذا فما فتح لكاتب المفاهيم أبواب الاستفادة من أقوالهم لأنه يعتقد فيها الانحراف حيث قال «وهذا الحديث يخطئ كثير من الناس في فهمه» والذين أخطؤوا هم العلماء، فعلى نفسه حكم، وللفاهيم وزن.

وختم كلامه على الحديث ص ٩٩ بعجب عجيب وأمر مريج فقال «وبهذا يبين أن المقصود من الحديث ليس ما توهموه فإنه فاسد واضح الفساد كما تبين، وإنما المقصود الترهيب من سؤال الناس أقوالهم بلا حاجة طمعاً فيها». وهذا التأويل يعرف الجهل فساده.

قال ص ٩٨ :

«من أخذ بالسبب الذي أمر الله بسلوكيه لنيل جوده فما سُئل السبب بل سُئل واضعه فقول القائل : يارسول الله أريد أن ترد عيني أو يزول عنا البلاء أو أن يذهب مرضي فمعنى ذلك طلب هذه الأشياء من الله بواسطة شفاعة رسول الله ﷺ وهو قوله : ادع لي بكذا واسفع لي في كذا، لافرق بينها إلا أن هذه أصرح في المراد من ذلك»

١ هـ

أقول :

إن قول القائل : يا رسول الله أريد أن ترد عيني أو أن يذهب مرضي من شرك التصرف، وهو شرك أكبر ناقل عن الملة.  
وأما قول القائل : ادع لي بكذا واسفع لي في كذا، سائلاً النبي ﷺ بعد موته فهو من شرك التقرب والشفاعة.

وكلا الأمرين شرك ولكن الأول أعظم وأشد لأن معناه إشراك رسول الله ﷺ في التصرف، فقائله - كما هو الحال المشاهد من قائل مثل هذا مع غير النبي ﷺ من الصالحين - يعتقدون أن الميت يتصرف في جزء من الكون، فيبيده إشفاء المرضى بتفويض الله له ذلك، ويبده إزالة البلاء والقطط والنکبات، لتفويض الله له التصرف في جزء من الكون.

وهذا معلوم ، والكاتب مغالط فيدعى معرفة عقائد كل من قال تلك الكلمات ، وذاك من الدعاوى العريضة التي هي محض تخرض ، أو مغالطة .

فمن ذلك ما في «رماح حزب الرحيم» لعمر الفوني (٢١٩ / ١)<sup>(١)</sup> قال في النبي ﷺ «إنه يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه ، وأنه يتصرف حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملکوت ، وهو بهيته التي كان عليها قبل وفاته» ١ هـ

وفي شعر لأحدهم<sup>(٢)</sup> قال :

فلذا إليك الخلق نفرَع كلهم

في هذه الدنيا وفي اليوم الأهم

وإذا دهتهم كربة فرجتها

حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم

(١) نقله عنه عبد الرحمن الوكيل في «هذه هي الصوفية» ص ٨١.

(٢) نقله عنه عبد الرحمن الوكيل في «هذه هي الصوفية» ص ٨٧.

جُدْ لِي، إِنْ خَزَانَ الرَّحْمَنَ فِي

يَدِكَ الْيَمِينِ وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ قَسَمَ

وَعِنْدِ عِبَادِ الْقَبُورِ الْمُسْتَغْيَثِينَ بِأَصْحَابِهَا مِنْ اعْتِقَادِ تَصْرِفِهِمْ فِي الْعَالَمِ

شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الشَّرَكِ، الشَّرَكُ فِي الرَّبُوبِيَّةِ.

وَمِنْ أَدْلِتَهُ عَلَى خَطَأِ فَهْمِ الْعُلَمَاءِ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ صَ ٩٨ :

«وَيَكْفِي فِي بَيَانِ الْخَطَأِ أَنَّ الْحَدِيثَ نَفْسُهُ إِنَّمَا هُوَ جَوابٌ مِنْهُ عَلَيْهِ

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِسُؤَالِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَاوِيِ الْحَدِيثِ بَعْدِ تَشْوِيقِ رَسُولِ

اللهِ تَعَالَى أَنْ يَسْأَلَهُ إِنَّمَا قَالَ : يَا غَلَامَ، أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ

بِهِنْ . فَأَيْ تَحْرِيْضٌ عَلَى السُّؤَالِ أَجْلٌ مِنْ هَذَا؟

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : بَلِي» ١ هـ

أَقُولُ : الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التَّرمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» (رَقْمُ ٢٥١٦)

بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ تَعَالَى يَوْمًا فَقَالَ :

يَا غَلَامَ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجْدِهِ

تَجَاهِكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ . . .

الْحَدِيثُ . وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٩٣/١) هَكُذا، وَجَمَاعَةً.

هَذِهِ الرَّوَايَةُ الْمُشْهُورَةُ الْقَوِيَّةُ السَّنْدُ.

وَهِيَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الْكَاتِبُ حِيثُ قَالَ «هَذَا طَرْفٌ مِنَ الْحَدِيثِ

الْمُشْهُورُ الَّذِي رَوَاهُ التَّرمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا»

وَلَيْسُ فِيهَا السُّؤَالُ وَالجَوابُ اللَّذَانِ أُورِدُهُمَا .

وَإِنَّمَا وَرَدَ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ ضَعِيفَةِ مِنْقَطَعَةٍ، أَخْرَجَهَا أَحْمَدُ فِي

«الْمُسْنَدِ» (١/٣٠٧) وَغَيْرُهُ، وَفِي كَلَامِ أَحْمَدَ شَاكِرٍ عَلَى الْحَدِيثِ وَبِيَانِ

انْقِطَاعِهِ كَفَايَةً، فَيُرَجِعُ إِلَيْهِ (٤/٢٨٦ - ٢٨٨).

ثم قال الكاتب : «ولو جرينا على هذا الوهم ماصح على مقتضاه أن يسأل جاهل عالماً ولا واقع في مهلكة غوثاً... الخ». أقول : هذا مما يعرف بالأسباب الظاهرة للعيان مما جاءت الشريعة بإقراره بين الناس وأن لا حرج فيه، وأما سؤال الموتى فهذا من الأسباب الخفية التي جاءت الشريعة بردتها ونبي الناس عنها، وقتال المشركين من العرب وغيرهم عليها.

وشعر الكاتب فداحة الخطأ وتکثير الكلام فيها لاطائل تحته فقال : «إإن قالوا : إن<sup>(١)</sup> المنوع إنما هو سؤال الأنبياء والصالحين من أهل القبور في برآذخهم لأنهم غير قادرين . وقد سبق رد هذا الوهم مبسوطاً».

أقول : جواب الشرط لم يذكره، والعبارة ركيكة. وأما رده عقيدة السلف والعلماء فهو مردود عليه، لأنـه - كما سبق - ينفي شرك التصرف ظاهراً، ويقع في شرك القربى والزلفى . وإبطال دعواه فُصل فيها كتبته عليها.

ثم تكلم الكاتب على حديث رواه الطبراني في «معجمه الكبير»<sup>(١)</sup> أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذى المؤمنين ، فقال أبو بكر الصديق قوموا بنا لنستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق . فقال النبي ﷺ : «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله».

ساقه هكذا الكاتب ثم قال في معناه ص ١٠١ :

«لا بد من تأويله بما يناسب عمومات الأحاديث ليتنظم شمل النصوص ، فنقول : إن المراد بقوله ذلك هو إثبات حقيقة التوحيد في أصل الاعتقاد ، وهو أن المغيث حقيقة هو الله تعالى والعبد ما هو إلا واسطة في ذلك» ١ هـ

(١) في كلامه : أن يفتح المزء.

(٢) لم أقف على إسناد الحديث في الموجود من «المعجم الكبير» لدى.

أقول :

ما أجرأ الكاتب على عسف الأحاديث، فإن أبو بكر رضي الله عنه هو الصديق أول المؤمنين وصاحب رسول الله ﷺ في الغار، وفضائله وبسقه مشهور ، أفيظن به أنه يحوم على خاطره استقلال الرسول ﷺ بالإغاثة ، هل يجُوز مسلم أن يأتي على ذهن أبي بكر أن إغاثة الرسول عليه الصلاة والسلام مستقلة ، هذا ما قرره كاتب المفاهيم ، وفي حمل الحديث على ماحمله عليه من هذا المعنى الباطل نسبة الصديق إلى غاية الضلال ، وهو الشك في خالق الأسباب المتفرد بها ، يالها من معانٍ سيئة قبيحة جرها عدم الفقه والفهم .

فما أفسد وأشنع مفاهيمك يا كاتب المفاهيم .

وفي الجعة سهام مريرة ، والاكتفاء بهذا الوجه في رد إفكه كافٍ .  
قال شيخ الإسلام في «ردہ على البكري» حين أورد جنس كلام  
كاتب المفاهيم قال ص ٢٠٤ :

«والنبي ﷺ نفى وأثبت . وإن كان مانفاه لم يخطر بقلوبهم ، فأى حاجة إلى نفيه ، وإن قيل إنهم ظنوه فذلك بهتان عظيم .  
بخلاف ظنهم أنه يقدر على دفع المکروه<sup>(١)</sup> ، فإن هذا العذر قد كان يقع منهم كثيراً . وقد يكون الأمر كما يظنه الظآن ، فليس فيه قدح لافي الصحابة رضي الله عنهم ولا في رسول الله ﷺ بخلاف من يقول : لا تعتقدوا في أني مثل الله أقدروا أستقل بالتأثير كما يفعله الله ، فإن هذا المعنى لا يظنه به من هو دون الصحابة فكيف يظنونه هم» انتهى .

---

(١) يعني في حياته حين استغاثوا به .

وَالْبَابُ الرَّابِعُ  
الْكَفِيرُ

## التكفير

إن من أكبر المسائل التي تصد طوائف عن قبول الحق في مسائل التوحيد وإخلاصه لرب العالمين مسألة التكفير، وتصوير هذه المسألة قولهم : إن المسلم الذي يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلِّي ويقيم الأركان الظاهرة لا يمكن أن يكفر أبداً، وكيف يكفر وهو قائم بالأركان . ولا يتصورون أن هناك نواقض للإسلام تبطله وتناقض لا إله إلا الله بل إن من الناس من يقول : من قال لا إله إلا الله فهو مسلم ولو لم ي عمل ، فترك العمل من قال كلمة التوحيد لا يخرجه عن الإسلام ، وهذا المعروف من مذهب المرجئة والماتريدية ، ومنتبعهم اليوم من الناس .

وهذان القولان قد يمان ، ظهراء في العصور الأولى ، وليس جديدين . وأكثر من تشرح وتبين له مسائل إخلاص التوحيد ، توحيد الله بأفعال العبيد - من ساقه الشيطان عدو ابن آدم إلى تعظيم الموتى ، وطلب شفاعتهم ، ودعائهم ، أو سؤالهم العطايا ، والغفران ، والمعافاة في الأبدان والبلدان - يكبر عليه الحكم على من صرف شيئاً مما ذكرنا للموتى بالشرك الأكبر المخرج من الدين .

ويقولون : أيكفر من نطق بالشهادتين وصلى وصام وزكي وحج ، لا يكفر أبداً ، ولو دعا غير الله ويستدللون بهذه المقدمة الفاسدة على إنكار أن يكون صرف ما ذكر بعضه للموتى شركاً .

فيبطل عندهم الحق بالاستدلال العكسي .

وفي هذا الباب بيان الحق في هذه المسألة التي أُوْغَرَت الصدور ، لعدم نظر المبطلة في الأدلة الشرعية ، وكلام أهل العلم في باب الاعتقاد ، وكلامهم في باب المرتد .

## فصل

وأعظم شروط صحة الإسلام هو إخلاص القلب توحيده، كما قال تعالى : ﴿فَاعْبُدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينُ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زَلْفِي﴾ وقال سبحانه ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّين﴾ وقال ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾.

وقال تعالى : ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَا كُرْهَةَ الْكَافِرِونَ﴾، وقال : ﴿وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَنْفَاء﴾. والآيات لا تختص ، بل القرآن كله يدعو ويأمر بالإخلاص ، إما بالملائكة أو بالتضمين أو الالتزام ، ومن تدبر هذا وجده كذلك.

وفي السنة من الأمر بالإخلاص ، وعدم قبول دين تاركه شيء كثير ، ومن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة؟ قال رسول الله ﷺ : «لقد ظنت يا أبو هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ، أو نفسه». قال الحافظ في «فتح الباري» (١٩٤/١) : قوله «خالصاً» احتراز من المنافق ، ومعنى أفعل في قوله «أسعد» الفعل ، لا أنها أ فعل التفضيل ، أي :

سعيد الناس كقوله تعالى «وَأَحْسَنَ مَقِيلًا» . ١ - كلام الحافظ .

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالصًا وَابْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ» أخرجه النسائي في «الجهاد» (٢٥/٦) وإسناده حسن .

وفي الباب أحاديث عدة ، في إخلاص التوحيد والعمل ، وبيان أن العمل ما لم يكن خالصاً لا يقبل وهو شرك ، وأعظم الأعمال التوحيد ،

ومن لم يخلص العبادة لله فعمله مردود عليه، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركته» أخرجه مسلم (٢٢٣/٨). والعبادة تارة تكون بالجوارح والإخلاص أمر قلبي لا يطلع عليه إلا الله، كالصلوة والصيام ونحو ذلك، وتارة تكون قلبية والجوارح مفصححة عن إرادة القلوب.

فإن من الناس من قد يخفى رياه وشركته، ولا يجب أن يطلع على ذلك الناس، كالمافق أظهر بجوارحه عبادة، وأشرك في قلبه ولم يخلص.

ولكن ليس أحد من الناس المتسبين للإسلام يظهر الشرك ويبطن التوحيد، فهذا غير موجود، ولا هو حقيقة. فإن من أظهر بلسانه وعمله الشرك وترك الإخلاص فلا بد يقيناً أن يكون قلبه غير مخلص، وهذا لا مخالف فيه.

ويستثنى من ذلك المكره بالقتل كما قال تعالى : «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان». أما والمرء مختار راغب في العبادة فلا يعقل أن يظهر لفظاً شركياً وقلبه مخالف لفظه.

فالظاهر للإخلاص المبطن خلافه منافق كالمافقين في زمن رسول الله ﷺ، والمظاهر الشرك مشرك من المشركين كالذين قاتلهم رسول الله ﷺ من مشركي العرب وغيرهم.

المافقون في زمن النبي ﷺ يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويصلون معه، ويصومون ويزكون ويؤدون الشعائر الظاهرة ومع كل هذا هم في الدرك الأسفل من النار، تحت الكفار وشرمنهم، لأنهم لم يخلصوا أعمالهم لله، ولم يقولوا كلمة التوحيد بإخلاص، بل ناقض إظهار الإسلام أعمالاً كفرية كتولي المشركين، والاستهزاء بالمؤمنين، ونحوها من المكرفات التي دلت على عدم إخلاصهم، فكفروا مع

نطقهم بالشهادتين وفعلهم أركان الإسلام .

وهذا من أنسف البراهين الدالة على فساد قول من قال إن من قال لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وقام بالشعائر إنه لا يتطرق إليه كفر مع قيامه بالأركان ، وهم نظروا إلى الظواهر ، والأَس الأعظم والركن الوثيق الإخلاص لم يلتفتوا له .

وهذا الإخلاص هو مدلول كلمة التوحيد ، ولذا سميت كلمة الإخلاص ، فإن من قالها غير معتقدٍ ما دلت عليه من إخلاص العبادة لله فلا يسمى شاهداً بها ، ولذا كان الركن الأعظم من أركان الدين شهادة أن لا إله إلا الله ، لا قول لا إله إلا الله فقط .

فمن الخلق من يقوها بلسانه ، ولكنه لا يشهد بها بقلبه ، بمعنى أنه لا يخلص ما دلت عليه ، فهذا فقد من دينه الركن الأوثق وهو الإخلاص .

## فصل

ولذا يجد المطالع في كتب أهل العلم الفقهية باباً في كل كتاب منها يسمى باب الردة، أعادنا الله منها ومن ما قرب إليها، يذكرون فيه ألفاظاً يكفر بها المسلم ويصير مرتدًا مباح المال والدم، مع أن هذا المرتد يكون - غالباً - يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيم الصلاة ويفتني الزكاة ويكون صائماً حاجاً، ولكنه ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام كالشرك فصار مرتدًا عن الإسلام.

وها أنا أسوق في هذا الموضوع عبارات أهل العلم وكلامهم من المذاهب الأربع المتبوعة لينجلي المقام، وتظهر حقيقة الحال، في هذه الأمر.

قال في ختصر خليل مع شرح الدردير (٦/١٤٤)، من كتب المالكية المعتمدة : «الردة : (كفر مسلم) متقرر إسلامه بالنطق بالشهادتين مختاراً، يكون : (بصريح) من القول كقوله أشرك بالله . (أو قول يقتضيه) أي يقتضي الكفر، كقوله جسم بالأجسام . (أو فعل يتضمنه) أي يستلزم له زوراً بيناً : (إلقاء مصحف) أو بعضه ولو كلمة، وكذا حرقه استخفاً، لاصوناً، ومثل إلقائه تركه (بـ) مكان قذر) . . . ومثل المصحف : الحديث وأسماء الله وكتب الحديث وكذا كتب الفقه إن كان على وجه الاستخاف بالشريعة . . الخ».

قال الصاوي في «حاشيته» على أول كلامه : « قوله : (متقرر إسلامه) الخ : ظاهره أن الإسلام يتقرر بمجرد النطق بالشهادتين مختاراً، وإن لم يوقف على الدعائم، وليس كذلك، بل لا بد في تقرر الإسلام من الوقوف على الدعائم والتزامه الأحكام بعد نطقه بالشهادتين .» انتهى .

فعلم من هذا أن الردة تلحق المسلم القائل ألفاظ الشهادتين

العامل بالأركان، وهو مذهب أهل العلم جميعهم، لا خلاف بينهم في ذلك.

والحنفية أكثر الفقهاء توسعًا في باب المرتد رعاية لجانب تعظيم آيات الله ودينه حتى إنهم ليكفرون بلفاظ فيها نوع ترك التعظيم والاحترام الواجب لله ورسوله ودينه وعلماء المسلمين وعلومهم. فهناك نبذًاً ما قاله ابن نجيم الحنفي في كتابه : «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» (١٢٥ - ١١٩ / ٥) :

«ويكفر إن اعتقد أن الله يرضى بالكفر، ويقوله : لو أنصفني الله تعالى يوم القيمة انتصفت منك ، أو إن قضى الله يوم القيمة ، أو إذا أنصف الله ، ويقوله : بارك الله في كذبك . . . . ويقوله : الله يعلم أني فعلت كذا وهو يعلم أنه ما فعل . . . وبإثبات الكاهن وتصديقه ، ويقوله : أنا أعلم المسروقات ، ويقوله : لا أعلم أن آدم عليه السلام نبي أو لا . . . . ويُكفر من أراد بغض النبي ﷺ بقلبه . . . . ويُكفر بقوله : إن كان ما قال الأنبياء حقاً أو صدقاً .

وبهذه حديثاً مروياً إن كان متواتراً ، أو قال على وجه الاستخفاف سمعناه كثيراً . . . . وباستخفافه بسنةٍ من السنن .

وبإنكاره إماماة أبي بكر رضي الله عنه على الأصح ، كإنكاره خلافة عمر رضي الله عنه على الأصح ، لا بقوله : لو لا نبينا لم يخلق آدم عليه السلام ، وهو خطأ .

وبقوله : لا تترك النقد لأجل النسبيّة جواباً لقوله : دع الدنيا للأخرة . . . . ويُكفر بإنكاره أصل الوتر والأضحية ، وباستحلال وطء الحائض .

ويُكفر باستحلاله حراماً علمت حرمته من الدين من غير ضرورة لا بفعله من غير استحلال ، . . . . وبقراءة القرآن على ضرب الدف أو القضيب ، وباعتقاد أن القرآن مخلوق حقيقة ، والمزاح بالقرآن كقوله

التفت الساق بالساق، أو ملأ قدحًا وجاء به وقال : وكأساً دهاقاً أو قال عند الكيل أو الوزن وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، وقيل إن كان جاهلاً لا يكفر.

وبترك الصلاة متعمداً غير ناوٍ للقضاء، وغير خائف من العقاب. ويُكفر بإيتائه عيد المشركين مع ترك الصلاة تعظيمًا لهم . . . ويُكفر بقوله : إن هذه الطاعات جعلها الله عذاباً علينا، بلا تأويل، أو قال : لو لم يفرض الله هذه الطاعات لكان خيراً لنا، وبالاستهزاء بالأذكار، وبتسميته عند أكل الحرام، أو فعل الحرام كالزنا ويُكفر بالاستهزاء بالأذان لا بالمؤذن.

ويُخالف الكفر على من قال للأمر بالمعروف : غوغا، على وجه الرد والإِنكار، ويُكفر بقوله له فضولي . . . ويُكفر بتصدقه على فقير بشيء حرام يرجو الثواب.

ويُخالف عليه الكفر إذا شتم عالماً أو فقيهاً من غير سبب. وبخروجه إلى نيروز المجوس والموافقة معهم فيما يفعلون في ذلك اليوم، وبشرائه يوم النيروز شيئاً لم يكن يشتريه قبل ذلك تعظيمًا للنيروز، لا للأكل والشرب، وبإهدائه ذلك اليوم للمشركين ولو ببيضة تعظيمًا لذلك اليوم . . .

ويتحسّن أمر الكفار اتفاقاً، حتى قالوا : لو قال : ترك الكلام عند أكل الطعام من المجوس حسن، أو ترك المضاجعة حالة الحيض منهم حسن فهو كافر.

ويذبحه شيئاً في وجه إنسان وقت الخلقة، أو للقادم من الحج أو الغزو، والمذبوح ميتة، وقيل لا يكفر، وقوله لسلطان زماننا : عادل، وقيل : لا، وعلى هذا الاختلاف قول الخطباء في لقب السلطان : العادل الأعظم، مالك رقاب الأمم، سلطان أرض الله، مالك بلاد الله. ويعمله : لا تَقْلُ لـالـسـلـطـانـ هـذـاـ، حين عطس السلطان فقال له

رجل : يرحمك الله . . . وباعتقاد أن الخراج ملك السلطان .  
ويكفر بتلقين كلمة الكفر ليتكلم بها ولو على وجه اللعب .  
وكذا من حسن كلام أهل الأهواء وقال : معنوي ، أو كلام له  
معنى صحيح ، إن كان ذلك كفراً من القائل كفر المحسّن ، وكذا من  
حسن رسوم الكفارة ، واختلف في تكفير من قال : إن إبراهيم بن أدهم  
رأوه بالبصرة يوم الترويه وفي ذلك اليوم بمكة .

قال علماؤنا : من قال أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر. وفي «الجامع الأصغر» إذا أطلق الرجل كلمة الكفر عمداً لكنه لم يعتقد الكفر قال بعض أصحابنا : لا يكفر، لأن الكفر يتعلق بالضمير ولم يعقد الضمير على الكفر، وقال بعضهم : يكفر، وهو الصحيح عندي لأنه استخف بدينه . . .

والحاصل أنه من تكلم بكلمة الكفر هازلاً أولاً عبأً كفر عند الكل، ولا اعتبار باعتقاده... الخ» انتهى كلام ابن نجيم، وهو منبٌ عن كثير من الفتاوٍ يكفر بها عند الحنفية وكثير من غيرهم... وقال الخطيب الشريبي في شرحه لكتاب أبي شجاع المسمى «غاية الاختصار» من الكتب الفقهية الشافعية (١٧٥/٢) بعد تعداد صور يكفر بها المسلم :

«وهذا بابٌ لا ساحل له» ١ هـ وفي الكبائر لابن حجر الهيثمي  
من ذلك شيءٌ كثير وكذا في «قواعد الإسلام» له.

وقال مرجعي بن يوسف الحنبلي في كتابه «غاية المتنهي في الجمع بين الإقناع والمتنهى» (٣٥٣/٣) : «من ادعى النبوة أو صدقه، أو أشرك بالله تعالى، أو سبه، أو رسولاً أو ملكاً له، أو جحد ربوبيته، أو وحدانيته، أو صفة... أو كتاباً أو رسولاً أو ملكاً له أو وجوب عبادة من الخمس ومنها الطهارة، أو حكم ظاهراً جمعاً عليه إجماعاً قطعياً، بلا تأويل كتحريم زنا أو لحم - لاشحمة - خنزير، أو حشيشة، أو حل

خبز ونحوه أو شك فيه ومثله لا يجهله، أو يجهله وعرف وأصر، أو سجد لصنم أو كوكب، ويتجه السجود للحكام بقصد العبادة كفر. وللتحية كبيرة. أو جعل بينه وبين الله وسائل يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً، قاله الشيخ .

أو أتى يقولٌ أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين، أو امتهن القرآن - صانه الله تعالى - أو ادعى اختلافه أو القدرة على مثله، أو أسقط حرمته كفر. . . الخ . »

فلعله بهذه النقول عن فقهاء المذاهب الأربعة يظهر الحق ، ويبطل قول من قال : إن المسلم القائل بالشهادتين القائم بالأركان لا يكفر، كما يدندن حوله كثير من غلاة القبور بين منذ أزمان .

## فصل

فإذا تقرر إجماع أهل العلم أن الذي يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلّي ويزكي ويصوم ويحج قد يخرج من الدين جملة فيكون مرتدًا لقولٍ يقوله، أو فعلٍ يفعله، أو اعتقادٍ يقوم بقلبه، فإننا بعد ذلك نقيم البرهان من كلام أهل العلم على تكفير عباد القبور، العاكفين عليها الداعين أصحابها، أو المستشفعين بأهل القبور كائناً من كانوا، وإن في كلام الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ لأكبر العلم الذي ليس بحاجة معه إلى نقل كلام آخر، ولكن من الناس من لا يفقه دلائل الكتاب والسنّة حتى تنقل له أقوال العلماء. وإن هذا الفصل منشأ لهذه الغاية، بما لا يظل بعده للمنازع حجة، ولا سبيل على الاعتراض، إذ من تأكي النقول عنهم صرحاً بکفر وشرك من سُؤل غير الله. أو اتخذه واسطة.

١ - (فمنها) ما قاله ابن حجر الهيثمي في «شرح الأربعين» قال : «من دعا غير الله فهو كافر» ١ هـ.

٢ - ومنها ما قال الشيخ العلامة صنع الله بن صنع الله الحلبي ثم المكي المتوفى سنة ١١٢٠ هـ في كتاب رد به على من ادعى أن للأولياء تصرفًا في الحياة وبعد الموت ، قال :

«هذا وإنه قد ظهر الآن بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفاتٍ في حياتهم وبعد الموت ، ويستغاث بهم في الشدائيد والبلليات وربما تكشف المهمات ، ففيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات ، ... قال : وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الھلاك الأبدى والعداب السرمدى لما فيه من روائح الشرك المحقّق ، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة» .

ثم ساق قوله تعالى ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ وذكر آياتٍ في هذا المعنى ثم قال : فقوله في الآيات كلها «من دونه» أي : من غيره، فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولـي وشيطان تستمدـه . . إلى أن قال :

وأما القول بالتصـرف بعد المـهـات فهو أـشـنـع وأـبـدـعـ منـ القـوـلـ بالـتـصـرـفـ فيـ الـحـيـاـةـ ،ـ قـالـ جـلـ ذـكـرـهـ ﴿إـنـكـ مـيـتـ وـإـنـهـ مـيـتـونـ﴾ ،ـ ﴿الـهـ يـتـوـقـيـ الـأـنـفـسـ حـيـنـ مـوـتـهـاـ وـالـتـيـ لـمـ تـمـتـ فيـ مـنـامـهـاـ فـيـمـسـكـ الـتـيـ قـضـىـ عـلـيـهـاـ الـمـوـتـ﴾ . . ثم قال :

«واما قولـهمـ :ـ فيـسـتـغـاثـ بـهـمـ فيـ الشـدائـدـ فـهـذـاـ أـقـبـحـ مـاـ قـبـلـهـ ،ـ وـأـبـدـعـ ،ـ لـصـادـمـةـ قـوـلـهـ جـلـ ذـكـرـهـ :ـ ﴿أـمـنـ يـجـبـ المـضـطـرـ إـذـ دـعـاهـ وـيـكـشـفـ السـوـءـ وـيـجـعـلـكـمـ خـلـفـاءـ الـأـرـضـ أـإـلـهـ مـعـ اللـهـ﴾ ،ـ ﴿قـلـ مـنـ يـنـجـيـكـمـ مـنـ ظـلـمـاتـ الـبـرـ وـالـبـحـرـ﴾ .ـ وـذـكـرـ آيـاتـ فيـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ ثـمـ قـالـ :ـ فـإـنـهـ جـلـ ذـكـرـهـ قـرـرـ أـنـ الـكـاـشـفـ لـلـضـرـ لـأـغـيـرـهـ ،ـ وـأـنـهـ الـمـسـعـانـ لـكـشـفـ الشـدائـدـ وـالـكـرـبـ ،ـ وـأـنـهـ الـمـتـفـرـدـ بـإـجـابـةـ الـمـضـطـرـينـ ،ـ وـأـنـهـ الـمـسـتـغـاثـ لـذـلـكـ كـلـهـ ،ـ وـأـنـهـ الـقـادـرـ عـلـىـ دـفـعـ الـضـرـ ،ـ وـالـقـادـرـ عـلـىـ إـيـصالـ الـخـيـرـ فـهـوـ الـمـنـفـرـ بـذـلـكـ .ـ

فـإـذـاـ تـعـيـنـ جـلـ ذـكـرـهـ خـرـجـ غـيـرـهـ مـنـ مـلـكـ وـنـبـيـ وـوـليـ .ـ فـمـنـ اـعـتـقـدـ أـنـ لـغـيرـ اللـهـ مـنـ نـبـيـ أوـ وـليـ أوـ رـوـحـ أوـ غـيـرـ ذـلـكـ فيـ كـشـفـ كـرـبـةـ أـوـ قـضـاءـ حـاجـتـهـ تـأـثـيـرـاـ فـهـوـ عـلـىـ شـفـاـ حـفـرـةـ مـنـ السـعـيرـ .ـ قـالـ :ـ فـهـذـاـ ظـنـ أـهـلـ الـأـوـثـانـ ،ـ كـذـاـ أـخـبـرـ الرـحـمـنـ :ـ ﴿هـؤـلـاءـ شـفـعـاـوـنـاـ عـنـ اللـهـ﴾ ،ـ ﴿مـاـ نـعـبـدـهـ إـلـاـ لـيـقـرـبـوـنـاـ إـلـىـ اللـهـ زـلـفـيـ﴾ ،ـ ﴿أـلـتـخـذـ مـنـ دـوـنـهـ آـلـهـةـ إـنـ يـرـدـنـ الرـحـمـنـ بـضـرـ لـأـتـغـنـ عـنـ شـفـاعـتـهـمـ شـيـئـاـ وـلـاـ يـنـقـذـوـنـ﴾ .ـ

فـإـنـ ذـكـرـ مـالـيـسـ مـنـ شـائـنـهـ النـفـعـ وـلـاـ دـفـعـ الـضـرـ مـنـ نـبـيـ وـوـليـ وـغـيـرـهـ

على وجه الإِمداد منه إِشراك مع الله، إذ لا قادر على الدفع غيره، ولا خير إلا خيره. » انتهى كلام العلامة صنع الله الحلبي ثم المكي الحنفي<sup>(١)</sup>.

٣ - وقال العلامة أحمد بن علي المقرizi المتوفى سنة ٨٤٥ صاحب التصانيف في كتابه : «تجريد التوحيد المفيد» ص ٨ :

«وشرك الأُمم كلُّه نوعان : شرك في الإلهية، وشرك في الربوبية. فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك. وهو شرك عباد الأصنام، وعباد الملائكة، وعباد الجن، وعباد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات، الذين قالوا : ﴿مَا نعبدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرُبُونَا إِلَى اللَّهِ زَلْفَى﴾ ويشفعوا لنا عنده، ولنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكراهة، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعون الملك، وأقاربه وخاصة.

والكتب الإلهية كلها من أو لها إلى آخرها تبطل هذا المذهب، وترده، وتُقبح أهله، وتنص على أنهم أعداء الله تعالى، وجميع الرسل صلوات الله عليهم متافقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم، وما أهلك تعالى من الأُمم إِلا بسبب هذا الشرك ومن أجله».

وقال ص ١٢ - ١٣ : «والناس في هذا الباب أعني زيارة القبور على ثلاثة أقسام : قوم يزورون الموتى فيدعون لهم، وهذه هي الزيارة الشرعية.

وقوم يزورونهم يدعون بهم، فهؤلاء المشركون في الألوهية والمحبة<sup>(٢)</sup>.

وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم وقد قال النبي ﷺ : «اللهم لا

(١) بإختصار من تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله، ص (١٩٦ - ١٩٩).

(٢) يعني بـ «يدعون بهم» الاستشفاع بهم، وسؤالهم الشفاعة والتوسط، ولا يعني التوجّه بالذوات أو الجاه وتحري ذلك، لأن هذا ليس شركاً، بل بدعة ووسيلة إلى الشرك.

تجعل قبري وثناً يعبد». وهؤلاء هم المشركون في الربوبية» .  
وقال المقرizi أيضًا ص ١٨ - ١٩ :

«ومن خصائص الألوهية السجود، فمن سجد لغيره فقد شبهه به، ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به، ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به، ومنها الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبهه به، ومنها الذبح له فمن ذبح لغيره فقد شبهه به، ومنها حلق الرأس إلى غير ذلك.

هذا في جانب التشبيه، أما في جانب التشبيه فمن تعاظم وتكبر ودعى الناس إلى إطراهه ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله، ونمازعه في ربوبيته، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويجعله كالذر تحت أقدام خلقه. » انتهى .

وقال الشيخ قاسم بن قططليبيغا الحنفي في «شرح درر البحار» : «إن النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصالحاء قائلًا : ياسidi فلان إن رُدّ غائي أو عوفي مريضي فلك من الذهب والفضة أو الشمع أو الزيت كذا باطل إجماعاً، لوجوه : - إلى أن قال - «منها ظن أن الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا كفر» انتهى ، نقله عنه جماعة منهم سراج الدين ابن نجيم في «النهر الفائق شرح كنز الدقائق» ، وعنه نقل الشوكاني في «الدر النضيد» ص ٤٠ ، وغيرهم .

وقال العلامة محى السنة في الأصقاع اليهانية حسين النعمي المتوفى سنة ١١٨٧ هـ في كتاب «معارج الألباب في مناهج الحق والصواب» ص ٢٠٩ بعد كلام طويل في الدعاء : «فدعاء غير الله تعالى : إخراج للدعاء عن محله وموضوعه، كقيامه بتلك الصلاة على تلك الكيفية للمقبور والحجر، سواء بسواء. والفصل بين الصلاة والدعاء : فصلٌ بين متآخيين، وتفريق بين قددين، وإلا فليجعلوا

للمقبر صلاة وصياماً، ونحوهما، يفارق الذم والتشريك، ويكون صالحًا خالياً عن الفساد والمنكر، سبحانك ربنا هذا بہتان عظيم» ١ هـ . وكتابه كله في موضوع القبور، وعبادها، وفيه من البراهين المنيرة، والحجج القوية ما يرجع كل ضلال كتبت له الهدایة إلى سواء الصراط . وقال قرین النعمي ومؤاخيه في نصر السنة في اليمن العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصناعي المتوفى سنة ١١٨٢ في داليته المشهورة في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

«وَيَعْمَرُ أَرْكَانَ الشَّرِيعَةِ هَادِمًا

مشاهد ضلَّ النَّاسُ فيها عن الرشد

أعادوا بها معنى سُوَاعَ ومثله  
يغُوثُ ووَدَ بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ وَدَ  
وقد هتفوا عند الشدائِدِ باسمها  
كما يهتفُ المضطَرُ بالصَّمَدِ الفرد

وكم عقرُوا في سَوْحَهَا مِنْ عَقِيرَةٍ  
أَهْلَتْ لغير الله جهلاً على عمد

وقال في كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» ص ١٥ :  
«والنذور بالمال على الميت ونحوه، والنحر على القبر، والتسلُّب به،  
وطلب الحاجات منه : هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما  
يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنناً، وفعله القبوريون لما يسمونه وليناً وقبراً  
ومشهداً. والأسماء لا أثر لها، ولا تغير المعاني ضرورة لغوية وعقلية  
وشرعية» ١ هـ .

وقال عالم اليمن في القرن الثالث عشر محمد بن علي الشوكاني في  
«الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» ص ١٩ بعد سياقه الأدلة  
على كفر عباد القبور المستشفعين والمستغيثين بأصحابها : «إِنْ قُلْتَ :  
إِنْ هُؤُلَاءِ الْقَوْبَرِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْبَارِ النَّافِعُ، وَالْخَيْرُ

والشربيده، وإن استغاثوا بالأموات قصدوا إنجاز ما يطلبونه من الله  
سبحانه !

قلت : وهكذا كانت الجاهلية ، فإنهم كانوا يعلمون أن الله هو  
الضار النافع ، وأن الخير والشربيده ، وإنما عبدوا أصنامهم لتقربهم إلى  
الله زلفى كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز ثم قال ص ٢١ :  
«إن قلت : إن المشركين كانوا لا يقرؤن بكلمة التوحيد ، وهؤلاء  
المعتقدون في الأموات يقرؤن بها .

قلت : هؤلاء إنما قالوها بأسنتهم وخالفوها بأفعالهم ، فإن من  
استغاث بالأموات ، أو طلب منهم مالا يقدر عليه إلا الله سبحانه ،  
عظمتهم أو نذر لهم بجزء من ماله ، أو نحر لهم ، فقد نزلهم منزلة الآلة  
التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال ، فهو لم يعتقد معنى لا إله  
إلا الله ، ولا عمل بها ، بل خالفها اعتقاداً وعملاً فهو في قول لا إله  
إلا الله كاذب على نفسه ، فإنه قد جعل إلهاً غير الله ١ هـ .

ومثل هذه النقول كثيرة في الشرق والغرب من علماء كل بلد الذين  
تخلصوا من التقليد والتبعية للمشيخة الكذبة المستفیدین من المساکین  
الجهله .

والنقول كثرة فتبتعها تجد ما قلنا ، وما زال أهل العلم<sup>(١)</sup> في كل قرن  
ينكرون هذه الأمور ويکفرون فاعلها ، ففي القرن الخامس : أنكرها  
وكفر بها ابن عقيل الحنبلي صاحب الفنون ، وفي السادس : ابن  
الجوزي ، وفي السابع : أبو شامة والنwoي وغيرهم وابن تيمية ، وفي  
الثامن : ابن القيم وابن عبدالهادي وابن كثير وابن مفلح وكلهم  
حافظ مشهورون ، وفي التاسع : المقرizi وغيه كابن قططوبغا وفي  
العاشر : البرکوي وفي الحادى عشر : صنع الله الخلبي والبهوقى وفي  
الثانى عشر : جماعات تفرقت بلدانهم والتقت كلماتهم بهدي ربهم ففي

(١) ومن ذكرت أسماءهم على سبيل التمثيل والتصريح .

وسط الجزيرة محمد بن عبد الوهاب، وفي اليمن النعمي والصنعاني، وغيرهم جماعات ثم بعد ذلك كثر القول بالحق في أصقاع الأرض في الهند والعراق ومصر والشام والجزيرة وغيرها من البلدان في الشرق والغرب.

ولو قال عالم أو عالمان في مسألة حكمًا بدليلها لوجب الرجوع إلى قولهما، فكيف بأمة من العلماء ينهون ويحدرون عن هذا الشرك وأدلةهم أوضح أدلة، وأصحها في النقليات، وأصرحها في العقليات.

فليخف كل إنسان على نفسه وإسلامه، فإن الأمر أمر كفر وإسلام، وإلحاد وإيمان، فالخوف الخوف، والنجاة النجاة يا عباد الله.

وللشيخ تقي الدين بن تيمية وعلماء الخنابلة الأقوال المستفيضة في كفر متخد الشفاعة والأنداد من الأموات ، فهناك بعضها تميّزاً للمقام : قال شيخ الإسلام : «من جعل بينه وبين الله وسائل يتوكل عليهم يدعوهم ، ويسلّهم - كفر - إجماعاً» نقله عنه جماعة مقررین له ، ومنهم ابن مفلح في «الفروع» (٦/١٦٥) ، والمرداوي في «الإنصاف» (٣٢٧/١٠) ، والشيخ مرعي في غاية المستهى (٣٥٥/٣) ، وفي «الإقناع وشرحه» (٤/١٠٠) ونقله من غير الخنابلة ابن حجر الهيثمي المكي في «قواطع الإسلام» .

قال الشيخ سليمان في «تيسير العزيز الحميد» ص ١٩٤ : «وهو إجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين ، وقد نص العلماء من أهل المذاهب الأربعه وغيرهم في باب حكم المرتد على أن من أشرك بالله فهو كافر ، أي عبد مع الله غيره بنوع من أنواع العبادات . وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن دعاء الله عبادة له ، فيكون صرفه لغير الله شركاً» ١ هـ

وقال ابن تيمية في «الرسالة السننية» :

«فكل من غلا فينبي ، أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الإلهية ، مثل أن يقول : يا سيدى فلان انصري ، أو أغثنى ، أو ارزقني ، أو اجربني ، أو أنا في حسبك ونحو هذه الأقوال ، فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل» ١ هـ

وقال تلميذه ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/٣٤٠) : «والذى في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم : أن آهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه

وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا من أذن الله أن يشفع فيه، ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد.  
وقال : وترى المشرك يكذب حاله وعمله قوله ، فإنه يقول : لا نحبهم كحب الله ، ولا نسويهم بالله ، ثم يغضب لهم ولحرماتهم - إذا انتهكت - أعظم مما يغضب الله ، ويستبشر بذكرهم ، ويتبشّش به ، سبيلاً إذا ذكر عنهم ماليس فيهم من إغاثة اللهفات وكشف الكربات ، وقضاء الحاجات ، وأئمهم الباب بين الله وبين عباده ، فإنك ترى المشرك يفرح ويسرّ ويحن قلبه ، وتهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والموالاة ، وإذا ذكرت له الله وحده وجردت توحيده لحقته وحشة ، وضيق وحرج ، ورمك بنقص الإلهية التي له ، وربما عاداك .

رأينا والله منهم هذا عياناً ، ورمونا بعداً عنهم ، ويعدوا لنا الغوايل ، والله مخزفهم في الدنيا والآخرة ، ولم تكن حجتهم إلا أن قالوا كما قال إخوانهم : عاب آهتنا ، فقال هؤلاء : انتقصتم مشائخنا... ١ هـ .  
وقال الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه «الصارم المنكي» آخر ورقة

منه :

«قوله - أي السبكي - إن المبالغة في تعظيمه واجبة .<sup>(١)</sup> أيريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيماً حتى الحج إلى قبره ، والسباحة له والطواف به ، واعتقاد أنه يعلم الغيب ، وأنه يعطي ويمعن ، ويملك من استغاث به من دون اللهضر والنفع ، وأنه يقضي حوائج السائلين ، ويفرج كربات المكروبين ، وأنه يشفع فيمن شاء ، ويدخل الجنة من شاء ، فدعوى وجوب المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك ، وانسلاخ من جملة الدين». ١ هـ

فتدرك مقالة هذا الحافظ العلم ، والحافظ قبله ، تعلم منه أن الخزي والسوء على المشركين ، الذين سهلوا قيادهم لردة الشياطين وجند

.<sup>(١)</sup> أي : تعظيم الرسول ﷺ .

إيليس، وهو على إصلاحهم حريص، فقال لرب العالمين ﴿فَبِعْزَتْكَ  
لأغْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادُكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصُونَ﴾.

فافطن لهذه الموضع التي التقت كلمة أهل العلم الذين أثني عليهم وشهد لهم بالإمامية والفقه واتباع السنة علماء عصرهم، ومن بعدهم إلى يومنا.

وي بهذه النقول الجليات، والكلمات الواضحات، والأحرف النيرات، من العلماء الأعلام تنزاح شبه طالما علقت بقلوب الذين زين لهم المتسلدون الفساد والشرك جهلاً أو عن علم.

والواجب الوقوف على هذه المكريات، المحكوم على مرتكبها بالشرك الأكبر المخرج من الدين، والنظر فيها وفقه معانيها، وسؤال الله الابتعاد عنها، وتجنب أهلها، والبراءة منهم قولًا وعملاً.

ويتحتم شرعاً على طالب السلام، مبتغي الجنة ورضا رب العالمين أن يتعلم التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ويتعلم فضله، وأنواعه، وأن يتعلم حكم ضده ليحذر منه، من الشرك الأكبر ووسائله ودعائيه.

وليستقم طالب النجاة على التوحيد قولًا وعملاً واعتقاداً، وليبعد نفسه من كل ما يخدشه، أو يكلمه، وليوطن نفسه على تحقيقه كاملاً تماماً من شوائب النقصان، فبهذا تناهى الكراهة عند الله، ويلحق المؤمن بأفضل الخلق محمدٌ ﷺ، وبأصحابه، والصديقين والشهداء. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحْسَنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾.

## فصل

قال الشوكاني في «الدر النضيد» ص ٢٧ - ٢٨ :

«واعلم أن ماحررناه وقررناه من أن كثيراً ما يفعله المعتقدون في الأموات يكون شركاً قد يخفى على كثيرٍ من أهل العلم. وذلك لالكونه خفيّاً في نفسه، بل لإطباقي الجمهور على هذا الأمر وكونه قد شاب عليه الكبير وشب عليه الصغير، وهو يرى ذلك ويسمعه ولا يرى ولا يسمع من ينكره، بل ربما يسمع من يرغب فيه، ويندب الناس إليه».

وينضم إلى ذلك ما يظهره الشيطان للناس من قضاء حوائج من قصد بعض الأموات الذين لهم شهرة وللعامنة فيهم اعتقاد. وربما يقف جماعة من المحتالين على قبر ويجلبون الناس بأكاذيب يحكونها عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذور ويستدروا منهم الأرزاق ويقتنعوا بالنجائز، ويستخرجوا من عوام الناس ما يعود عليهم وعلى من يعولونه، ويجعلون ذلك مكسباً ومعاشاً.

وربما يهولون على الزائر لذلك الميت ويجعلون قبره بما يعظم في عين الواصلين إليه... ثم قال :

فبمجموع هذه الأمور مع تطاول الأزمنة، وانقراض القرن بعد القرن يظن الإنسان في مبادئ عمره وأوائل أيامه أن ذلك من أعظم القربات وأفضل الطاعات ثم لا ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك، بل يذهل عن كل حجة شرعية تدل على أن هذا هو الشرك بعينه، وإذا سمع من يقول ذلك أنكره ونباعنه سمعه، وضاق به ذرعه لأنه يبعد كل البعد أن ينقل ذهنه دفعة واحدة في وقت واحد عن شيء يعتقده من أعظم الطاعات إلى كونه من أقبح المقبحات، وأكبر

المحرقات مع كونه قد درج عليه الأسلاف، ودب فيه الأخلاف،  
وتعاودته العصور، وتناوبته الدهور.

وهكذا كل شيء يقلد الناس فيه أسلافهم، ويحكمون العادات  
المستمرة وبهذه الذريعة الشيطانية، والوسيلة الطاغوتية بقي المشرك من  
الجاهلية على شركه، واليهودي على يهوتيه، والنصراني على  
نصرانيته، والمبتدع على بدعته، وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً،  
وتبدل الأمة بكثير من المسائل الشرعية غيرها، وألغوا ذلك ومرنـت  
عليه نفوسهم، وقبلتهـ قلوبـهم، وأنسواـ إلـيهـ، حتى لو أرادـ من يتـصـدىـ  
لـلـإـرـشـادـ أنـ يـحـمـلـهـ عـلـىـ الـمـسـائـلـ الـشـرـعـيـةـ الـبـيـضـاءـ النـقـيـةـ الـتـيـ تـبـدـلـواـ بـهـاـ  
غـيرـهـاـ لـنـفـرـوـاـ عـنـ ذـلـكـ وـلـمـ تـقـبـلـهـ طـبـائـعـهـمـ، وـنـالـواـ ذـلـكـ الـمـرـشـدـ بـكـلـ  
الـكـرـوـهـ، وـمـزـقـواـ عـرـضـهـ بـكـلـ لـسانـ..» انتهى كلام العـلـامـ الشـوـكـانـيـ،  
وـهـوـ فـصـلـ فـيـاـ ذـكـرـهـ، فـعـسـيـ اللـهـ أـنـ يـهـدـيـ بـهـ أـقـوـاماـ إـلـىـ طـرـيقـهـ القـوـيمـ،  
وـصـرـاطـهـ السـابـلـ الـكـرـيمـ.

## فصل

وكثيراً ما يردد المفتونون بالقبور، الغالون في الصالحين في منع الحكم على فعلهم بالشرك أن هذه الأمة لا يقع فيها إشراك بالله، ورجوع إلى أديان من سبق من الأمم، فيحتجون بهذا مع احتجاجهم بمنع تكبير من تلفظ بلا إله إلا الله ولم يعمل بما دلت عليه من إخلاص العبادة لله، وإفراده وحده بأنواع أفعال العباد كالمحبة والرجاء والخوف - خوف السر - والدعاء والاستغاثة والاستعانة والذبح والنذر ونحوها.

ورسول الله ﷺ قد قطع هذه الشبهة من القلوب، وبصر أمته بهذه المسألة فتركها وقد حذر وأنذر وأخبر، فحذر من سلوك مسلك اليهود والنصارى، وأخبر بأن أمته تحذو حذو الأمم قبلها في ما عملته تلك الأمم من شرك وعصيان، فروى الشيخان البخاريُّ ومسلمُ في «صححيهما» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لتبعن سَنَنَ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ شَبَراً شَبَراً وَذِرَاعاً ذِرَاعاً، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَهَنَّمَ ضَبَّ تَبَعَّمُوهُمْ». قلنا : يارسول الله . آليهود والنصارى؟ قال : فمن؟» هذا لفظ البخاري (١٣ / ٣٠٠)، وأخرجه البخاري عن أبي هريرة.

قال ابن بطال في «شرح البخاري» : «أعلم ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور، والبدع، والأهواء، كما وقع للأمم قبلهم. وقد أنذر في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر، وال الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس. وأن الدين إنما يبقى قائماً عند خاصة من الناس» ١ هـ

قال الشيخ سليمان بن عبد الله<sup>(١)</sup> : «وهذا من معجزاته، فقد اتبع كثير من أمته سَنَنَ اليهود والنصارى وفارس في شيمهم ومراكبهم

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٢٠ - ٣٢١ ط. الأولى.

وملابسهم، وإقامة شعارهم في الأديان والحروب والعادات من زخرفة المساجد، وتعظيم القبور واتخاذها مساجد حتى عبدوها ومن فيها من دون الله، وإقامة الحدود والتعزيرات على الضعفاء دون الأقواء، وترك العمل يوم الجمعة، والتسليم بالأصابع، وعدم عيادة المريض يوم السبت... واتخاذ الأخبار والرهبان أرباباً من دون الله، والإعراض عن كتاب الله، والإقبال على كتب الضلال من السحر والفلسفة والكلام، والتکذیب بصفات الله التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ

قال : «والأمم قبلنا وجد فيها شرك، فكذلك يوجد في هذه الأمة كما هو الواقع».

وروى أحمد في «المسند» (٥/٢٧٨، ٢٨٤) وأبو داود في «السنن» (٤٢٥٢) وابن ماجة (٣٩٥٢) والحاكم (٤٤٩/٤) وغيرهم عن ثوبان رضي الله عنه في حديثٍ قال : قال رسول الله ﷺ :

«لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمرجفين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان».

هذا لفظ أحمد وأبي داود، وإن سنته صحيح على شرط مسلمٍ .  
ففي الحديث الرد على من قال بخلافه من عباد القبور، الذين ينكرون وقوع الشرك وعبادة الأوثان في هذه الأمة.

وفي معناه ما أخرجه البخاري (١٣/٧٦) ومسلم (٨/١٨٢) عن أبي هريرة مرفوعاً : «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة».

وأخرج مسلم (٨/١٨٢) عن عائشة مرفوعاً : «لا يذهب الليل والنهر حتى تعبد اللات والعزى».

وصدق رسول الله ﷺ تسليةً كثيراً، وإن عبادة اللات والعزى لكائنة .

قال ابن بطال في شرحه للبخاري : «هذا الحديث وما أشبهه ليس المراد به أن الدين ينقطع كله في جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شيء ، لأنه ثبت أن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة ، إلا أنه يضعف ويعود غريباً كما بدأ» ١ هـ

ففي هذه الأحاديث دليل على أن الأمة يكون فيها الشرك قبل قيام الساعة . وفي حديث ثوبان دليل واضح على وقوع الشرك في قبائل ، وفي لفظ : «فَيَام» أي : جماعات كثيرة ، وهناك قبائل من أمته على الحق ثابتون ، فدل على أن هذا عند غربة الدين واشتداد ذلك ، وهذا من علامات القيامة الصغرى التي تكون قبل قيام الساعة بأزمان مديدة ، شأنها شأن سائر العلامات الصغرى التي تكون كما أخبر النبي الله ﷺ من بعد موته إلى قرب قيام الساعة .

وهذه العلامات كثيرة في أحاديث مشهورة ، ولحوق قبائل من أمته بالشركين ، وعبادة قبائل الأوثان من جنسها مما يكون شيئاً فشيئاً إلى قيام الساعة .

وحدث عبادة اللات والعزى وذى الخلصة تكون العبادة - وهو الظاهر - لها بأعيانها ، وقد يكون أراد أجناسها مما يبعد من دون الله ، والأول أليق لتعيين حمل النص على ظاهره .

## فصل

ويحتاج بعض المبتدعة المخرفين بحديثٍ رواه مسلم في «الصحيح» (١٣٨/٨) : عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الشيطان قد أيسَ أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحرش بينهم»<sup>(١)</sup>.

والجواب أن يقال : إن الشيطان أيسَ بنفسه - ولم يُأيِّسْ - لما رأى عز الإسلام في حياة النبي ﷺ وإقبال القبائل على الدخول في هذا الدين الذي أكرمهم الله به، فلما رأى ذلك يئس من أن يرجعوا إلى دين الشيطان ، وأن يعبدوا الشيطان أي : يتخدوه مطاعاً.

وهذا كما أخبر الله عن الذين كفروا في قوله ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ فهم يئسوا أن يراجع المسلمين ما عليه المشركون من الدين الباطل القائم على اتخاذ الأنداد مع الله ، وصرف العبودية إلى أشياء مع الله أو من دونه .

فلما رأى المشركون تمسك المسلمين بدينهم يئسوا من مراجعتهم ، وكذا الشيطان يئس لما رأى عز المسلمين ودخولهم في الدين في أكثر نواحي جزيرة العرب .

والشيطان - لعنه الله - لا يعلم الغيب ، ولا يعلم أنه ستحين له فرصة يصد الناس بها عن الإسلام والتوحيد ، وكانت أول أمره في صرف الناس لعبادته بعد موت النبي ﷺ ، حيث أطاعه أقوام وقبائل فارتدت عن الإسلام إما بمنع الزكاة ، أو باتباع مدعى النبوة .

فنশط وكانت له جولة وصولة ثم كتبه الله . والمقصود أن الشيطان يئس إذا رأى التمسك بالتوحيد والإقرار به والتزامه ، واتباع الرسول

(١) سالم صاحب المفاهيم ص ٢٧ هكذا : «إن الشيطان قد أيسَ أن يُعبد في جزيرتكم - جزيرة العرب» . فحلف كلمة «المصلون» الثابتة .

ﷺ، وهو حريص على أن يصد الناس عن هذا.

ولذا تمكن من هذا في فتراتٍ مختلفةٍ، فعبدة القرامطة عبادة طاعة وهم في الجزيرة وأفسدوا ما أفسدوا، وعبدة من بعدهم ما يعرفه أو لوة البصيرة.

﴿أَلَمْ أَعْهُدْ إِلَيْكُمْ يَا بْنَى آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌ مُّبِينٌ، وَأَنْ أَعْبُدُنِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

قال أبو جعفر محمد بن جرير إمام المفسرين رحمه الله في «تفسيره» (٢٣/٢٣ حلبـ) : «يقول : وألمْ أَعْهُدْ إِلَيْكُمْ أَنْ أَعْبُدُنِي دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد، وإيابي فأطِيعوا، فإن إخلاص عبادي، وإنفراد طاعتي، ومعصية الشيطان هو الدين الصحيح والطريق المستقيم» انتهى .

ثانياً : إن نبينا محمدًا ﷺ قد أنزل عليه هذا القرآن الذي فيه فصل ما بين الشرك والتوحيد، ونوع هذا في القرآن وقرر حتى صار مما يعلم بالضرورة أن النبي محمدًا ﷺ بعثه الله يدعو إلى التوحيد توحيد العبادة وينهى عن الشرك وهو اتخاذ الأنداد وعبادة غير الله ومحبة غيره كمحبة الله .

فهذا معلوم بالضرورة، وأن النبي ﷺ قاتل أنساً مقرئاً بتوحيد الربوبية وهو أن الله خالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم ومحفهم وميتهم . . قاتلهم ليقروا ويلتزموا بتوحيد الإلهية الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله .

فهذا الأصل وهو الركن الأوثق والطود الأعظم نعلم يقيناً أن الله جل وعلا لم يترك هذا الأمر ملتبساً أو ما يجتهد فيه أهل الذكر، بل هو أصل مقطوع به، مجزوم به لا اشتباه فيه ولا التباس، كما قال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم في حديث العرباض بن سارية الصحيح : « تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك »

فهذه البيضاء هي مضمون لا إله إلا الله، وهي إفراد الله بالعبادة وخلع الأنداد، والكفر بما يبعد من دون الله، والبراءة من الشرك وأهله، كما فسرها أهل العلم رحمة الله.

إذا علم هذا يقيناً فمحال أن يكون الشرك بصورته التي نهى الله عنها موجوداً في بلادٍ كثيرة ومحكم عليها بالشرك ويوجد في الجزيرة بصورته ولا يمحكم عليها بالشرك. هذا من التلاعيب والهوبي الصارخ.

فمعنى الحديث متضح والحمد لله.

ثالثاً : جاء في الحديث إياس الشيطان من أن يعبده المصلون، والصلاوة من أركان الإسلام العظام، وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين، والصلاوة نافية عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى : «وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»، وأعظم المنكر الشرك بالله وصرف محض حق الله إلى غيره من الأنبياء والصالحين، فيكون هذا القيد لازماً للشهادة وإخلاص الدين، فيكون المعنى : إن الشيطان يئس أن يعبده المخلصون دينهم لله . فتأمل نكتة تقييده بالمصلين ، ويعني بها حقيقة الصلاة وثمرتها ، وهذه نكتة مفيدة من الله بها ، والحمد لله الموفق للصالحة .

الباب الخامس  
السبك

## الـ تـ بـ رـ كـ

تقول : تبرك يتبرك تبركاً . مأخذ من البركة .  
قال أبو منصور في «تهذيب اللغة» (٢٣١ / ١٠) :  
«أصل البركة : الزيادة والنماء» .

فالبركة : زيادة ونماء في شيء يريده المتبرك في تبركه بما تبرك به .  
وهذه الزيادة والنماء قد تكون في أمكنة وقد تكون في ذوات وقد تكون  
في صفات ، هذا على مقتضى ورودها اللغوي ، وأما الشرعي فيأتي  
تفصيل الكلام فيه إن شاء الله .

ومن الأول قوله تعالى : «وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَّ مِنْ فَوْقَهَا وَبَارَكَ فِيهَا» ، قوله : «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَضْعِفُونَ مُشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا» . قوله : «لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» ، قوله : «وَقَلَ رَبُّ أَنْزَلَنِي مَنْزِلًا مَبَارِكًا» .  
ومن الثاني قوله تعالى : «وَبَارَكَنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ، وَمَنْ ذَرَيْتَهَا مُحْسِنًا وَظَالَمًا لِنَفْسِهِ مِنْ بَيْنِ أَيْمَانِهِ» ، قوله تعالى في قصة نوح : «اَهْبِطْ بِسْلَامٍ مِّنْ بَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى اُمَّمٍ مِّنْ مَعْكَ» .

ومن الثالث قوله تعالى : «فَسَلَّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحْيَةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبَارِكَةً طَيِّبَةً» قوله : «وَهَذَا ذَكْرٌ مَبَارِكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ» .  
إذا تدبرت كتاب الله العزيز وجدت أنه يدل على أن البركة من الله ، وتطلب منه سبحانه وتعالى وحده ، وهو يضعها فيمن شاء من خلقه ، وفي ما شاء من بريته .

قال تعالى : «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» ، وقال : «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ» ، وقال : «تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بِرْوَجًا» وقال : «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» وقال : «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» والأيات الواردة بلفظ

«تبارك» كثرة.

ولفظ «تبارك» لم يرد في كتاب الله إلا مسندًا إلى الله، وهي صيغة مفيدة أعظم أنواع معنى البركة، وأكثرها نفعاً، وأعمها متعلقاً وأثراً. فالبركة لله، والله سبحانه وتعالى أخبر أنه أعطى بركة لأصنافٍ

فمن ذلك :

١ - الأنبياء والرسل، كما قال تعالى : ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقٍ ﴾ وقال في إبراهيم وأهل بيته : ﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ .

وقال في نوح ﴿ اهْبِطْ بِسْلَامٍ مِّنْا وَبِرَكَاتٍ عَلَيْكَ ﴾ . وقال عيسى عليه السلام : ﴿ وَجَعَلَنِي مباركاً أَيْنَا كُنْتُ ﴾ .

٢ - ومن ذلك وضعه البركة في أماكن العبادة كالمسجد الأقصى والمسجد الحرام قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بَعْدَهُ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيْكَهُ مَبَارِكًا ﴾ .

٣ - ومن ذلك إخباره عن ما أنزله من الذكر أنه مبارك قال تعالى : ﴿ وَهَذَا ذَكْرٌ مَبَارِكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ وهذا الذكر هو القرآن العظيم كما قال تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارِكٌ ﴾ ، قوله : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مَبَارِكٌ لِيَدْبِرَوا آيَاتِهِ ﴾ .

فالقرآن الحكيم ذكر مبارك، وتدبر آياته عمل مبارك، ومن هذا التدبر علوم القرآن، والسنّة مبينة لمجمل القرآن، وهي مباركة، واتباع القرآن والسنّة مبارك، وعلومهما الناشئة عن تدبر آيات الكتاب وفقه السنّة علوم مباركة.

هذه أنواع ثلاثة فيها بركة خاصة، دل عليها الذكر الحكيم

وهناك بركة عامة، لها أنواع أيضاً :  
فمن ذلك :

١ - أن المطر مبارك لما يحصل به من زيادة في معيش الناس وزروعهم، ونماء في ذلك قال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَبَارِكاً فَأَنبَتَنَا بِهِ جَنَاتٍ وَحُبَّ الْحَصِيدِ﴾.

٢ - ومن ذلك مباركته تعالى في الأرض كما قال : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقَهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾ وقوله : ﴿مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا﴾.

٣ - ومن ذلك مباركته تعالى ما يأتي من السماء وما يخرج من الأرض، كما قال : ﴿وَلَوْ أَنْ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

فهذه وأشباهها، مباركة عامة يحصل بها النفع والخير، والنماء والزيادة.

ولعله يظهر أن البركة الخاصة الالزمة لذاتٍ - دون المكان والصفة - تكون متعددة يحصل التبرك بأعيانها لما فيها من البركة الالزمة الدائمة بالذات .

وأما البركة الخاصة بمكان العبادة كالمسجد الحرام والمسجد النبوى فإن البركة لا تكون متعددة بأجزاء المسجد، فلا يتمسح بأعمدة المساجد ولا جدرانها بإجماع المسلمين، والمسجد مباركة، فعلم أن بركتها معناها زيادة ونماء في ما يحصله العابد من الخير، فالمسجد الحرام صلاة فيه بمئه ألف صلاة فيها سواه، والمسجد النبوى بألف صلاة .

وهذا نحو بركة الرسل صلوات الله عليهم، فإنها في أحد قسميها بركة اتباع وعمل، فالتابع لستهم المهتدى بهديهم يحصل له نماء وزيادة في ثواب عمله بسبب اتباعهم فهذا معنى البركة الخاصة

بسمها .

بخلاف المباركة العامة فإنها قد تحصل في وقت دون وقت، أو في نوع دون نوع. فمما هو بين أنه ما كل ما جاء من السماء وخرج من الأرض يكون مباركاً دائمًا، بل إعطاؤه البركة من الله متعلق بأمور أخرى، إن وجدت أعطي البركة، وإن انتفت زالت البركة، فهي بركة عامة من حيث ظرفها، خاصة من حيث وقتها، غير لازمة للشيء.

إذا تقرر هذا، فالبركة في مواردها من الكتاب والسنّة قسمان :  
**الأول :** بركة ذات ، وأثرها أن يكون ما اتصل بتلك الذات مباركاً، وهذا النوع للأئمّة والمرسلين لا يشركهم فيه غيرُهم ، حتى أكابر أصحاب النبي محمد ﷺ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى لا يشركونهم في هذه البركة .

ولا يتعدى أثر بركة الأنبياء إلا من كان على مادعي به سائرين ، وبعمله مقتدين ، ويأمره ملتزمون وعن نبيه متلهين . ولذا فصحابة رسول الله ﷺ لم ت تعد إليهم بركته في معركة أحد حين خالفوا أمره وعصوه .

وهذا النوع من تعدي البركة قد انقطع بعد موت النبي ﷺ ، إلا ما كان من أجزاء ذاته باقياً بيقين بعد موته عند أحد ، وقد ذهب ذلك المتيقن مع انقضاض قرن الصحابة رضي الله عنهم .

**الثاني :** بركة عمل واتباع : وهي عامة لكل من وافق عمله سنة النبي ﷺ فكل مسلم فيه بركة عمل مقدرة بقدر اتباعه وموافقته لأمر الله ونبيه ، بالاتهام بالأمر ، والانتهاء عن النبي .

ولذا جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في « صحيحه » (٥٦٩/٩) في النخلة : « وإن من الشجر لما بركته كبرة المسلم ». فلكل مسلم بركة بقدرها .

وليست هي بركة ذات معلوم هذا باليقين وما ادعاه مدع، وإنما هي بركة عمل.

وفي الصالحين من عباد الله المتبين بركة عمل واتباع بقدر ما فيهم من مقتضيات تلك البركة، فالعالم بالسنة له بركة علم، والحافظ لكتاب الله الواقف عند حدوده فيه بركة من أثر ذلك، وهكذا.

وإن أعلى الصالحين بركة أشدتهم اتباعاً للدين الإسلام، ومحافظة على واجباته، ومباعدة عن محمراته.

ومن المحمرات أفعال القلوب، فكم من متبع عن محمرات الجوارح، خائن في محمرات القلوب، ولا يبالي.

وبهذا تجتمع النصوص، فما كان من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فهو ما اجتمع فيه نوعي البركة.

وما كان من غيرهم فهم ما بورك فيهم بركة عمل وعلم واتباع. ولذا تجد أثر هذه البركة لا يتعدى إلا بالأعمال لا بالذات ولا بأجزائها.

ولذا قال أَسِيدُ بن حُضَيرٍ في سبب مشروعيَّة التيمم : «لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر» أخرجه البخاري في «التفسير» من صحيحه.

واللفظ المروي عند الشعيبين البخاري ومسلم : «ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر» ومعنى اللفظين واحد. ومعلوم أنه ما كان أَسِيد ولا غيره يتغى من أبي بكر أو آله بركة ذاتٍ كما كانوا يفعلونه مع النبي ﷺ، من التبرك بشعره ونحوه.

ولأنما هي بركة عمل هو الإيمان والتصديق والنصرة والاتباع. ومن ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها لما تزوج النبي ﷺ جويرية بنت الحارث قالت : «فَهَا رأَيْتَ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرْكَةً عَلَى قَوْمِهَا» أخرجه أحمد في «المسنن» (٢٧٧/٦)، وأبو داود في «السنن»

بإسنادٍ جيد.

فهذه بركة عمل لتزوج النبي ﷺ بها، فكان أن سبب ذلك عتقاً  
كثير من قومها.

## الثُّبُرُكُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٌ ﷺ

إن النبي محمدًا ﷺ مبارك الذات، مبارك الصفات، مبارك الأفعال، وهذه البركة فيه ﷺ متحققة في ذاته وصفاته وأفعاله. فقد ثبت عن بعض صحابة رسول الله ﷺ أنهم كانوا يتبركون بأشياء منفصلة عن بدنـه كالشعر، والوضوء، والعرق وغير ذلك، مما جاءت به الأحاديث الصحيحة، في الصحيحين وغيرهما.

فله ﷺ من أنواع البركة أعلى ما يبهـه الله بشراً من رسـله، وأجزاءه ﷺ تتعـدى بركتـها ويـجوز التـبرـك بها، كما فعلـت جـمـاعة من الصـاحـابة. وأما آثارـه المـكانـية كـمـكانـ سـارـ فـيهـ، أو بـقـعـةـ صـلـىـ فـيهــ، أو أـرـضـ نـزـلـ بـهـ فـلمـ يـعـرـفـ دـلـيلـ شـرـعيـ يـوـمـئـ أوـ يـشـيرـ إـلـىـ أنـ بـرـكـةـ بـدـنـ الرـسـولـ ﷺ قد تـعدـتـ إـلـىـ هـذـاـ المـكـانـ، فـيـكـونـ مـبـارـكـاـ يـشـرـعـ التـبرـكـ بـهــ. ولـذـاـ لمـ يـكـنـ يـفـعـلـ هـذـاـ صـاحـابـتـهـ فـيـ حـيـاتـهـ وـلـاـ بـعـدـ مـاتـهـ.

فـمـاـ سـارـ فـيهـ رـسـولـ اللهـ ﷺ أوـ نـزـلـ فـيهـ فلاـ يـجـوزـ التـبرـكـ بـهــ، لأنـ هـذـاـ وـسـيـلـةـ إـلـىـ تـعـظـيمـ الـبـقـاعـ الـتـيـ لـمـ يـشـرـعـ لـنـاـ تـعـظـيمـهــ، وـسـيـلـةـ مـنـ وـسـائـلـ الشـرـكــ، وـمـاـ تـبـعـ قـوـمـ آـثـارـ أـنـبـيـائـهــ إـلـاـ ضـلـواـ وـهـلـكـواــ.

قال المـعـورـ بنـ سـوـيدـ الـأـسـدـيـ : خـرـجـتـ مـعـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـمـرـ بنـ الخطـابـ مـنـ مـكـةـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ، فـلـمـ أـصـبـحـنـاـ صـلـىـ بـنـاـ الـغـدـةــ. ثـمـ رـأـيـ الناسـ يـذـهـبـونـ مـذـهـبـاــ، فـقـالـ : أـيـنـ يـذـهـبـ هـؤـلـاءـ؟ـ قـيـلـ : يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ مـسـجـدـ صـلـىـ فـيهـ رـسـولـ اللهـ ﷺ هـمـ يـأـتـونـ يـصـلـوـنـ فـيهــ.

فـقـالـ : إـنـاـ هـلـكـ مـنـ كـانـ قـبـلـكـ بـمـثـلـ هـذـاــ، يـتـبعـونـ آـثـارـ أـنـبـيـائـهــ

فيتخدونها كنائس وبيعا، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض، ولا يتعمَّدُها. أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦/٢)، ومحدث الأندلس محمد بن وضاح القرطبي في «البدع والنهي عنها» ص ٤١، بإسناد صحيح.

فهذا قول الخليفة الراشد، الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «إن الله عز وجلَ جعل الحقَ على قلب عمرو لسانه» أخرجه أحمد (٩٥/٢) عن ابن عمر بإسناد صحيح، ورواه من طريق أخرى عن ابن عمر (٥٣/٢)، ورواه أحمد (١٤٥/٥) وأبو داود (رقم ٢٩٦٢) عن أبي ذر، ورواه أحمد (٤٠١/٢) عن أبي هريرة ورواه جمُّع<sup>(١)</sup> عن هؤلاء وغيرهم من الصحابة.

ولا شك أن قول عمر السالف في النبي عن تبع الآثار من الحق الذي جعله الله على لسان عمر، رضي الله عنه.

قال ابن وضاح رحمه الله ص ٤٣ :

«كان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي ﷺ ، ماعدا قبأً وأحداً»<sup>(٢)</sup>

قال ابن وضاح : «فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين، فقد قال بعض من مضى : كم من أمرٍ هواليوم معروف عند كثير من الناس كان منكراً عند من مضى، ومحبب إليه بما يبغضه عليه، ومتقربٌ إليه بما يبعده منه. وكل بدعة عليها زينةٌ ويهجة» ١ هـ. فانظر إلى كلامه المبين. وكانت وفاة ابن وضاح سنة ٢٨٦ هـ.

فالملخص من هذا أن السلف سلف الأئمة كانوا ينكرون التبرك بالأثار المكانية، وينكرون تحريها والتعلق بها رجاء بركتها. ولم يخالف في ذلك إلا ابن عمر رضي الله عنها، فقد كان يتبع

(١) من أصحاب الكتب الستة كالترمذى وابن ماجه وغيرهم كأبي يعلى والحاكم والطبرانى.

(٢) وفي نقل الاعتصام عنه : ما عدا قبأً وحده.

الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ، فيصلي حيث صلى، ونحو ذلك.

وما نقل نقل مصدق عن غير ابن عمر من الصحابة أنه كان يفعل مثل ما فعل ابن عمر في الآثار المكانية.

وابن عمر ما كان يطلب بركة المكان ، ولكنـه يطلب تمام الاقتداء بكل ما فعله رسول الله ﷺ، في جميع أحواله ، حتى إنه أراد الصلاة في كل مكانٍ صلـى فيه رسول الله ﷺ، وكان يتبع ذلك ويعـلمـهـ، وما كان فعلـهـ - فيها يـظـهـرـ - قـصـداًـ لـلتـبرـكـ بـالـبـقـعـةـ كـمـاـ يـفـهـمـهـ المـتـأـخـرـوـنـ، وإنـهاـ قـصـدـ تـامـ الـاقـتـداءـ . ولمـ يـفـعـلـهـ غـيرـهـ مـنـ صـحـابـةـ المصـطـفـيـ ﷺـ، وإنـهاـ قـصـدـ تـامـ الـاقـتـداءـ . ولمـ يـفـعـلـهـ غـيرـهـ مـنـ صـحـابـةـ المصـطـفـيـ ﷺـ، على رأـيـ اـبـنـهـ عـنـدـ الـخـلـافـ بـاتـفـاقـ، وـهـوـ خـلـافـ لـاـ يـقـومـ فـيـ مـقـابـلـةـ اـتـفـاقـ عملـ الصـحـابـةـ عـلـىـ تـرـكـ ماـ فـعـلـهـ اـبـنـ عـمـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، وـلـاـ شـكـ أـنـ الصـوـابـ وـالـحـقـ مـعـ عـمـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـبـقـيـةـ الصـحـابـةـ، وـهـوـ الـحـرـيـ بالـاتـبـاعـ، الفـاـصـلـ عـنـدـ النـزـاعـ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ .

## التـبرـكـ بـذـوـاتـ الصـالـحـينـ

قد تقدم أن بركة الذوات لا تكون إلا لمن نص الله على إعطائه البركة كالأنبياء والمرسلين.

وأما غيرهم من عباد الله الصالحين فبركتهم بركة عملٍ ، أي : ناشئة عن علمهم وعملهم واتباعهم لاعن ذواتهم ، ومن بركات الصالحين : دعاؤهم الناس إلى الخير ودعاؤهم لهم ونفعهم الخلق بالإحسان إليهم بنية صالحة ونحو هذا.

ومن آثار بركات أعمالهم ما يجلب الله من الخير بسببيـهمـ ويدفعـ منـ النـقـمةـ وـالـعـذـابـ العـامـ بـرـبـكـةـ إـصـلـاحـهـمـ . كما قال تعالى : ﴿وـمـاـ كـانـ﴾

ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون».

وأما أن يعتقد أن ذواتهم مباركة ، فيتمسح بهم ، ويشرب سُورَهُم وتقبل أيديهم للبركة دائمًا ونحو ذلك فهو منوع في غير الأنبياء لأوجهه :  
الأول : عدم مقاربة أحدٍ للنبي ﷺ فكيف بالمساواة في البركة والفضل .

الثاني : أنه لم يرد دليلٌ شرعي يدل على أن غير النبي ﷺ مثله في التبرك بأجزاء ذاته ، فهو خاص به كغيره من خصائصه .

الثالث : ما قاله الشاطبي رحمه الله حين تعرض لقياس غير النبي عليه بجامع الولاية ، قال في كتابه «الاعتصام» (٢/٦-٧) : إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة افضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو كان خليفته ، ولم يفعل به شيءٌ من ذلك .

«إلا أنه عارضنا في ذلك أصل مقطوع به في متنه ، مشكل في تنزيله ، وهو أن الصحابة رضي الله عنهم لم يقع من أحدٍ منهم شيءٌ من ذلك بالنسبة إلى من خلفه .

ولا عمر رضي الله عنها ، وهو كان أفضل الأمة بعده ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة ، الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة ، ثم لم يثبت لواحدٍ منهم من طريقٍ صحيح معروف أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها»<sup>(١)</sup> .

بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي أتبعوا فيها النبي ﷺ .

فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الأشياء» ١ هـ  
وكذا لم يفعلوا ذلك مع الحسن والحسين رضي الله عنهم ، ولا فاطمة رضي الله عنهم أجمعين .

فالبركة الذاتية لا تنتقل بالنطفة ، خلافاً لمن زعم غير ذلك من غلة

(١) يعني التبرك بالعرق والشعر والوضعه ونحو ذلك .

الرافضه ومن تبعهم من مقلدة غيرهم .

الرابع : أن سَدَ الذرائع قاعدة من قواعد الشريعة العظيمة قد دَلَّ عليها القرآن العظيم في مواضع ، وفي السنة شيء كثير يقارب صحيحه المئة . ولعله لهذا لم يسلسل التبرك بذوات الصالحين ، إنما اختص به الانبياء .

الخامس : أن فعل هذا النوع من التبرك مع غيره عليه السلام لا يؤمن أن يفتهن ، وتعجبه نفسه فيورثه العجب والكبر والرياء وتزكية نفسه ، وكل هذا من محظيات أفعال القلوب .

## ﴿فصل﴾

قال صاحب المفاهيم ص ١٥٦ بعد أن ساق آثاراً وأحاديث فيها تبرك بعض الصحابة بذات النبي صلوات الله عليه وسلم أو بعض أجزاء ذاته ، قال : «والحاصل من هذه الآثار والأحاديث هو أن التبرك به صلوات الله عليه وسلم ، وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه سنة مرفوعة ، وطريقة محمودة مشروعة» ١ هـ

أقول : في هذا الكلام إجمال سببه عدم التحقيق ، وترك تدبر النصوص . فصاحب المفاهيم لم يفرق بين التبرك بذاته صلوات الله عليه وسلم أو ما انفصل منه وبين الآثار الأرضية من بقاع صل فيها ، أو جلس فيها . الأول : كما تقدم بيانه قد فعل بحضره النبي محمد صلوات الله عليه وسلم وأقره فهو سنة ومشروع .

وأما الثاني : وهو التبرك بالأثار الأرضية فليس بمشروع ، ولذا لم يستطع صاحب المفاهيم أن يأتي بدليل يصدق عليه دعوه العريضة في قوله : «سنة مرفوعة» . وهذا من عدم التفرقة بين المفترقات ، وترك سبيل المحققين من أهل العلم .

وما يدل على أن التبرك بالأثار الأرضية غير مشروع ومحظوظ أمورٌ  
الأول : أن هذا النوع من التبرك لم يكن في عهده عليه السلام، ولم ينقل  
فيه شيء نقلًا مصدقاً، لا بإسناد صحيح ولا حسن ولا ضعيف، فلم  
ينقل أحداً تبرك في زمانه بأثره أرضي، وإذا لم ينقل مع توافر  
الداعي على نقله، ووجود الهمم على نقل ما هو دونه بكثير : علم أنه  
لم يكن في زمانه عليه السلام، وما كان كذلك فإن حداثة بدعة، وكل بدعة  
ضلاله، والبدع يجب النهي عنها ومصادتها.

وهذا ما أرشد الخليفة الراشد إلى النبي عنه، وعن تبع الآثار  
الأرضية، كما مر في مارواه المعروف بن سعيد الأستدي.

الثاني : أن بركة ذوات الأنبياء والمرسلين لا تتعذر إلى الأمكنة  
الأرضية، وإنما لزم أن يكون كل أرضٍ وطئها، أو جلس عليها، أو  
طريق مر بها، تطلب بركتها، ويتبرك بها

وهذا لازم باطل قطعاً، فانتفى الملزم، وهذا جلي لمن تأمل  
اتساعه وتسلسله.

الثالث : أن طلب التبرك بالأمكنة الأرضية خلاف سنة الأنبياء  
جميعاً قبل نبينا محمد عليه السلام، فلم يتحرروا الآثار الأرضية للأنبياء قبلهم،  
ولا أمروا بتحريها، وكل ما كان خلاف ذلك فهو مما أحدهه الخلوف -  
الذين يفعلون ما لا يؤمرون - بعد أنبيائهم حين صعبت عليهم  
التكليف الشرعية فرغبوا في التعلق لغفران الذنوب وزيادة الحسنات  
بالتبرك المبتدع بالأثار المكانية، ولذا قال عمر : «إنما هلك من كان  
قبلكم بمثل هذا، يتبعون آثار أنبيائهم»، وقد سبق تخرجه.

الرابع : أن الأمكنة الأرضية لا تكون مباركة إلا بدوام الطاعة  
فيها، وهي سبب إعطاء الله البركة، فالمساجد مباركة لذلك، وبركتها  
لا تكون مع زوال الطاعات عنها.

فمما يمثل به على هذا : أن المساجد التي غالب عليها الحربيون

وصيروها كنائس زالت عنها بركة المسجد التي كانت حين كان يطاع الله فيه، وبعد أن أحدث فيها الشرك وتعبد فيها بغير شريعة الإسلام فالبركة تنتزع، وهذا مالا منازع فيه ولا مجادل.

الخامس : أن التبرك بالأثار المكانية وسيلة إلى ما هو أعظم : من تقديرها والاعتقاد فيها ، ولا غرو فقد قال الأخباريون عن أولاد إسماعيل عليهما السلام : أنهم « ضاقت عليهم مكة ، ووقدت بينهم الحروب والعداوات ، وأخرج بعضهم البعض فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش .

وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يطعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصباة بمكة»<sup>(١)</sup> .

وما كان هذا شأنه فمنه أوجب ، إذ الوسيلة إلى ماليس بمشروع ليست بمشروعية سداً للباب ، وقطعاً للذرية .

إن السلامة من سلمى وجارتها

أن لا تحل على حال بواديها

السادس : أن تعظيم الرسول عليهما السلام والتماس بركته وتحريها يكون بما بقي لنا اليوم من نوعي البركة وهي بركة الاتباع ، والعمل بسته ، وجهاد أعداء سنته ، والمخالفين لأوامر شرعه ، والمنافقين الذين فتنوا الناس وأضلواهم ، وبهذا رغب السلف من التابعين وأئمة الهدى ، الذين حققوا محبة رسول الله عليهما السلام فناهم من بركة اتباعه ما أذن الله فيه ، وتركوا عدا هذا من التبرك بالأثار الأرضية ، فعلم من هذا أن ما تركوه غير معروف عندهم ، ولا هو مشروع .

وفي هذه الأمور لطالب الهدى والتوقيق مقنع ، وللراغب في سداد القول والعمل منجع ، وإن الحق لأحق أن يتبع ، والحمد لله الموفق

(١) الأصنام ص ٦ ، ولم أنسف للاستدلال ، وإنما لبيان ما قيل في حالم .

للصالحات.

وقال صاحب المفاهيم ص ١٥٦ :

«وبالنصوص التي نقلناها يظهر كذب من زعم أن ذلك ما كان يعني به ويهتم بفعله أحد من الصحابة إلا ابن عمر، وأن ابن عمر ما كان يوافقه على ذلك أحد من أصحاب الرسول ﷺ . وهذا جهل أو كذب أو تلبيس.

فقد كان كثير غيره يفعل ذلك ويهتم به، ومنهم : الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، وأم سلمة، وخالد بن الوليد، ووائلة بن الأسعق، وسلمة بن الأكوع، وأنس بن مالك، وأم سليم، وأبي سعيد بن حضير<sup>(١)</sup>، وسوداد بن غزية، وسوداد بن عمرو، وعبد الله بن سلام، وأبو موسى، وعبد الله بن الزبير، وسفينة مولى النبي ﷺ ، وسارة خادم أم سلمة، ومالك بن سنان، وأسماء بنت أبي بكر، وأبو محنورة، ومالك بن أنس وأشياخه من أهل المدينة كسعيد بن المسيب ومحبى بن سعيد» انتهى.

أقول : لن أطيل القول في تخریج ما نسبه إلى هؤلاء الصحابة والتابعين ، ولكن هنا أمور :

الأول : أن اتهام صاحب المفاهيم من قال بتفرد ابن عمر بالاهتمام بالأثار المكانية بالكذب ثم بالجهل والكذب والتلبيس ، من سينات المقال ، وفضائح الأحوال .

إذ ما كان يظن بالصغرى أن يكذبوا الكبار من أئمة الحديث والفقه والدين الذين قالوا بتفرد ابن عمر .

الثاني : أن هذا القول نسبته إلى الجهل أحق ، إذ من لم يفرق بين البركة الذاتية ، والأثار المكانية فخليق باطراح قوله .

الثالث : أن من أورد أسماءهم إنما رُوي عنهم التبرك بآثاره ﷺ .

(١) تعرف اسم حضير بالحاء المهملة إلى خضير بالحاء المعجمة ، فصححته .

الذاتيه الباقيه بعد وفاته ﷺ والعرق والجبهه والرداء وما شاكل ذلك على القول بصحته ، وإنما فعند التحقيق فلا يصح منه إلا شيء قليل .  
فلم يُكذب من يقول بالفرق وهو الحقيق بالنظر الصحيح ، والقول المنيع ، أما من لم يسر العلم ورضي منه بحظ أدنى الناس نظراً ومعرفة فلا وزن لقوله عند أهل العلم .

وهذه التعميمه من صاحب المفاهيم ينخدع بها من يحسن الظن به ويشق بعلمه ، وتبعثهم يوم القيمة كبيرة ﴿إذ ترأوا الذين اتبعوا من الدين اتبعوا﴾ .

ولا يستطيع صاحب المفاهيم أن ينقل عن غير ابن عمر من صحابة رسول الله ﷺ تبركه بالأثار المكانية ، بسند صحيح أو حسن .  
الرابع : أن نسبة ذلك للإمام مالك إمام المدينة وعالماها ليست صحيحة . فمالك رحمه الله كان ينهى عن تتبع الآثار المكانية ، وينقل مالك هذا عن أعلام التابعين المدینین ، وفي كتب أصحاب مالك من هذا نصوص .

منها ما قاله محدث الأندلس ابن وَضَاح ص ٤٣ في كتابه «البدع والنهي عنها» قال : «وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد ، وتلك الآثار للنبي ﷺ ، ماعدا قباء وأحداً» ١ هـ

فما للذى يتسب لمذهب مالك لا يكون مالكياً في هذه المسائل ، سلفياً كما كان مالك رحمه الله رحمة واسعة .

## فصل

في معنى الانتساب إلى السلف ، والسلفية  
ال المسلمين صنفان : سلفيون ، وخلفيون .  
أما السلفيون : فهم اتباع السلف الصالح .  
والخلفيون : أتباع فهوم الخلف ، ويسمون بالمبتدةة . إذ كل من  
لم يرتض طريقة السلف الصالح في العلم والعمل ، والفهم والفقه فهو  
خلفي مبتدع .

**والسلف الصالح :** هم القرون المفضلة ، وعلى رأسهم وفي  
مقدمتهم صاحبة رسول الله ﷺ الذين أثنى الله عليهم بقوله :  
﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمة بينهم تراهم  
ركعاً سجداً...﴾ الآية .

وأثنى عليهم رسول الله ﷺ بقوله : ﴿خير الناس قربني ثم الذين  
يلونهم ثم الذين يلونهم...﴾  
وتتابعت أقوال الصحابة أنفسهم ، والتابعين لهم بإحسانٍ على  
الثناء على مجدهم ، والاقتداء بمسالكهم .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : «من كان منكم متأسياً فليتأسس  
باصحاب محمدٍ ﷺ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علمًا،  
وأقلها تكلاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله  
لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم،  
فإنهم كانوا على الهدى المستقيم» .

وهذا أمر مجمع عليه بين أهل السنة، لا يخالف في ذلك منهم  
مخالف. وإذا كانوا على مثل هذا الفضل العظيم فلا غُرُوراً أن يتشرف  
المسلم بالانتساب إلى طرائفهم في فهم الكتاب والسنة، وتفسيرهما،

وعملهم بالنصوص.

وكانت كل فرقة ضالة من فرق الأمة تستدل لمراداتها ومذاهبها بآياتٍ وأحاديث خلاف فهم السلف لها، وتوسعوا في ذلك حتى كفر بعضهم بعضاً وضرروا كتاب الله ببعضه ببعض، كل ذلك بفهمهم للنصوص حَسْبَ ما تدعيه كل فرقة، فأصبحت كل الفرق الزائفة تقول : نأخذ بالكتاب والسنّة، فالتبّس الأمر على ضعيفي النظر، قليلاً العلم.

والمخرج من هذه الدعاوى والأقوال الزائفة هو اتباع نهج خير القرون، فما فهموه من النصوص هو الحق، وما لم يفهموه ولم يعملوا به فليس من الحق.

وهكذا تابعواهم بإحسانٍ من تلقوا عن الصحابة الكرام رضى الله عنهم أجمعين، فصار من انتسب إلى منهج هؤلاء الصحابة في فهم الكتاب والسنّة، ومن أخذ بما صحت روایته عنهم مرفوعاً إلى النبي ﷺ ومن ترك الآراء العقلية والفهم المحدث صار من هذا نهجه وسيله سلفيأً، وصار من لم يكن كذلك خلفياً مبتدعاً.

إذ تقرر هذا، فكل مسألة من مسائل العلم لا تخلو من أحدي ثلات أحوال :

الأول : أن يكون الصحابة وتابعواهم قد قالوا بها وعملوا بها جمِيعاً أو بعضهم ولم يظهر له مخالف.

الثاني : أن يكون عمل بها بعضهم، وخالف فيها بعض آخر وهم أكثر.

الثالث : أن تكون المسألة غير معمول بها عندهم .  
فهذه ثلاثة أقسام :

أما القسم الأول : وهو أن يكون عمل الصحابة كلهم بالمسألة، أو بعضهم لم يعرف له مخالف ، فلا شك أن هذا هو السنّة المتّبعة ،

والنهج الواضح البين، والصراط المستقيم، والمحجة البيضاء، فلا يحل لأحدٍ مخالفتهم في ذلك. وأمثلة هذا أشهر وأكثر من أن تذكر في العقائد والعبادات

وأما القسم الثاني : وهو أن يكون قد عمل بها بعضهم ، وخالف آخرون، وهم أكثرهم ، حيث آثر عامة الصحابة غير ما اختاره ذلك القليل ، وعملوا بغير ما عمل . قال الشاطبي في «المواقفات في أصول الشريعة» (٥٧/٣) في وجوب اتباع أكثرهم : «فذلك الغير هو السنة المتبعة ، والطريق السالبة ، وأما ما لم يقع العمل عليه إلا قليلاً فيجب التثبت فيه ، وفي العمل على وفقه ، والثابرة على ما هو الأعم والأكثر .

فإن إدامة الأولين للعمل على مخالفة هذا الأقل : إما أن يكون لمعنى شرعي ، أو لغير معنى شرعي .

وباطل أن يكون لغير معنى شرعي ، فلا بد أن يكون لمعنى شرعي تحرروا العمل به ، وإذا كان كذلك فقد صار العمل على وفق القليل كالمعارض لمعنى الذي تحرروا العمل على وفقه ، وإن لم يكن معارضًا في الحقيقة .

فلا بد من تحرى ما تحرروا ، وموافقة ما داوموا عليه»<sup>(١)</sup> انتهى .  
ثم قال (٧١ - ٧٠ / ٣) :

«وبسبب ذلك ينبغي للعامل أن يتحرى العمل على وفق الأولين ، فلا يسامح نفسه في العمل بالقليل ، إلا قليلاً وعند الحاجة ومَسَّ الضرورة إن اقتضى معنى التخيير ، ولم يخف نسخ العمل ، أو عدم صحة في الدليل ، أو احتمالاً لا ينبع به الدليل أن يكون حجة ، أو ما أشبه ذلك .

أما لو عمل بالقليل دائمًا للزمه أمور :

(١) وساق الشاطبي أمثلة ، وفي «التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية من ذلك أمثلة كثيرة .

أحدها : المخالفة للأولين في تركهم الدوام عليها، وفي مخالفة السلف الأولين ما فيها.

الثاني : استلزم ترك ما داوموا عليه، إذ الغرض أنهم داوموا على خلاف هذه الآثار، فإذا ملأ العمل على موافقة ما لم يداوموا عليه مخالفة لما داوموا عليه.

والثالث : أن ذلك ذريعة إلى اندراس أعلام ما داوموا عليه، واشتهر ما خالفه، إذ الاقتداء بالأفعال أبلغ من الاقتداء بالأقوال، فإذا وقع ذلك من يقتدى به كان أشد.

الحذر الحذر من مخالفة الأولين ! فلو كان ثمّ فضل ما لكان الأولون أحق به. والله المستعان» انتهى كلام الشاطبي رحمه الله .

وأما القسم الثالث : وهو أن تكون المسألة غير معمول بها عندهم، فلا مراء في أن ما خرج عن عملهم كلهم بدعة وشر، إذا كان مما يتقرب به عامله إلى ربه . لا إن كان من العاديات فالأصل فيها الإباحة .

ولذا يقال لكل من عمل عملاً لم يكن على طريقة السلف وفهمهم لنصوص الكتاب والسنّة إنك مبطل مبتدع ، مُتبَعٌ غير سبيل المؤمنين . وقد يحسن المحدثات التي لم يتقرب بها صحابة رسول الله ﷺ أناسٌ ينتسبون إلى العلم ، في رغبات ونوازع مختلفة .

«وهو كله خطأ على الدين ، واتباع لسبيل الملحدين ، فإن هؤلاء الذين أدركوا هذه المدارك ، وعبروا على هذه المسالك : إما أن يكونوا أدركوا من فهم الشريعة ما لم يفهمه الأولون ، أو حادوا عن فهمها .

وهذا الأخير هو الصواب .

إذ المتقدمون من السلف الصالح هم كانوا على الصراط المستقيم ، ولم يفهموا من الأدلة المذكورة وما أشبهها إلا ما كانوا عليه ، وهذه

المحديثات لم تكن فيهم ولا عملوا بها»<sup>(١)</sup>.

والمحديثات أنواع : فمنها الشركي ، ومنها البدع التي تجر إلى الشرك ، ومنها بدع تقضي على السنن.

وهذه الحديثات بأنواعها لم تكن في زمن الصحابة والتابعين مطلقاً، فلا كان زمنهم قبور يعكف عندها، وتبني القباب عليها، ويستشفع بأصحابها.

ولا كان عندهم توسل بحرمة الأنبياء والصالحين أو جاههم أو ذواتهم ، ولا كان عندهم تحرر للدعاء عند القبور.

ولا كان عندهم هذه الموارد والاختلافات بمناسباتها.

كل هذا لم يكن عندهم بإجماع المسلمين.

إذا كان كذلك فما استدل به الخلف من شبه لتبرير هذه البدع ينقسم ثلاثة أقسام :

**الأول** : آيات كريمة تأولوها على مراداتهم ، محرفين معانيها عاسفين لها عسفاً.

**الثاني** : أحاديث وهي قسمان :

**القسم الأول** : أحاديث صحيحة ليست على ما فهموا ، ولا توافق مرادهم ، وإنما يحرفونها عن معانيها وسياقها.

**القسم الثاني** : أحاديث واهية أو مكذوبة ، وما أكثرها عندهم ، وما أشد فرجمها ، وما أعظم إغلاطهم لها ، وما أحبهم لترديدها ونشرها.

**الثالث** : حكايات ومنامات يتناقلونها؛ وكأنها من مصادر التشريع.

والمخرج من الاستدلال بالأيات والأحاديث الصحيحة يكون بأمررين :

(١) عن المواقف للشاطبي (٣/٧٣).

**الأول** : أن ما يستدل به المبتدةع ليس هو المعنى المراد، فأهل السنة المتبعون لفهم السلف يفهمون منه غير ما فهمه المبتدةع . فيكون فهمُ الخلف مردوداً بفهم السلف .

**الثاني** : وهو فرع الأول - أن يقال : هل عمل السلف الصالح بفهم الخلف لما يستدللون به أم لم يعملوا به . والسلف لم يعمروا بهذه المحدثات اتفاقاً، ولن يقدر مبتدع أن يأتي بعمل للسلف مخالف لعمل الصحابة، لأن أهل السنة متبعون لعمل الأولين من الصحابة والتابعين، بخلاف الخلف الذين يفعلون ما لا يؤمرون .

وفي هذا المعنى ماروبي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»<sup>(١)</sup>

ولذلك لا تجد فرقة من الفرق الضالة ولا أحداً من المختلفين يعجز عن الاستدلال على مذهبها بظواهر من الأدلة ، والشأن والصواب في صحة الاستدلال لا بمجرد الاستدلال .

قال الشاطئي بعد ذكر مجمل هذه المعاني (٧٧/٣) : «فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون ، وما كانوا عليه في العمل به . فهو حرى بالصواب وأقوم في العلم والعمل» انتهى .

إذا تبين هذا وانجل ، وظهر الحق واعتلى ، فالذين يصح تشرفهم بالانتساب إلى السلف الصالح يدورون مع هذه المسائل التي ذكرت .

١ - فما كان عمل الصحابة به منتشرأ ، عملوا به .

٢ - وما تفرد به واحد منهم أو أفراد وخالف فيه بقيتهم ردوه إلى

الله والرسول ﷺ كما أمرهم ربهم بذلك حيث قال :

(١٠) رواه الدارمي (٤٧/١) واللالكائي في «الستة» وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله»، وكذا رواه الدارقطني وابن أبي زمن في «أصول السنة» ونصر المقدسي في «الحججة على تارك المحجة»، وأخرون.

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

فأمر بالرد إلى الله وهو الرد إلى كلامه المنزل الحكيم قرآن العظيم.  
وأمر بالرد إلى رسوله ﷺ، وهو الرد إليه في حياته، وإلى سنته الثابتة  
الصحيحة بعد وفاته، والنظر للاتباع في عمل الأكثرين.  
فلم يظهر بحمد الله في قaudتهم إخلال، ولا نابها اضطراب،  
وهي القاعدة البينة، والسبيل النهج الواضح، والصراط المستقيم.  
وعليها سار الأئمة الأربع في أكثر فقههم رحمهم الله وأجزل لهم  
المثوبة.

٣ - وما لم يعمل به أولئك الكرام أعني صحابة رسول الله ﷺ من  
أمور العبادات فهو محدث أحدهه الخلوف.

فيما كف الصحابة والتبعون عما كفوا عنه إلا لنظر سديد، وفهم  
حميد لأدلة الكتاب والسنة، ولا تركوا ماتركوا مما أحدهه من بعدهم -  
مع وجود أسبابه عينها التي برزها المحدثون محدثاتهم - إلا عن فهم  
لأمور الشرع، وتركهم سنة متتبعة وسبيل مقتضاها.

ولا رغبوا فيها رغبوا عنه ما طلب به الخلوف الأجر والثواب إلا  
وفعل ما رغبوا عنه ليس من الدين، فإنهم أحرص الناس على الخير،  
وأكثرهم تحرياً لولوج أبواب الطاعات المشروعة، فإنهم لا يتركون  
مشروعًا إلا وقد أتوه وطلبوا الثواب وتقربوا إلى الله بعمله.

فيما أفقه من اتبعهم فيأخذهم وتركهم، وفهمهم وعلمهم، وفهمهم  
وعملهم، وما أحراه بكل خير وقربة، وما أجدره بأن يوفق في أمره  
كله.

”باب السادس“

قال ص ١٠ :

«أما هو ﷺ فإننا نعتقد أنه ﷺ بشر يجوز عليه ما يجوز على غيره من حصول الأعراض والأمراض التي لا توجب التنقيص والتفير. كما قال صاحب العقيدة :

وجائز في حقهم من عرض

بغير نقص كخفيف المرض» ١ هـ

أقول : بئس ما قاله صاحب عقيدتكم من أن النبي ﷺ لا يصيبه إلا المرض الخفيف وبئس القدوة المقتدى بها ، فأنتم مقتدون بقوله هذا ونحن متبعون لحبيبنا محمد ﷺ .

أنتم تصدقون أقوال صاحب عقيدتكم .

ونحن نصدق أقوال حبيبنا محمد ﷺ .

فيؤسأ لكم باتباع صاحبكم ، وهنئاً لنا باتباع نبينا محمد ﷺ ، و أصحابته .

يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك ، فقلت : يارسول الله إنك توعدك وعكا شديداً .

قال : «أجل إني أووعك كما يوعك رجلان منكم» أخرجه البخاري في كتاب المرضى من «صحيحة» (١١١/١٠)

وترجم له البخاري : «باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» قال الحافظ في «الفتح» :

«صدر هذه الترجمة لفظ حديث أخرجه الدارمي والنسائي في الكبرى ، وأبن ماجه ، وصححه الترمذى وأبن حبان والحاكم كلهم من طريق عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن

أبيه قال : قلت : يارسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأشد، يبتلى الرجل على حسب دينه... الحديث» ١ هـ كلام الحافظ.

فهذا اعتقادنا نتبع فيه رسول الله ﷺ، وانت اتبوا ناظم عقائدكم مخالفين قول رسول الله ﷺ نفسه.

اسمع قول عائشة فيما أخرجه البخاري ومسلم في «صححهما» : «ما رأيت أحداً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ».

فالذى جر الكاتب إلى هذه المخالفة الظاهرة لقول النبي ﷺ هو الغلو المنهى عنه، فانظر بطلان دعواهم، وصحة دعوى المتعين للسلف.

قال القاضى عياض رحمه الله في «شرح مسلم» : «وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقن أنهم مخلوقون مربويون، ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات، ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم». ١ هـ  
قال ص ٣١ :

«الأدعية المتطللون على بساط الحقيقة كثiron، والحقيقة بريئة منهم، ولا تعرف لهم بصحة نسبتهم إليها» ثم قال : «ولقد بلينا عشر المسلمين بكثير من هؤلاء، يعكرون صفو الأمة ويفرقون بين الجماعات...» ثم قال : «ويدخلون إلى تصحيح مفاهيم الإسلام من باب العقوق» ١ هـ

أقول : لقد عاشت هذه البلاد السعودية متذمّرة من حجّاج تحت لواء حكمها على عقيدة واحدة، اختلف عليها جميع رعاياها في شتى أنحائها، لا توئهُم بدعة، ولا يؤرّقهم عصيان وكفران، كلهم على كلمة واحدة، وجماعة واحدة، في صفو من العيش، لا تفرقـات ولا

أحزاب إقليمية، متحابين، يصحح مصيبهم خطأهم، ويسدده، ويقيله عثرته، في ما تختلف فيه الأفهام، ويسوغ فيه الاجتهاد والنظر، وكانوا متفقين في الأصول، لاختلاف بينهم فيها، ولا جدال حولها، إذ قرر قرارها، وأجمع المسلمون في هذه البلاد على ذلك، لأنعلم مخالفًا لهم بينهم.

ثم ظهر من أثار الفتنة، وفرق المسلمين، وعكر صفو الأمة، وجعل الجماعة الواحدة جماعات.

فمن الأدعية المتطفلون الذين فعلوا هذا، وجعلوا لا يفتؤون في الصد عن العقيدة التي كانت عليها هذه البلاد من التوحيد الخالص. فهذا سهم ارتدى عليك من جعبتك، وقول خشيت أن ترمى به فسارعت إلى الرمي به.

ثم نقول لك : من هو الذي يفرق الجماعة أهو الذي يدعو إلى عقيدة التوحيد وإفراد الله بالعبادة واتباع الرسول ﷺ والاعتصام بالكتاب والسنة، حتى تكون الأمة جماعة واحدة معبدوها واحد وهو الله وقدوتها واحد وهو محمد ﷺ، ودليلها واحد، وهو الكتاب والسنة وتحت راية واحدة هي راية التوحيد، أم الذي يدعو إلى التعلق بغير الله من الأولياء والصالحين، وإلى اتباع الطرق الصوفية المبتدةعة وإلى الاستدلال بالأحاديث الم موضوعة والحكايات المكذوبة والمنامات الشيطانية مما تزخر به كتب القوم ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كَتَمْ  
تَعْلَمُونَ﴾.

قال ص ٣٣ :

«وهذا ما حققه علماء الأصول من سلف هذه الأمة رضي الله عنهم : كإمام العز بن عبد السلام، والنوي، والسيوطى، والمحلى، وابن حجر» ١ هـ

أقول : مما ينبغي التنبية عليه في هذا المقام أن لفظ السلف له إطلاقات :

(منها) : ما هو عامٌ كليٌ يُعني به الصحابة والتابعون وتابعوهم، ثلاثةُ القرون المفضلة، وهذا المعنى هو الذي يصح عند إضافته إلى الأمة، كقولهم : سلف الأمة، وإلى هؤلاء وخاصة الصحابة ينسب السلفيون .

ومعنى هذا النسبة : السلفي أنه ينبع نهج الصحابة وتابعهم، فإن اتباع الكتاب والسنة كل يدعوه، وكل يطمح إلى شرف الانتساب إليه، وما كل ما ظنه المرء مطمحًا يصل إليه، فرب طامح تشعبت السبيل به، فالفرق الضالة كلها تنسب إلى الكتاب والسنة : كالمعزلة من المتقدمين، والقاديانية من المتأخرین، والرافضة المتقدمين والمتأخرین . وغير هؤلاء .

فحقيقة الانتساب الصحيح إلى الكتاب والسنة الذي به يفرق بين أهل السنة والجماعة وغيرهم اتباع الصحابة، وانهاج منهم، وارتضاء طريقتهم، فبهذا تنقطع الأسباب المدعاة، ويظهر الحق والمبطل .

وقد فصل هذا الإجمال في موضع آخر من هذه «الورقات». (منها) ما هو خاص يضاف إلى القائل بالنسبة لمن سبقه كقولهم : سلفنا، فهذا لفظ يصدق على كل من تقدم القائل، ولا يقتضي رفعه في رتبة شرعية، ولا منزلة دينية، وهذا هو الذي يستعمله المؤلفون عند ذكر علماء الأمة الأجلاء المتأخرین عن مرتبة أولئك، وهو الذي

يصدق على الذين ذكرهم المؤلف وأقدمهم وفاة العز بن عبد السلام وكانت وفاته في القرن السابع، وأخرهم ابن حجر الهيثمي . وهؤلاء عند علماء الشافعية متأخرون كما هو اصطلاحهم في المتقدمين والمتاخرين ، وحد التفرقة رأس الأربع مئة عند الشافعية فإطلاق «سلف هذه الأمة» عليهم ليس مستقيماً لا باقتضاء لغوي ولا عرفي .

قال ص ٤١ في فصل حقائق تموت بالبحث :

«وذلك مثلاً كاختلاف العلماء في رؤية النبي ﷺ الله سبحانه وتعالى كيف كانت ، والخلاف الطويل العريض الدائر بينهم في ذلك الباب ، فمن قائل رأه بقلبه ومن قائل رأه بعينه ، وكل يورد دليلاً ويستنصر به لا طائل تحته .

والذي أراه أن كل ذلك عبث لافائدة فيه ، بل ضرره أكبر من نفعه » ١ هـ

أقول : هذا قول كاتب المفاهيم الغربية العجيبة ، وفي قوله من الجرأة والانتقاد للسلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، ورميهم بالبحث فيها لافائدة فيه ، بل إنهم في زعمه يبحثون فيها ضرره أكبر من نفعه .

من علمك هذا الاختيال والزهو ، ومن صيرك حكماً على أقوال الصحابة تفهمهم بالبعث ، ومباحthem بالضرر .

قال أبو العباس القرطبي في «المفہوم لما أشکل من تلخیص کتاب مسلم» (١٤٨/١ نسخة الأحمدية بحلب) :

«واختلف قدیماً وحدیثاً في جواز رؤية الله تعالى ، فأكثر المبتدة عن إنكار جوازها في الدنيا والآخرة ، وأهل السلف والسنّة على جوازها فيها وقوعها في الآخرة .

ثم هل رأى نبینا ﷺ ربه أم لا؟ اختلف في ذلك السلف والخلف ،

فأنكرته عائشة وأبو هريرة وجماعة من السلف، وهو المشهور عن ابن مسعود وإليه ذهب جماعة من المتكلمين والمحاذين .  
وذهبت طائفة أخرى من السلف إلى وقوعه ، وأنه رأى ربه بعينيه ، وإليه ذهب ابن عباس ، وقال : اختص موسى بالكلام ، وإبراهيم بالخلة ، ومحمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرؤبة . وأبو ذر وكعب والحسن وأحمد بن حنبل ، وحكي عن ابن مسعود وأبي هريرة في قولِ لَهُمَا آخِرٌ ١ هـ .  
وطلب دلائل هذه المسألة وسبب الاختلاف له موضع آخر ، وإنما المقصود هنا رد قول الكاتب الجرىء على السلف ، أن ضرر البحث في المسألة أكبر من نفعه .

ولو كان الكاتب ذا أدب علمي ، وورع ديني لما ضمن كلامه هذه الاتهامات لخير القرون صحابة رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد قال في ص ٣٩ من كتابه في العلماء والسلف الصالح : «كيف يفتح الله علينا لنتستفيد من علومهم إذا كنا نعتقد فيها الانحراف» ١ هـ . فهذا قوله ذكرناه به ، وحثّها تحمل مَعْزَ بِأَظْلَافِهَا ، ويداك أوكتا وفوك نفح ، إذ هو مقرر على نفسه بأن فتح باب العلوم لا يجتمع مع التنقض للسلف ، وهو متهم بعض علوم الصحابة بالعيت والضرر ، فصدق فإن باب علومهم موصدًّا أمامه ، مغلق لا يفتح إلا لمن أجلهم ونظر فيها اختلفوا فيه وترضى عنهم .

فكتاب المفاهيم بشهادة كاتبه على نفسه ليس له بعلوم الصحابة اتصال ، ولا ارتباط بسبب من الأسباب ، وإن كان يدعى خلاف ذلك فرب زَعَمَاتٍ يُسمِّينَ عَزَمَاتٍ .

وفي ص ٣٨ عنون بـ «حقيقة الأشاعرة» .

وقال فيه : «يجهل كثير من أبناء المسلمين مذهب الأشاعرة ، ولا يعرفون من هم الأشاعرة ولا طريقتهم في أمر العقيدة . . ولا يتورع البعض أن ينسبهم إلى الضلال أو يرميهم بالمرور من الدين والإلحاد

في صفات الله .

وهذا الجهل بمذهب الأشاعرة سبب تمزق وحدة أهل السنة ..  
الخ .

نقول : مذهب الأشاعرة في العقيدة معروف ومخالفاته لمذهب أهل السنة محررة معلومة فيجب هنا أن نذكر طرفاً من حال الأشاعرة ليتضح حا لهم ، ولا يلتبس الأمر فأقول : الأشاعرة جمع أشعري وهي نسبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري جده البعيد أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه ، ولد سنة ٢٦٠ تقربياً وتوفي سنة ٣٢٤ هـ .

مات أبوه فتزوجت أمه بعده أحد رؤوس المعتزلة وهو : الجبائي ، فتربي الأشعري في حجره ، حتى كانت تلمذته له خاصة ، فعرف فكره ودرس مذهبه حتى بلغ أربعين سنة فيها قيل يناظر على مذهب الاعتزال .

ثم يقال إنه رقى يوم جمعة كرسياً ونادي بأعلى صوته : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفي فأنا أعرفه نفسي : أنا فلان ابن فلان ، كنت قلت بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى بالأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها ، وأنا تائب مقلع .

وقيل غير ذلك واخترت أخصرها لفظاً ، والمقصود أنه تاب من اعتزاله . ثم بعد ذلك جلس في حلقة أصحاب ابن كلّاب فأخذ منهم زماناً ، فكان مذهبة المتوسط الذي ينسب إليه أتباعه هو المذهب الكلابي الذي لم يتخلص من براثن الاعتزال وهو نفي الصفات ماعدا سبعاً منها والقول بالإرجاء والكلام النفسي ونفي الحكمة عن أفعال الله وشرعه .

ثم نظر في النصوص نظرة تعلم فتاب من مذهبة ذلك ورجع إلى مذهب أهل الحديث في الجملة وهكذا نصوصاً من كتبه مقررة لذلك .

١ - قال في «مقالات المسلمين» وهو أوثق الكتب نسبة له بعد أن سرد مذهب أهل الحديث وعقائدهم بتفصيل (٣٢٠ - ٣٢٥) : «فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قوله نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله . . .»

٢ - قال في «الإبانة» العبارة المشهورة المنسوبة : «قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا، وبيسنة نبينا صلى الله عليه وأله وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته وأجزل مثويته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون . . .» ١ هـ.

ولكن المتسببن إليه بقوا على مذهبهم المخالف لمذهب السلف في باب الصفات والقدر وغيره ولم يكونوا على مذهبه الأخير الذي استقر عليه بل بقوا على مذهبه الذي رجع عنه والذي هو ضلال وخروج عن منهج السلف فكيف يقال إن تضليل الأشاعرة تمزيق لوحدة أهل السنة، بل نقول إن الدفاع عن مذهب الأشاعرة وهو مذهب باطل هو التمزيق لوحدة أهل السنة حيث حسب على أهل السنة من ليس منهم ليحل مذهبهم الباطل على مذهبهم الحق ويدرس في صفوفهم من ليس منهم .

قال ص ٣٨ عن الأشاعرة :

«هم الذين قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية [والعلماء أنصار علوم الدين والأشاعرة أنصار أصول الدين] الفتوى الجزء الرابع» ١ هـ.

أقول : ما قال هذا شيخ الإسلام ، وإنما نقله في فتوى له (٤/١٦) عن العز بن عبد السلام من قوله ، وهذا نصه :

«رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد فتوى طويلة ، فيها أشياء حسنة ،

قد سئل بها عن مسائل متعددة، قال فيها : « فذكر نقولاً منها قوله : قال : « وأما لعن العلماء لأئمة الأشعرية فمن لعنهم عزراً، وعادت اللعنة عليه، فمن لعن من ليس أهلاً لللعنة وقعت اللعنة عليه.

والعلماء أنصار فروع الدين، والأشعرية أنصار أصول الدين . »  
هذا كلام العز بن عبد السلام ، وتعقبه شيخ الإسلام بقوله : « فالفقير أبو محمد أيضاً إنما منع اللعن ، وأمر بتعزير اللاعن لأجل ما نصروه من « أصول الدين » وهو ما ذكرناه من موافقة القرآن والسنة والحديث ، والرد على من خالف القرآن والسنة وال الحديث وهذا كان الشيخ أبو إسحاق يقول : « إنما نفقت الأشعرية عند الناس بانتسابهم إلى الحنابلة ». .

وهذا ظاهر عليه وعلى أئمة أصحابه في كتبهم ومصنفاتهم قبل وقوع الفتنة القُشيرية ببغداد . وهذا قال أبو القاسم بن عساكر في «مناقبه» : « مازالت الحنابلة والأشاعرة في قديم الدهر متفرقين غير مفترقين ، حتى حدثت فتنة ابن القشيري » إلخ كلام الشيخ .  
فعلم بهذا أن شيخ الإسلام ما أطلق بأن الأشاعرة أنصار أصول الدين ، بل إنه رد على أبي محمد بن عبد السلام إطلاقه ذلك القول ، لأنهم إنما يمدحون بما وافقوا فيه الكتاب والسنة ، ويذمون بما خالفوا فيه القرآن وال الحديث .

فالأشاعرة نصروا الدين في مسائل نقضوا بها على المعتزلة ، وأحسنوا ، ولكنهم لم يتبعوا القرآن وال الحديث في مسائل معروفة من الأصول فلذا إنما نصروا جانباً ، وعظمت الفتنة بهم فيما ضلوا فيه عن القرآن المجيد وال الحديث .

وكاتب المفاهيم ليس ذاته في نقوله ، بل إنه مقلد ناقل في عباراته ، فهذه الجملة من قول العز بن عبد السلام قد نسبها إلى شيخ الإسلام ترويجاً لها رجل أشعري معاصر ، يقطن مكة الآن ، وجل من ترى اليوم

منهم شيوخاً وصغاراً من هجهم عدم التثبت، وترك التوقي، والتلبيس والتزوير، فالله المستعان.

قال ص ٣٩ في تعداد أسماء الأشاعرة :

«أبو حيان التوحيدى صاحب البحر المحيط».

أقول : كيف يؤمن على تصحیح المفاهیم ، وتفسیر القرآن وشرح الحديث من لا يفرق بين أسماء العلماء ولا يعرفهم .

فمن كان هذا شأنه وتلك علومه فسيخالط حين ينسب الأقوال ويقول على أهل العلم مالم يقولوه ، فربما يقول القول محمد بن إسحاق بن خزيمة فيجعله لمحمد بن إسحاق بن يسار صاحب السیرة ، وربما يروي أبو نعيم الفضل بن دكين خبراً فيجعل من مرويات أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، وربما ينقل عن محمد بن إدريس أبي حاتم الرازى ويجعله لمحمد بن إدريس الشافعى ، وربما ينسب لأبي داود السجستاني ما لأبي داود الطیالسى ، وربما ينقل عن أبي زرعة العراقي ما لأبي زرعة الرازى كما صنعته بعضهم ، وهكذا .

وفي علوم اللغة ربما نسب لابن هشام صاحب السیرة ما لابن هشام شارح مقصورة ابن دريد أو لابن هشام النحو شارح الألفية ، وربما نسب مالأبى عبيد لأبى عبيدة ، أو ماللأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة ماللأخفش آخر ، كعلى بن سليمان أو غيره ، وربما نقل عن الأزهري أبي منصور ويظنه الأزهري خالداً المتأخر شارح «أوضح المسالك» وغيره ، وهكذا .

وفي علوم القراءات ربما عزي القول أو القراءة لابن كثير المكي ، فظننت لابن كثير المفسر ، وبينها قرون ، وربما نسب لナافع المدى ما لナافع مولى ابن عمر ، وربما ذكر قراءة عاصم بن أبي النجود فظننت كمتزلة روايته عند المحدثين .

وفي علوم الفقه : ربما خلط بين ابن تيمية شيخ الاسلام أبي العباس وبين جده أبي البركات ، وربما نسب ما لابن حجر العسقلاني لابن حجر المكي ، وربما ظن قول ابن عبدالهادي يوسف قوله لابن عبدالهادي محمد بن أحمد ، وربما خلط بين الهيثمي والهيثمي ، وربما ظن ابن نجيم صاحب «البحر الرائق» هو ابن نجيم صاحب «النهر الفائق» ، وربما ظن الزيلعي الفقيه هو الزيلعي صاحب «نصب الراية» .

وسرد بقية العلوم ، أو الاستفاضة فيما أشير إليه ليعلم يخرج بناعن المقصود ، الذي مثلنا بنظيره ، وألمعنا إلى قليله .

وإني لا ينقضي عجبني من قول الكاتب : أبو حيان التوحيدى صاحب «تفسير البحر المحيط» ، ثم أعجب أكثر حين أرى أسماء العلماء الذين صدرروا كتابه بالتقديرات والثناء العاطر .

وكلهم يزعم أنهقرأ الكتاب .

ومنهم من حُلّى اسمه بالقاضى العلامة المؤرخ (!) الفقيه ومنهم العلامة المحدث المحقق ، ومنهم العلامة الفقيه ، ومنهم العلامة الفقيه الأصولي الذى امتدح كتاب المفاهيم بقوله :

بحث دقيق عميق لا يقوم له

خط وخلطٌ وتدلّيسٌ وإيهامٌ

ومنها تقاريف لم تنشر تواضعاً !

كيف يفوت المقرضين هذا الخلط العجيب بين رجلين عاش أحدهما في القرن الرابع ، والأخر في السابع والثامن الهجرين .

كيف لم تمر عليهم هذه العبارة ويصححوها ، أو هي مرت ولم يعرفوها !

ما من شك أن المستخرج أنهم لم يقرؤوا كتابه ، إذ فوت مثل هذا على أمة من العلماء لا يتصور إلا بأحد سببين ، الأول ذكرناه ، والأخر

نطويه ليتفكر فيه الليب .

إن المتوسط من طلبة العلم يدرك من هو التوحيدى ومن صاحب البحر المحيط ، فهاك يامن زبزب قبل أن يحصرم ترجمة الرجلين ، لعلها تكون لجاماً عن الإعجاب بالنفس ، أو الإعجاب بالتقديرات . أما التوحيدى فهو علي بن محمد بن العباس البغدادي ، قال الذهبي فيه «الضال الملحد... صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية» ١ هـ . ولد نحو سنة ٣٣٥ هـ وهلك نحو سنة ٤١٤ هـ أو فيها .

له تصانيف فمما طبع : الإمتاع والمؤانسة ، وفيه ذكر اتصاله بإخوان الصفا ، وله البصائر والذخائر ، والصداقة والصديق ، ومثالب الوزيرين ، وغيرها .

ومذهبة غامض يتدرس فيه وله إعجاب بالمعزلة ، وكأنه لذلك سمي نفسه التوحيدى ، نسبة إلى توحيد هم الذي هو نفي الصفات . وقيل نسبة إلى تمر بالعراق يقال له : توحيد ، وليس بمستقيم . والتوحيدى أبو حيان يشبه أن يكون من إخوان الصفا الباطئين ، أو من أتباع الإسماعيليين فإنه يردد أراءهم في كتبه ، وهذه الآراء شر مغض ، وفلسفة صرفة ، ودين غير دين الإسلام .

وأما أبو حيان الأندلسي صاحب تفسير «البحر المحيط» فهو أثير الدين محمد بن يوسف بن علي يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي النفزي ، نسبة إلى نفرة ، قبيلة من البربر . قال ابن العماد في «شذرات الذهب» (٦/٤٥) :

«نحوي عصره ، ولغوته ، ومفسره ومحدثه ومقرره ومؤرخه وأديبه ، ولد بمطحشـارش مدينة من حضيرة غربناطة في آخر شوال سنة ٦٥٤ هـ» . وقال الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة» (٤/٣٠٤) : «كان ظاهرياً وانتمسـ إلى الشافعية ، واختصر المنهاج ، وكان أبو البقاء

يقول : إنه لم يزل ظاهرياً . قلت : كان أبو حيان يقول : محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه » ١ هـ .  
توفي سنة ٧٤٥ هـ .

وهو قائل هاتيك الآيات في شأن الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما دخل مصر .

قال الكاتب ص ٤٩ :

« جاء في الحديث : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ». والمعنى أن إطراءه والتغالي فيه والثناء عليه بما سوى ذلك هو محمود » ثم قال :

« نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيءٍ من صفات الربوبية ، ورحم الله القائل حيث قال :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم

واحكِم بما شئت مدحأً فيه واحتكم

فليس في تعظيمه بِعَزَّلَةٍ بغير صفات الربوبية شيءٌ من الكفر والإشراك بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات .. » انتهى .

أقول : أهل السنة والحديث - بحمد الله وتوفيقه - يعظمون رسول الله بِعَزَّلَةٍ بما أمرنا أن نعظمه به ، من الإيمان به وبما جاء به ، وتعزيزه وتوقيره ، واتباع النور الذي جاء به ، والاستناد بهديه وستته في الأمور كلها .

وهم يحبون حديثه وستته ، ويدافعون عنها ، وينافحون عن أقواله ، ولا يرتضون أن ينسب أحد إليه ما لم يقله ، أو يتراجع أنه قاله .

يعرفون منزلته التي أنزله الله فلا ينزلونه عنها وحاشاهم ، ولا يرفعونه عنها كما فعله الغلاة .

وهم في كل ذلك متبعون طريقة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، ومن بعدهم من أئمة الهدى والدين .

ثم لما ظهرت طوائف الابتداع كالصوفية الغلاة أظهروا فتنة عظيمة فنعوا بها الناس ألا هي إظهار تعظيم الرسول الله ﷺ بالأقوال، وهجر اتباعه بالأفعال، فخالفوا أمر رسول الله ﷺ، وطريقة أصحابه الكرام الخلفاء الراشدين فمن بعدهم.

وأدخل أولئك المتصوفة من الأحاديث المكذوبة والم موضوعة ما لا يكاد يحصى عن قلة علم وجهل بالحديث، أو عن قصد عدم، وأشيعت في الناس وانتشرت حتى هجرت السنن الصحيحة واتبعت الأحاديث المردودة. وهم معترفون بأنهم لا يعرفون الحديث ومخارجه، ولا صحيحه من بصرته، ومن نظر في كتب القوم وجد ذلك جلياً. وسياق كاتب المفاهيم لحججه بين ضعف الاستدلال والتقليد، فهو مطلق لنفسه الحبل على الغارب، فهذا الحديث الذي استدل به أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٧٨/٦) عن عمر مرفوعاً : «لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله».

والكاتب وضع يده على بقية الحديث لئلا يفهم منه قاري كلامه الفهم الصحيح واجتزأه هذا مخل، وهو من باب التحرير لحديث الرسول ﷺ تحريف معنى ، إذ لا يتضح المعنى إلا بإتمامه ، فإن معنى الحديث : لا تتجاوزوا الحد في مدحه فيفضي بكم ذلك إلى ما آل بالنصارى لما أغرقوا في مدح وتعظيم عيسى عليه السلام فإنهم رأوا ما أجراه الله على يديه من معجزاتٍ كإحياء الموتى وإسماع الصم وإعاقة الأ بصار مع ضميمة كونه كلمة الله ، فادعوا فيه الألوهية .

فالكاف في قوله ﷺ «كما» ليست كافٌ تشبّهه ، إنما هي كافٌ التعليل التي تدل على مآل الحال .

جاء في إنجيل «برنابا» في الفصل الرابع والستين قول عيسى عليه السلام : «إن أشهد أمام السماء ، وأشهد كل ساكن على الأرض

أني برىء من كل ماقاله الناس عنى من أني أعظم من بشر، لأنى بشر  
مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر عرضة  
للشقاء العام».

ثم جاء فيه رد النصارى عليه:

«قال الواي وهيرودوس : ياسيد إنه لمن الحال أن يفعل بشر ما  
أنت تفعله ، فذلك لاتفاقه ما تقول» ١ـ .

هذا قول عيسى عليه السلام ، وقد أخبر الله عنه في المائدة أنه قال : «ماقلتُ لهم إلا ما أمرتني به أن عبدوا الله ربِّي وربِّكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد» ، وقال لهم : «اعبدوا الله ربِّي وربِّكم» وقال : «إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة» قال

شيخ الإسلام في رده على البكري (ص ١٠٥) :

«فلو امثروا أمره كانوا مطيعين لرسل الله ، موحدين لله ، ونالوا بذلك السعادة من الله تعالى في الدنيا والآخرة ، فغلوا فيه واتخذوه وأمه إلهين من دون الله : يستغشون به وبغيره من الأنبياء والصالحين ، ويطلبون منهم ، ويشركون بهم ، وكذبوا بالرسول الذي بشر به ، وحرفوا التوراة التي صدق بها ، وظنوا في ذلك أنهم معظمون للمسيح ، وهذا من جهلهم وضلالهم .

فإنهم كلما أطاعوه فيما دعاهم إليه كان له مثل أجورهم ، وكانت طاعتهم له ، والإقرار بعبوديته ، وبما بشر فيه : له ولهم من الأجر ما لا يحصيه إلا الله ، فقوتوا هذا الأجر والثواب عليهم وعلىه ، وله ولهم فيه الخير المستطاب ، واعتراضوا عن ذلك بما ضرهم في الدنيا والآخرة .  
وإذا بين لهم قدر المسيح فقيل لهم : «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام» قالوا : إن هذا تنقص بال المسيح ، وسب له واستخفاف بدرجته وسوء

أدب معه ، بل قالوا : هذا كفر وجحد لحقه ، وسلب لصفات الكمال  
الثابتة له » ١ هـ .

ففي حديث عمر «لاتطروني» إرشاداً إلى قطع وسائل الإطراء  
والأمر بأن تقول فيه عبد الله ورسوله ، هذا الذي ارتضاه عليه السلام لنفسه ،  
أفلا نرتضي لرسول الله عليه السلام ما ارتضاه هو لنفسه ، وقد نهى عن تعظيمه  
بأحاديث كثيرة قطعاً وحسماً لمدة الإطراء المستوجبة لرفعه فوق منزلته  
التي أنزله الله ، المؤدية لوصفه بها لا يجوز إلا الله .

ثم إن قول الكاتب :

«نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية ورحم الله  
القائل حيث قال :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم

واحكِم بما شئت مدحًا فيه واحكم»

أقول : إن قولك كله من مشكاة هذا القائل الذي أبهمته ، وأنت  
من أحفظ الناس لاسمك ، إنه البوصيري صاحب البردة ، فلم أبهمته ،  
وتركت التصريح باسمه .

وقولك هذا من أقوال شراح البردة ، يتناقله الضلال من قديم في  
ردوthem على أهل الحق ، وعلمهم حول البردة يدندن ، قال الأزهري  
في شرحه للبيت ص ٢٢ :

«اترك ما قالته النصارى في نبيهم عيسى بن مرريم عليهما السلام  
أنه ابن الله كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم ، فإن نبينا نهى عن مثل  
ذلك ، حيث قال «لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى» ، أي : لا  
تصفوني بذلك ، واحكم بعد ذلك له عليه السلام بما شئت من أوصاف الكمال  
اللائقة بجلال قدره ، وخاصم في إثبات فضائله» ١ هـ . يعني لا تقولوا  
ابن الله وقولوا بعد ذلك ماشتئم من الغلو والشرك ، وهذا من فروع  
الإطراء الذي نهى عنه ، وقعوا فيه ، فالغلو شر كله ، وقد هم الغلو إلى

قولٍ خطير، عظيم شره، وهو قول البوصيري :  
لو ناسبت قدره آياته عظماً

أحيا اسمه حين يدعى دارس الرم

قال إبراهيم الباجوري شارحاً للبيت ص ٣٣ :

«لونا سبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته أن يحيي اسمه دارس الرم حين يدعى به، فلم تناسب آياته قدره في العظم، وهو المطلوب .

لأن الواقع أن قدره بِكَلِّ الْعُظُمِ أعظم من آياته، حتى من القرآن المتلو بخلاف غير المتلو» انتهى<sup>(١)</sup>.

فانظر ماجره إطاراء البوصيري من المعاني المستويلة الوخيمة، التي تنادي عليهم بالويل والثبور من كل سهل وجبل، وغورٍ ونجد. حتى اتهموا الله بأنه لم يوفه حقه فاللهم إنا نبراً إليك من هذا القول وقائله ومن ارضاه.

---

(١) قال الإمام ابن حجرير الطبرى في كتابه «التبصیر في معالم الدين» : من ادعى أن قرآنًا في الأرض، أو في السماء سوى القرآن الذي نزله بالستنا أو نكبه في مصاحفنا، أو اعتقاد ذلك بقلبه أو أضمره في نفسه وقاله بلسانه فهو بالله كافر حلال الدم وبرئ من الله والله منه برئ<sup>١</sup> هـ المقصود منه، نقله عنه القاضى أبو يعلى في كتابه «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (ص ٨ - ٩ نسختى الخطية).

## خاتمة

الحمدُ لله بِدءاً وَانتهاءً، والصلوة والسلام على نبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، أَمَا بَعْدُ : فَهَذَا نَهَايَةُ مَا أَرَدْتُ الرَّدَّ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابٍ مَفَاهِيمٍ يَحْبُّ أَنْ تَصْحَحَ، وَيَقِيتَ مَسَائِلَ تَعَرَّضَ لَهَا لَمْ أَتَنَاوِلُهَا كَمَلْوَدٍ، وَشَدَّ الرَّحْلَ لِزِيَارَةِ الْقَبْرِ النَّبُوِيِّ، وَالْخَصَائِصِ النَّبُوِيَّةِ، وَنَحْوُهَا مِنَ الْمُبَاحِثِ، لِأَجْلِ أَنْ مِنْهَا مَا قَدْ أُشْبِعَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا مَا يَتَسْعَ الْكَلَامُ فِي أَخْبَارِهَا، رَوَايَةً وَدَرَايَةً .

وَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَلِيَّ الْقَدِيرَ، الْعَلِيمَ الْحَكِيمَ، أَنْ يُصَرِّنَا بِأَنفُسِنَا، وَيَنْفَعَ بِمَا كَتَبْتُ، وَاللَّهُ الْمَسْؤُلُ أَنْ يُوفَّقَنَا لِللتَّزَامِ بِدِينِنَا، وَتَوْحِيدِهِ، كَمَا يَحْبُّ وَيَرْضَى، وَأَنْ لَا يَكِلَّنَا لِأَنفُسِنَا .  
وَآخِرُ دُعَوانَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

# دليل المطبوعات المحال إليها في الكتاب وما طبع بمصر أغفل بلد طباعته

- أحكام القرآن، للجصاص : تركيا، الأوقاف، ١٣٣٥ هـ.
- الأدب المفرد، للبخاري : السلفية، ١٣٧٥ هـ.
- الأذكار، للنwoي : دمشق، دار الملاح، ١٣٩١ هـ.
- الأسماء والصفات، للبيهقي : السعادة، ١٣٥٨ هـ.
- الأصنام، لابن الكلبي : دار الكتب المصرية، ١٣٤٣ هـ.
- أضواء البيان، للشنقيطي : الرياض، المطبع الأهلية، ١٤٠٣ هـ.
- الاعتصام، للشاطبي : مصطفى محمد، بلا تاريخ.
- الإنصاف للمرداوي : السنة المحمدية، ١٣٧٤ - ١٣٧٨ هـ.
- الإياض، للقرزوني : السنة المحمدية، بلا تاريخ.
- البحر الرائق، لابن نجيم : دار الكتب العربية الكبرى، ١٣٣٣ هـ.
- البداية والنهاية، لابن كثير : السعادة، ١٣٥١ هـ.
- البدع والنهي عنها، لابن وضاح : دمشق، دار البصائر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ.
- بلوغ الأربع، للألوسي : الرحمنية، ١٣٤٣ هـ.
- تاريخ ابن جرير : دار المعارف، ١٩٦٠ م.
- تحرير التوحيد، للمقرizi : المنيرة، ١٣٤٣ هـ.
- التحرير والتنوير، لابن عاشور : تونس، ١٩٨٤ م.
- تخريج الإحياء، للعرافي.
- الترغيب والترهيب، للمنذري : مصطفى الحلبي ، ١٣٧٣ هـ.
- تطهير الاعتقاد، للصنعاني : مكة، السلفية، ١٣٤٧ هـ.

- تفسير ابن جرير : بولاق، ١٣٢٣ هـ والحلبي : ١٣٨٨ هـ، المعارف.
- تفسير ابن كثير : دار الشعب، بلا تاريخ.
- تفسير الرازى : البهية، ١٣٥٧ هـ.
- تفسير القرطبى : دار الكتب المصرية، ١٣٧٣ هـ.
- تنزيه الشريعة، لابن عراق : ط. الأولى، مكتبة القاهرة.
- تهذيب اللغة، للأزهري : الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤ هـ.
- تيسير العزيز الحميد، لسلیمان آل الشيخ المكتب الإسلامي، ١٣٨٢ هـ.
- جامع الترمذى : مصطفى الحلبي، ١٣٥٦ - ١٣٨٥ هـ.
- جامع العلوم والحكم، لابن رجب : الأهرام، ١٣٨٩ هـ.
- الجواب الصحيح، لابن تيمية : فرج الله الكردي، ١٣٢٢ هـ.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم : السعادة، ١٣٥١ هـ.
- الخصائص النبوية، للسيوطى : المدى، ١٣٨٧ هـ.
- الدرر السننية في الأجوبة التجديدة : مكة، مطبعة أم القرى، ١٣٥٢ هـ.
- الدرر السننية، لأحمد بن زيني دحلان الحلبي، ١٣٨٦ هـ.
- الدرر الكامنة، لابن حجر : الهند، حيدر آباد، ١٣٤٨ هـ.
- الدر النضيد، للشوکانی : محمد علي عطية الكتبى، ١٣٥١ هـ.
- دلائل النبوة، للبيهقي : بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ.
- الرد على البكري، لابن تيمية : السلفية، ١٣٤٦ هـ.
- الرد المحكم المنبع، للرفاعي : الكويت.
- رسائل إخوان الصفا : المطبعة العربية، ١٣٤٧ هـ.
- روح المعانى، للألوسى : منيرية، الأولى، ١٣٤٥ هـ.
- زاد المسير، لابن الجوزى : المكتب الإسلامي، ١٣٨٤ هـ.

— سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني : جـ ١ : المكتب الإسلامي ١٣٩٢ هـ  
— جـ ٢ : سنة ١٣٩٩ هـ

- سنن ابن ماجه ، عيسى الحلبي ، ١٩٧٢ م.
- سنن أبي داود : ط. الدعايس ، حصن ، ١٣٨٨ هـ.
- سنن الدارمي : المدينة ، نشر عبدالله هاشم ، ١٣٨٦ هـ.
- سنن النسائي : المطبعة المصرية ، ١٣٤٨ هـ.
- السيرة لابن إسحاق ، تركيا ، ١٤٠١ هـ.
- شذرات الذهب ، لابن العماد : القدس ، ١٣٥٠ هـ.
- شرح الأذكار ، لابن علان : النشر والتأليف ، ١٣٤٧ هـ.
- شرح البردة ، للأزهري : جمعية المعرف ، ١٢٨٦ هـ.
- شرح البردة ، للباجوري : كستلية ، ١٢٩١ هـ.
- شرح الشربيني على متن أبي شجاع : كستلية ، ١٢٨٢ هـ.
- شرح الشفا ، للخفاجي : استانبول ، دار الطباعة العامرة ، ١٢٦٧ هـ.
- شرح الشفا ، للقاري : استانبول ، دار الطباعة العامرة ، ١٢٦٤ هـ.
- شرح صحيح البخاري ، للكرماني : البهية ، ١٣٥٦ هـ.
- شرح صحيح مسلم ، للنووي : المطبعة المصرية ، ١٣٤٧ هـ.
- الشرح الصغير لتن خليل ، للدردير : عيسى الحلبي ، ١٩٧٧ م.
- شرح عليش لتن خليل : المطبعة الكبرى ، ١٢٩٤ هـ.
- شرح المواهب اللدنية ، للزرقاني : بولاق ، ١٢٨٧ هـ.
- شفاء السقام ، للسبكي : الهند حيدر آباد ، ١٣٧١ هـ.
- صحيح البخاري - مع فتح الباري : السلفية ١٣٨٠ هـ.
- صحيح مسلم : استانبول ، دار الطباعة العامرة ، ١٣٢٩ هـ.
- طبقات ابن سعد : بيروت ، دار صادر ، ١٣٧٦ هـ.

- عمل اليوم والليلة، لابن السنفي : الهند، حيدر آباد، ١٣٥٧ هـ.
  - عمل اليوم والليلة، للنسائي : بيروت، الرسالة، ١٤٠٦ هـ.
  - غاية المتنهى، لموعي بن يوسف : دمشق، دار السلام، ١٣٧٨ هـ.
  - فتاوى ابن تيمية : الرياض، ط. الأولى، ١٣٨١ - ١٣٨٦ هـ.
  - فتح الباري، لابن حجر : السلفية، ١٣٨٠ هـ.
  - فتح المغيث، للسخاوي : المدينة، المكتبة السلفية، ١٣٨٨ هـ.
  - الفروع، لابن مفلح : ط. عبدالستار فراج، ١٣٨٨ هـ.
  - فيض القدير، للمناوي : مصطفى محمد، ١٣٥٦ هـ.
  - في ظلال القرآن، لسيد قطب : ط. خامسة، دار الشروق، ١٣٩٧ هـ.
  - الكامل، لابن عدي : بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤ هـ.
  - الكبائر، للهيثمي : بولاق، ١٢٨٤ هـ.
  - كشاف القناع، للبهوتi : المطبعة الشرفية، ١٣١٩ هـ.
  - كشف الأستار، للهيثمي : بيروت، الرسالة، ١٣٩٩ هـ.
  - الكفاية، للخطيب البغدادي : الهند، حيدر آباد، ١٣٥٧ هـ.
  - لسان الميزان، لابن حجر : الهند، حيدر آباد، ١٣٢٩ هـ.
  - جمع الزوائد، للهيثمي : القدس، ١٣٥٢ هـ.
  - المحكم، لابن سيده : الحلبي، ١٣٧٧ هـ - ١٣٩٣ هـ.
  - مدارج السالكين، لابن القيم : السنة المحمدية، ١٣٧٥ هـ.
  - المدخل للحاكم : بيروت، الرسالة، ١٤٠٤ هـ.
  - المستدرك، للحاكم : الهند، حيدر آباد، ١٣٣٤ هـ.
  - مستند أحمد : - الميمنية، ١٣١٣ هـ.
- دار المعارف، تحقيق أحمد شاكر، ١٣٦٨ - ١٣٧٥ هـ
- المشرع الروي، لباعلوi : جدة، ١٤٠٢ هـ.

- مصنف ابن أبي شيبة : الهند، ١٣٨٦ هـ - ١٤٠٣ هـ.
- معاج الألباب، للنعمي : السنة المحمدية، ١٣٦٩ هـ.
- المعجم الأوسط، للطبراني : الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٥ هـ.
- المعجم الصغير، للطبراني: المدينة، المكتبة السلفية، ١٣٨٨ هـ.
- المعجم الكبير، للطبراني: بغداد، وزارة الأوقاف، ١٩٧٨ م - ١٩٨٣ م.
- المعرفة والتاريخ ، ليعقوب بن سفيان : بغداد، ١٩٧٥ م.
- مقالات الكوثري : مطبعة الأنوار، دون تاريخ.
- مقالات المسلمين ، للأشعري : النهضة المصرية، ١٣٦٩ هـ.
- الملل والنحل ، للشهرستاني : الأزهر، ١٣٧٠ هـ - ١٣٧٥ هـ.
- مناهل الصفا ، للسيوطى : حجرية، ١٢٧٦ هـ.
- المواقفات ، للشاطبي ، بتعليق دراز : مصطفى محمد، دون تاريخ.
- ميزان الاعتدال ، للذهبي : عيسى الحلبي ، ١٣٨٢ هـ.
- هذه هي الصوفية ، للوكيل : تصوير، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩ هـ

# ﴿ دليل موضوعات الكتاب ﴾

مقدمة.	٩ - ١
الباب الأول.	٩٢ - ١٠
تعريف الوسيلة، ومناقشة الكاتب في تعريفه.	١١
رد كلام الكاتب في التوسل المبتدع بالذوات والجاه ونحوها.	٩٩ - ١٤
كلام الكاتب حول حديث توسل آدم بالنبي محمد ﷺ ، وبيان ما فيه !	٣٠ - ٢٠
استخراج الكاتب على للتتوسل بالنبي وتعديته الحكم بالقياس، ورده، وأول من قاس مثل قياسه ، ونتيجة ذلك .	٣٣ - ٣١
أثر توسل اليهود بالنبي ﷺ قبل نبوته، وبيان أنه كذب موضوع .	٣٥ - ٣٤
حديث توسل الأعمى في حياة النبي ﷺ بدعائه ، والكلام عليه .	٣٦
رواية تعليم عثمان بن حنيف من أبطأ عليه عثمان بالإجابة ، ضعيفة جداً، وباطلة منكرة .	٤٠ - ٣٧
تجويز الكاتب الاستفانة بالنبي ﷺ بعد موته ، وبيان أنه شرك .	٤٣ - ٤٠
افتاء كاتب المفاهيم على صحابي لنصرة هواه .	٤٣
آثار فيها ذكر المحبوب لإزالة خدر الرجل ، وجهل الكاتب بها رواية ودرایة .	٤٧ - ٤٣
سياق الكاتب أحاديث فيها أدعية لمن ضل في فلة ونحوه ، وتحريجهما، ورد كلام الكاتب .	٥٣ - ٤٧
زعم الكاتب أن الرسول ﷺ كانه توسل بجبريل في دعاء له ، ورد افتائه .	٥٤
رد كلام الكاتب حول معنى توسل عمر بالعباس .	٥٦ - ٥٥
حديث قبر فاطمة بنت أسد ، وتوسل النبي ﷺ بمن قبله ، وبيان جهالة الكاتب في تحريجه ، وتلبيسه .	٥٩ - ٥٦

حاديـث نداء رجل للنبي ﷺ في قبره زـمن الفـحـط، وضعـفـه، وـتـوجـيهـه كـلـامـ ابنـ كـثـيرـ، وـابـنـ حـجـرـ . كـذـبـ السـكـاتـبـ عـلـىـ ابنـ حـجـرـ .	٦٣ - ٦٠
قد يورد بعض المؤرخين ما يستنكر شرعاً، والجواب عن ذلك.	٦٤ - ٦٣ ٦٥
حاديـثـ «ـأـسـالـكـ بـعـقـ السـائـلـينـ عـلـيـكـ»ـ وـتـجـيـهـهـ،ـ وـالـكـلـامـ عـلـيـهـ روـاـيـةـ وـدـرـايـةـ .	٦٩ - ٦٥
الرد على زعم الكاتب أن التبرك هو معنى التوسل بآثاره ﷺ .	٦٩
احتـجاجـ الكـاتـبـ بـالـإـسـرـائـيلـيـاتـ،ـ وـإـلـزـامـهـ بـأـثـرـ إـسـرـائـيلـيـ يـنـقـضـ دـعـواـهـ .	٧١ - ٧٠
تقـديـمـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ التـابـوتـ فـيـ مـعـارـكـهـمـ،ـ وـبـطـلـانـ استـدـلـالـ الكـاتـبـ بـهـ،ـ أـثـرـاـ وـنظـراـ .	٧٢ - ٧١
بيانـ أـنـ حـدـيـثـ الدـارـمـيـ فـيـ فـتـحـ كـوـةـ مـنـ قـبـرـ النـبـيـ ﷺـ إـلـىـ السـماءـ لـاستـرـازـ المـطـرـ،ـ باـطـلـ وـضـعـيفـ الإـسـنـادـ جـداـ . وـقـولـ اـبـنـ تـيمـيـةـ إـنـهـ كـذـبـ .	٧٥ - ٧٣
الـكـلـامـ عـلـىـ قـصـةـ الـعـتـبـيـ،ـ وـتـوجـيهـ نـقـلـ مـنـ نـقـلـهـ،ـ وـبـيـانـ ضـعـفـ عـبـارـةـ الكـاتـبـ عـلـمـيـاـ .	٧٨ - ٧٥
سرـدـ الـكـاتـبـ أـسـماءـ بـعـضـ مـنـ أـورـدـ الـأـثـارـ الـضـعـيفـةـ فـيـ التـوـسـلـ وـقـولـ إـنـهـ يـتوـسـلـونـ بـالـنـبـيـ ﷺـ وـالـرـدـ عـلـيـهـ .	٨١ - ٧٩
الـرـدـ عـلـىـ اـفـتـرـاءـ الـكـاتـبـ فـيـ أـنـ الـاسـتـغـاثـةـ بـالـمـقـرـيـنـ عـنـ الشـدـائـدـ أـجـمـعـ عـلـيـهـ الـأـنـبـاءـ وـالـمـرـسـلـونـ وـقـرـرـهـاـ رـبـ الـعـالـمـينـ،ـ تـعـالـىـ اللهـ عـمـاـ يـقـولـ الـظـالـمـونـ عـلـوـاـ كـبـيـراـ!	٨٢
تحـريـفـ الـكـاتـبـ النـقـلـ عـنـ شـيـخـ الـاسـلـامـ لـنـصـرـةـ هـوـاهـ فـيـ التـوـسـلـ،ـ وـالـرـدـ عـلـيـهـ .	٨٥ - ٨٣
حادـيـثـ عـرـضـ الـأـعـمـالـ عـلـيـهـ،ـ وـالـكـلـامـ عـلـيـهـ روـاـيـةـ وـرـدـ الـاسـتـدـلـالـ بـهـ .	٨٩ - ٨٦
افـتـرـاؤـهـ عـلـىـ الـإـمـامـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـوـهـابـ فـيـ أـنـهـ لـاـ يـنـكـرـ التـوـسـلـ الـبـدـعـيـ،ـ وـجـهـهـ بـطـرـيقـةـ الشـيـخـ فـيـ الدـعـوةـ .	٩١ - ٨٩
الـرـدـ عـلـىـ شـنـاعـةـ الـكـاتـبـ حـيـثـ قـالـ إـنـ التـوـسـلـ لـيـسـ	٩٢ - ٩١

مقصوراً على الدائرة الضيقـة التي يظـنها أهـل السـنة، ويعـني  
بـ«الدائـرة الضـيقـة» التـوسل بـأسمـاء الله وصفـاته  
والأعـمال الصـالحة!!

<p>الباب الثاني.</p> <p>الشرك في قوم نوح.</p> <p>الشرك في قوم إبراهيم</p> <p>أصل ما بعد هذين الصنفين من الشرك نابع منها ومن فلسفتهمـا.</p> <p>الشرك في العرب.</p> <p>دخول الشرك هذه الأمة عن طريق الباطنيـين.</p> <p>قول الكاتـب إن ما حـكاه الله عن المـشركـين في القرآن لم يقولوه جـادـين في إـقـرـارـهم بالـربـوبـيـة.</p> <p>توحـيد الـربـوبـيـة والـأـلوـهـيـة، والـفـرقـ بينـهاـ، وإـقـرارـ المـشـركـين بـالـأـولـ دونـ الثـانـي.</p> <p>دلائل ذلك من القرآن.</p> <p>دلـيلـ ذلكـ منـ السـنة.</p> <p>من شـعرـ العربـ الدـالـ علىـ ذـلـكـ.</p> <p>مسـأـلةـ «المـجـازـ العـقـليـ»، وـردـ اـحـجـاجـ الكـاتـبـ بهـ فيـ تـحـويـزـ الـشـرـكـ الأـكـبـرـ.</p> <p>ردـ اعتـقادـ الكـاتـبـ أنـ المـشـركـ منـ أـشـركـ فيـ الـرـبـوبـيـةـ، أـمـاـ الـسـبـبـيـةـ وـالـتـوـسـطـ فـلـيـسـ شـرـكـاـ عـنـهـ.</p> <p>ردـ قولهـ «لاـ سـبـيلـ لـتـكـفـيرـ الـمـؤـمـنـينـ بـإـسـنـادـ شـيـءـ لـغـيرـ اللهـ»!</p> <p>اعـتقـادـ المـشـركـينـ الـيـوـمـ بـأنـ أـصـحـابـ الـقـبـورـ، وـالـمـشـايـخـ الـمـعـبـودـيـنـ يـتـصـرـفـونـ فـيـ الـكـوـنـ.</p> <p>قولـ الكـاتـبـ عـنـ النـبـيـ ﷺـ أـنـهـ : «دـائـمـ الـعـنـيـةـ بـأـمـتـهـ، مـتـصـرـفـ بـيـاذـنـ اللهـ فـيـ شـؤـونـهـ، خـيـرـ بـأـحـواـهـ» وـهـذاـ شـرـكـ فـيـ الـرـبـوبـيـةـ، وـالـعـيـاذـ بـالـلهـ.</p> <p>تحـويـزـ الكـاتـبـ أـنـ يـطـلـبـ مـنـ الرـسـولـ ﷺـ الشـفـاءـ وـقـضـاءـ الـدـينـ، اـحـجـاجـاـ بـالـمـجـازـ العـقـليـ عـلـىـ فـهـمـهـ لـلـشـرـكـ.</p> <p>مسـأـلةـ المـجـازـ، وـهـلـ يـوـجـدـ فـيـ الـلـغـةـ أـمـ لـ؟ وـتـحـقـيقـ المـقـامـ.</p>	<p>١٢٨ - ٩٣</p> <p>٩٤</p> <p>٩٥</p> <p>٩٧</p> <p>٩٨</p> <p>١٠٣ - ٩٩</p> <p>١٠٤</p> <p>١٠٧</p> <p>١١٢ - ١٠٨</p> <p>١١٣</p> <p>١١٥</p> <p>١٢٨ - ١١٦</p> <p>١١٩</p> <p>١٢١</p> <p>١٢٢</p> <p>١٢٣</p> <p>١٢٣</p> <p>١٢٦</p>
--	---

الباب الثالث.	١٧١ - ١٢٩
معنى الشفاعة لغة، وما ورد في القرآن من الشفاعة المنسية والمشبحة.	١٣٢ - ١٣٠
معنى الشفاعة المنفية.	١٣٢
ليس للأنبياء حق على الله في أن يجيب كل مادعوا، ودلائله.	١٣٦ - ١٣٢
معنى الشفاعة المشبحة.	١٣٨ - ١٣٦
شفاعة النبي محمد ﷺ.	١٤٢ - ١٣٨
تجويز الكاتب طلب الشفاعة من النبي محمد ﷺ وغيره، ورد ذلك.	١٤٥ - ١٤٢
تلبيس الكاتب بجعل الشفاعة اعطيت للأنبياء والمؤمنين مطلقاً، بالتواتر المعنوي.	١٤٩ - ١٤٥
رد قول الكاتب أن الدعاء مأذون فيه مقدور عليه من الأموات.	١٥٥ - ١٥٠
تناقض الكاتب وتلبيسه في تقريره أن الشفاعة وإن طلبت في الدنيا فمحلها الآخرة.	١٥٥
جهل الكاتب بمعتقد أهل التوحيد والسنّة، واحتجاجه بحياة الشهداء.	١٥٧
تعاظم الكاتب وزعمه أنه يعلم شؤون الأرواح، وجزمه بأنها «تجيب من يناديها، وتغيب من يستغيث بها، كالحياء سواء ، سواء بل أشد وأعظم».	١٥٩
رد قوله، وبيان أن ذلك من فعل الشياطين عند القبور، ليضلوا بني آدم.	١٦١ - ١٥٩
رد كلام الكاتب الفاسد على حديث ابن عباس : «إذ سألت فاسأل الله . . . .»	١٧٠ - ١٦٢
تجويز الكاتب الشرك، في قول القائل : «يا رسول الله أريد أن ترد عيني أو يزول عنا البلاء أو أن يذهب مرضي» ونحو ذلك.	١٦٧
نقول عن المشركين في أن الرسول ﷺ يتصرف في الدنيا حيث شاء!	١٦٨

رد كلام الكاتب على حديث يُروى «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله».	١٧٠
بيان تقصص الكاتب لأبي بكر الصديق في شرحه للحديث. الباب الرابع : التكبير.	١٧١
نقول عن كتب فقهية من باب المرتد، فيها أن المسلم قد يكفر بأشياء.	١٩٩ - ١٧٢
نقول عن أهل العلم في كفر عباد القبور. سبب خفاء هذا الحكم على بعض المنتسبين للعلم المتأخرين.	١٨١ - ١٧٧
رد أقوال الكاتب في أن هذه الأمة لا يكون فيها شرك ، خاصة الجزيرة.	١٩١ - ١٨٢
الباب الخامس : التبرك . المعنى اللغوي لـ «التبرك»، والآيات في ذلك . البركة لله، لا يجوز أن تطلب من غيره . البركة نوعان : خاصة وعامة . البركة الخاصة اللاحزة لذوات الأنبياء قد تعمد بركتها بالذوات .	٢٢١ - ٢٠٠
البركة الخاصة باماكن العبادة، والصفات لا تعمد بركتها بالعين، بل بالعمل .	٢٠١
تقسيم البركة الخاصة إلى : بركة ذات، وبركة عمل ودليله .	٢٠٢
البركة بالنبي ﷺ .	٢٠٣
البركة بذوات الصالحين .	٢٠٤
رد بعض آراء الكاتب في التبرك . فصل في معنى الانتساب إلى السلف .	٢١٤ - ٢١٠
الباب السادس .	٢٢٢
عقيدة الكاتب أن الرسول ﷺ لا تصيبه الأمراض، إلا ما لا يوجب التقيص من خفيف المرض، ورده . رمي الكاتب الدعاء إلى معتقد السلف بالفرق بين الأمة، وهو أحق بتهمته .	٢٢٣
	٢٢٤

لفظ السلف له إطلاقات.	٢٢٦
رمي الكاتب الصحابة رضي الله عنهم بالبحث فيها ضرره أكبر من نفعه، بالالتزام.	٢٢٧
الأشاعرة.	٢٢٨
تلبيس الكاتب وكذبه في النقل عن ابن تيمية، وتقليله لأشعرى معاصر.	٢٣٠
خلط الكاتب بين أبي حيان التوحيدي، وأبي حبان الأندلسي، ومتابعة كل من قرض كتابه له على هذا الخلط، وهم يزعمون قراءة الكتاب.	٢٣٢
قول الكاتب في أن إطراء الرسول ﷺ بغير جعله ولد الله أو أقتماً، جائز.	٢٣٥
قول شراح البردة موافقة لصاحبها أن قدره أرفع من جميع الآيات التي أتيتها، وقول الباجوري : حتى من القرآن ... الخ.	٢٣٩
خاتمة.	٢٤٠
دليل المطبوعات المحال إليها.	٢٤١
دليل الموضوعات «الفهرس».	٢٤٦

تم طبعه عام ١٤٠٧ هـ

# تصويب لأهم الأخطاء المطبعية

صواب	خطأ	سطر	ص
فقل	قل	١١	١٠٨
المذوبات	الكذوبات	قبل الأخير	٣٤
لمنادٍ	لمنادي	١١	٥٣
أسود	أسود	١٠	٦٢
نقلوها	نقوها	٤	٧٦
راویه	روايه	١٦	٧٩
أربابٌ	أرباباً	١١	١٠٧
بأن	بيان	١٢	١٠٧
الله الرسول	الرسول الله	١١	١٣٤
قيامته	قيامة	٧	١٤٠
إنه	أنه	٢١	١٤٢
الإثبات	الأثبات	٢٢	١٤٢
إن	أن	٥	١٤٣
أهل الجاهلية	الجاهلية	١٤	١٤٥
يستغثثها	يغتثثها	١٦	١٥٩
العَلاقات	العُلاقات	١٠	١٦٢
إلى	على	١١	١٨٢
اتبعوا	أتبعوا	١٩	٢٠٩
فلذلك	فذذلك	٦	٢٣٧